الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر — كلية أصول الدين والشريعة

للعلوم الإسلامية — والحضارة الإسلامية

قسنطينة — قسم ومقارنة الأديان

الليتورجيا الإفخارستية ومكانتها في الديانة المسيحية

-دراسة تحليلية نقدية-

بحث مقدم لنيل درجة ماجستير في مقارنة الأديان

تخصص: مسيحية

إعداد الطالبة:

شهناز سمية بن الموفق

إشراف الدكتور:

عبد القادر بخوش

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.داسعيد عليوان	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر
د. عبد القادر بخوش	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة الأمير عبد القادر
د.لمير طيبات	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة الأمير عبد القادر
د.مسعود حايفي	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة الأمير عبد القادر

السنة الجامعية: 1428-1429هـ/ 2007-2008م

الإهداء

اللهُمَّ لك الحمدُ كل الحمدِ والشّكرُ كل الشُّكرِ لما وهبتني من نعمةٍ قصَّرتُ وأُقصّرُ في شُكرِكَ عليها.

"فسبحان الله وبحمدهِ سبحان الله العظِيم" لكلِّ ابتلاءٍ ساعدني على الإقترابِ من نعيم رحمتكَ.

اللهم إني أجعل هذا العمل خالصًا لوجهِ الله الكريم.

اللهم يسِّرْ لي هذا العلمَ برحمتك وانفعْني بهِ وباركْلي فيه.

ولا حول ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم.

إلى الوالدين الكريمين —حفظهما الله—.

إلى روح جدي العزيزة "ماما صافية" —رحمها الله—

إلى خالي ناجي فُؤاد وزوجته عِرفانا مني بالجميل على مساعدتهما المادية والمعنوية لي ولأبنائي،

جزاهم الله بالجنة —آمين—

إلى أخويّ: خيِّر ورياض.

إلى قُرة العين أبنائي الثلاثة: محمد آدم، محمد إدريس، محمد نُوح، جعلهم الله من الصَّالحين(آمين).

أُهدِي ثَمَرة هذا العملِ المتواضع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

وبمداد الفخر والاعتزاز أسجل أسماء أساتذتي الكرام، المتقدمين منهم والمتأخرين – حفظهما الله جميعا وأطال في عمرهم–: الأستاذ سامي عبد الله الكيناني، الأستاذ عليوان، الأستاذ بن جلول، الأستاذ كردوسي، على إرشاداتهم ونصائحهم المنهجية.

ثم إلى أساتذتي الأفاضل: الأستاذ طيبات، والأستاذ بوالروايح، والأستاذ معزي، وأخصّ بالشكر والتقدير أستاذي المشرف: عبد القادر بخوش" على توجيهاته العلمية وتحمله عناء قراءة البحث وتصحيحه من أوله إلى آخره.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالاحترام العميق إلى الأستاذ حداد، والسيدة حليمة أمينة المكتبة، ثم إلى صديقاتي المقربات: عائشة، نورة، حدة، شبيلة وجويدة.

وإني لأسجد شاكرة لله تعالى فضله بأن وفقني وهداني لاتمام هذه الدراسة، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح العرب لسانا وأبلغهم بيانا. من يهدي الله فهو المهتدي ومن يظلل فلن تجد له وليا مرشدا. وقد ضل النصارى بقولهم: «إن المسيح ابن الله» وأنه «حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم» (يو: 29/1) وأنه «الخبز الحي الذي نزل من السماء، وإن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد». (يو: 51/6) وبزعمهم أن المسيح أمر بتجديد ذكراه بتناول جسده ودمه المبذولين لأجل حياة العالم: «هذا هو جسدي الذي يبذل من أجلكم اصنعوا هذا لذكري» (لوقا: 20/22).

ثم إن "فكرة العشاء الرباني" وثنية المنشأ تسربت إلى الديانة المسيحية على يد أناس زعموا أن ماتسلموه من الرسل كان شفاها وأرسوا قواعد هذا التقليد ليجعلوا منه عبادة مفروضة.

وقد أردنا في هذا البحث توضيح هذا السر : كتابيا، تاريخيا وكنسيا كما ورد عند المسيحيين، وكما يعتقدون في الأفخاريستيا بأنها مشاركة في "ما ئدة الرب" (كور: 20/11) وأنها "إستباق لمائدة عرس الحمل" (رؤيا : 9/19) في أورشليم السماوية. وأن ليتورجية الكنيسة كلها تجد محورها وعبارتها الأبلغ في الإحتفال بهذا السر الذي هو قلبها، ثم نحاول تفنيد أسطورة القربان المقدس بالبراهين العقلية والشواهد الإنجيلية عسانا نوفق بإسهامنا المتواضع لتحقيق هذه الغاية.

ورغم تحديد البحث بـــ "الليتورجية الأفخاريستية ومكانتها في الديانة المسيحية" إلا أن هناك عناصر ترتبط إرتباطا وثيقا به نظرا للمكانة العظيمة التي يحتلها هذا السر في الإيمان المسيحي، حيث أنه جسد الكنيسة ورأسها كما ذكرنا، وعليه تنبني أهم العقائد: الصلب والفداء، القيامة والصعود، والخلاص، وبه ترتبط كل الأسرار: المعمودية والتثبيت، والتوبة، والحياة الأبدية، ومن هذا المنطق إرتأينا معالجة مو ضوع "الليتورجية الأفخاريستية – دراسة تحليلية نقدية –" بإبراز أهم النقاط من خلال عناصر المقدمة الآتي ذكرها:

1 – وصف شامل للموضوع :

فلكي ننكب على دراسة اللاهوت الأفخاريستي؛ أي علاقة الشكر (أفخارستيا) بطبيعة الله (اللاهوت)، ونقيم دراسة الليتورجيا الأفخارستية لا بد من الرجوع إلى الجذور التاريخية للكنيسة الأولى.

فبحسب الإعتقاد المسيحي، ولدت الكنيسة يوم فصح المسيح : عندما إنتقل من هذا العالم إلى أبيه (يو : 1/13) فمع المسيح الذي إنتصر على الموت وأصبح " روحا محييا " (كور : 15 /45) تظهر بشرية جديدة : جماعة الكنيسة التي لا تكون حية إلا إن كانت هي جسد المسيح القائم من بين الأموات (أفسس : 14/5) القادر أن يفيض الروح (أعمال : 33/2)، حيث تبدأ إفاضة الروح من يوم الفصح (يو : 22/20) عندما ينفخ يسوع الروح الذي يجدد الخليقة (يو : 21/10) (تك : 2/1) على تلاميذه جاعلا منهم رؤساء شعب الله الجديد (حزقيال: 9/37) وتتحقق الإفاضة الكبرى بالمواهب الروحية يوم العنصرة (أعمال : 4/2) في سبيل قيام الإثني عشر بالشهادة (أعمال : 8/1) وظهور الكنيسة العلني الممثل في الأفخاريستيا رمز ولادة الكنيسة التي تنشأ بالمعمودية وتترعرع وتتوحد بالأفخاريستيا.

فالأفخارستيا تعني الشكر تحت أشكال الطعام، والشكر هو الاعتراف بأن كل شيء نعمة، هذه النعمة التي يهبها الله للإنسان من أجل الخلاص : " بالنعمة أنتم مخلصون " كما ينبغي إدراك الصلة القائمة بين الأفخارستيا والطعام : فالطعام هو صلتنا الأساسية بالطبيعة : نحتاج إلى الطعام لنعيش والخبز هو رمز كل ما يعطينا الله إياه لنعيش[1]. وإذا كان كل شيء نعمة وجب أن يكون كل شيء شكرا، وليس هناك للتعبير عن " كل شيء " أفضل من الخبز والخمر اللذين بدونهما ما من شيء ممكن، إنهما عناصر الحياة نفسها: إذ تدل وفرة الخبز على البركة (أشعيا: 16/33)، ويدل افتقاده على أسفل درجات البؤس (مز: 25/37).

والمسيح هو خبز الحياة، والخبز النازل من السماء (يو: 59/32)، فالمسيح هو غذاء

---

[1]-توماس ميشيل اليسوعي، فرح الإيمان، بهجة الحياة. ط 5 دار المشرق بيروت صفحة 299.

المؤمنين في الأفخارستيا بالإيمان[1]، وهو جواب الإنسان إلى دعوة الله، وهو مصدر الحياة المسيحية بأسرها.

حيث أن العلامة الثالثة من أسرار الاستنارة المقدسة هي "الأفخارستيا": غذاء الإنسان المدعو إلى القداسة واحتفال الكنيسة بالخلاص، لأن فعل "التقديس" يدشن في الإنسان بالمعمودية ويتكرس ليمنح مواهب الروح والوحدة في مسحة الميرون (التثبيت)، أما الأفخارستيا فهي "سر الأسرار" ومحورها ورأس كل منها.

وليست الأفخارستيا في نظر المسيحي «واحدا من الأسرار السبعة» وحسب، بل هي العمل الأساسي في العمل المسيحي وشعائر العبادة المسيحية، وهي في الوقت نفسه – بحسب الإيمان المسيحي- الذكرى والتأوين[*] لعشاء يسوع الأخير مع تلاميذه في الليلة التي سبقت موته، ففي أثناء العشاء أعطى يسوع تلاميذه الخبز والخمر –حسب زعمهم- على أنهما جسده ودمه، ويؤمن المسيحيون أنهم باشتراكهم في هذا العشاء يكون المسيح موجودا معهم وجودا جسديا، ويؤمنون أيضا أنه كما أبرم العهد بين الله والشعب اليهودي بدم الذبائح على جبل سيناء، فكذلك يبرم العهد الجديد بين الله والبشر بدم يسوع المسيح[**].

والخمر ورد في الكتاب المقدس بأنه عطية من الله إلى الإنسان (تك: 28/27) وملخص لإحساناته (مي: 4/4) وأنه من دوافع الفرح (مز: 15/104)، تذكر بعطية الأرض التي أعطاها الرب (تث: 11/6) وأنها رمز الحياة كما تسمى دم العنقود (تث: 14/32)، ويُمثِّل العهد الجديد كما مُثل القديم بالخمر (متى: 7/19)، فتصبح علامة دم المسيح الأسرارية (لو: 14/22-20).

إن المسيح –وبحسب الإيمان المسيحي- أسس سر الأفخارستيا علامة العهد الجديد في

---

[1]- الإيمان : هو جواب الإنسان إلى دعوة الله وهو بالتعبير المسيحي "ضمان الخيرات التي ترجى وبرهان الحقائق التي لا ترى" (عبرا : 1/11) وهو أصل الأصول عند عامة المسيحيين وهو أن الإيمان منحة لا دخل للعقل فيها.. (كما يقول الشيخ محمد عبده "الإيمان بغير المعقول" في كتابه الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية)، دار الحداثة للطباعة والنشر، ط2، 1983، بيروت، لبنان، ص34.

[*]–التأوين: من الفعل أون actualisation بمعنى قرأ نصا أو حدثا قديما فأصبح مشتركا فيه ومتحدا به اتحادا روحيا في ضوء الزمن الذي يُذكر أو يُستعمل فيه. معجم الإيمان المسيحي، ص 82.

[**]مدخل إلى العقيدة المسيحية، الأب توماس ميشيل اليسوعي.

الساعة التي أصدر فيها البند الوحيد في هذا العهد الجديد «أحبوا بعضكم بعضا كما أنا أحببتكم» فبند الاتحاد بالله هو اتحاد البشر الأخوي بعضهم ببعض –أي بناء الجماعة المسيحية– فلا عهد مع الله ما لم يكن هناك عهد متبادل بين البشر –ولو وعينا حقا– كما يقول المسيحيون أن تقاسم الخبز هو الدليل على أنه يجب علينا أن نتقاسم كل شيء لكان للحضارة أساس متين. فسرالأفخارستيا إذن هو سر الوحدة البشرية، والقربانة المقدسة هي في آن واحد عطاء الإنسان لله (أي الذبيحة) وعطاء الله للإنسان (أي السر).

إن الليتورجيا الأفخارستية ترتكز على **التدبير الإلهي** وهي احتفال بهذا التدبير، بمعنى أنها تلخيص واستحضار آني لكل مراحل التاريخ استنادا إلى شخص يسوع المسيح وإلى عمله الفصحي: موته، قيامت، وصعوده، وإرساله الروح الذي ما يزال يحل على الجماعة وعلى الأسرار، ويكمل في العالم الخلاص الذي تحقق منذ ألفي سنة مرة واحدة ودائمة: ففي العمل الليتورجي يظهر تدبير الله الآب التاريخي الخلاصي، فتدبير الآب أو ما نسميه (زمن الآب) هي المرحلة التي تبدأ مع الخلق الأول وترسم كل تاريخ العهد القديم الذي يعبر عن رحمة الآب ومحبته اللامتناهية للبشر، وتصل ذروة هذه المرحلة إلى (ملئ الزمن) أو ما نسميه (تدبير الابن) أو (زمن الابن) وهو دخول كلمة الله في التاريخ، وهنا ترسم كل حياة يسوع التاريخية أي (تدبيره الحياتي) منذ ولادته وعماده –حياته بكل أبعادها–: آلامه، موته، قيامته وصعوده إلى السماء، فإن كل هذه المرحلة خلاصية، وتأتي لتتوج تدبير الآب، وتكتمل هذه المرحلة بما نسميه (تدبير الروح) أو (زمن الروح): وهو حلول الروح على التلاميذ في العلية، هذا الروح الذي يختم ويكمل في الجماعة وفي العالم الخلاص الذي حققه الابن.

إن آخر عشاء أرضي للمسيح كانت له صفة خاصة تماما، فبواسطته تأسست الأفخارستيا: إنه العهد الجديد المبرم بالكلمة المثبت بالدم المهرق والموطد عراه بطعام الشركة، كما أن المشتركين في هذه المائدة تذكارا للمسيح سيصبحون شعب الله المجتمع في المسيح عبر الجلجثة والموت والقيامة.

ففي هذا السر وبواسطته يعود المسيح الممجد –على حد تعبيرهم– إلى شعبه (المجيء الثاني) (لأن المجيء الأول هو التجسد)حيث تصبح المائدة: "مائدة ربانية" ذات صفة دينية حاوية على سر الكنيسة "المسيح" الذي يصحب فيها شعبه بالروح القدس.

يقول البابا يوحنا بولس الثاني في رسالته ليوم الدعوات بمناسبة "اليوبيل الكبير": «إن الافخارستيا هي أصل كل دعوة وخدمة في الكنيسة» يقول: «أليست **الأفخارستيا** سر المسيح الحي والفاعل في التاريخ؟ وبواسطة الأفخارستيا ما زال المسيح يدعو إلى أتباعه وما زال يقدم لكل إنسان "ملئ الأزمنة": وهو تجسد الابن وعمله الخلاصي ليتم "الزمان": زمن النعمة والرحمة، زمن الخلاص والمصالحة.

إذن **فالأفخارستيا** –كما يعتقد المسيحيون–: سر أسسه الرب يسوع **لأن به الثبات فيه** (التثبيت) «من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه» (يوحنا: 56/6)، **وبه تنال الحياة الأبدية:** «أنا هو الخبز الحي النازل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيى إلى الأبد، والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم» (يو: 51/6).

وبه نوال الخلاص والاستنارة «الذي لنا به الفداء بدمه غفران الخطايا» (كولوسي: 14/1).

إذن فسر الأفخارستيا **هو سر الأسرار ومنبع الحياة المسيحية لارتباطه بأسرار الكنيسة ارتباطا وثيقا،** إذ تفيد الأسرار **حضور المسيح** «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (متى: 20/28).

والأفخارستيا **عشاء محبة وخدمة،** ففي قلب أسبوع الآلام يقع خميس الأسرار، وفيه تمام مشروع الخلاص: فيه القربان وغسل الأرجل والجلجلة في "حب لا حبّ بعده". **فالأفخارستيا إذن هي سر المحبة وسر الإيمان،** فبحسب بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس مؤكدا: لقد سلمتكم ما قبلته من ربنا، ونحن نعرف أننا كل مرة نشارك في القربان نعلن أننا مستعدون لنصبح بدورنا قربانا –هكذا يعتقد المسيحيون– في الحب دون شروط وفي الخدمة حتى غسل الأرجل. وبهذا يحقق يسوع رسالته التي حددها هو نفسه بقوله: «إن ابن البشر لم يأت ليُخدَمَ بل ليَخدُم ويبذل نفسه فداء عن كثيرين (مر 45/10).

فهذه هي الليثورجيا الأفخارستية للتعبير عن عمل المسيح الخلاصي (عب 8–6/2)، كما وردت في اللاهوت المسيحي، وكما تعتقد فيها الكنيسة منذ القرن الأول وحتى عصرنا الحالي.

2-أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في النقاط الآتية:

-أن أهم العقائد تبنى على هذا السر: الصلب والفداء، الصعود والقيامة، الخلاص: لأن المسيح صلب لأجل نجاة البشرية وخلاصها من الخطيئة، وهو ما عبر عنه (بطرس18/11) بقوله: «عَالمِين أنكم افْتُدِيتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب.. بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس: دم المسيح. وقد سلمهم ياسوع هذا السر (الأفخارستيا) ليلة صلبه وفدائه التي تَلتْها قيامته من بين الأموات وصعوده إلى الآب ودخوله جسميا في المجد، فكانت خاتمة حضوره المنظور في هذا العالم إلى أن يعود في آخر الأزمنة.

-ارتباطه الوثيق بالأسرار الكنائسية، ولا سيما المعمودية والتثبيت، فبه تنال الحياة الأبدية، وبه الخلاص والاستنارة: -فبحسب الإيمان المسيحي- أعطى الرب المعمودية للميلاد الثاني من فوق للحياة الأبدية وأعطى الأفخارستيا لاستمرار هذه الحياة وتقديسها والثبوت فيها، وذلك بواسطة الجسد والدم.

-توجد أسرار سبعة في الكنيسة، ولكن الأفخارستيا هي سر الكنيسة بالدرجة الأولى، لماذا؟

لأن الكنيسة هي "جسد المسيح السري"، والأفخارستيا هي "سر جسد المسيح".

-ترسم الأفخارستيا للمسيحي أعظم حقائق إيمانه وتذكره بواجباته المتنوعة لربه ولكنيسته وللعالم: «فكل من يثبت في الرب ينال المغفرة ويصير أفخارستيا لغيره» (يو56/6).

-كما أن ممارسة هذا السر تقترن بتجديد العهود للمسيح وللكنيسة، فيحرك قلب المؤمن -المسيحي- تحركا جديدا في التقوى، كلما حضر مائدة الرب. (..بدمي الذي للعهد الجديد...)

-فيه الإشارة إلى مائدة المستقبل: إذ يوجه أنظار المؤمنين المجتمعين حول مائدة الرب إلى الاجتماع العتيد في السماء حول عشاء عرس الخروف. فهو وليمة المحبة التي سيعدها المسيح لمختاريه في ملكوت السماوات وفقا لقوله: «وأنا أجعل لكم ملكوتا كما جعل لي أبي ملكوتا لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي. لوقا (92: 30/22).

-إن هذا السر العظيم -بحسب المسيحيين- يشترط في المؤمنين الذين يريدون الاشتراك **باستحقاق** في العشاء الرباني أن يمتحنوا أنفسهم وإيمانهم للاقتيات بالمسيحي روحيا.

والمستحق: من له نقاوة المسيح، والنقاوة تعني المغفرة، وتعني نظافة لممارسة الأسرار، فهي نقاوة على مستوى النفس والجسد والروح والاستعداد.

إذن: فالأفخارستيا ليست سرا مهما فقط في الكنيسة أو أهم سر في الكنيسة، بل هو السر الذي ينبع منه كل ما هو مهم في الكنيسة.

3-تحليل عناصر المقدمة وتوضيح للمصطلحات المعنونة للبحث

-**الأسرار**: جمع مفرده سر، تعني كلمة سر في العهد الجديد: تعليم مخفي أتى يسوع ليكشفه، وهو بشرى الله للناس، وفي رسائل القديس بولس يدلّ السر على معرفة خفية لا تكشف إلا بالوحي، والعنصر الأساسي في السر هو "**تدبير الله الخلاصي**": أي أن اختيارنا منذ الأزل يؤدي بفضل فداء المسيح إلى تبنينا من قبل الله في عمل الروح القدس (أف 1/3-14)، هذا هو "سر الله" و"سر المسيح" (أف 4/3).

-**سر الفصح**: هو سر الخلاص بصفته مرتبطا في التاريخ بفصح اليهود.

-**سر الإيمان**: هو سر الخلاص وهو قلب الوحي والمعتقد المسيحي.

-**الليتورجيا**: كلمة يونانية الأصل، تعني خدمة عامة ورسمية، وظيفة، ولما كانت خدمة الله العامة، خدمة الصلاة والعبادة، فقد استعمل المسيحيون هذه الكلمة للدلالة على القيام بالعمل الكهنوتي في مجمله. تستعمل للدلالة على الذبيحة الإلهية، علما بأنها العمل الطقسي الميثالي. فالليتورجيا هي مجموع الرموز والكلمات والحركات التي تعبر بها الكنيسة بالاتحاد مع المسيح رأسها عن العبادة الواجبة لله.

الليتورجيا هي غير الطقوس، الطقوس هي وسائل وتعابير لإحياء الليتورجيا، والليتورجيا هي تبادل العالم مع الله في "علاقة أفخارستية" ! لذلك إذا كانت كلمة ليتورجيا بالأصل اللغوي اليوناني للكلمة تعني "عمل الشعب" فهذا يريد أن يقول، كما أن "عمل الله" كان وما زال

"الخلق والمحبة"، فإن "عمل الشعب" هو استخدام عطية الله في شكر –أفخارستية.

الليتورجيا هو عمل وعملية تقدمة العالم بواسطة الإنسان لله، وتحويل الكون كله وبكل مسائله إلى "ذبيحة تسبيح".

إذن، من هذه النظرة إلى الليتورجيا نقول أن كل اللاهوت وبكل أجزائه ما هو إلا تعبير وتسبحة افخارستية، تريد أن تشكر وتفسر المحبة والهبة الإلهية.

والليتورجيا هي تبادل العالم مع الله في علاقة أفخارستية: فكما أن الله واهب ومحب فالإنسان شاكر وأفخارستي.

-**عرس الحمل**: تسمية رمزية للاتحاد القائم بين المسيح والكنيسة في آخر الأزمنة (رؤيا 7/19).

-**الاستنارة**: هو اسم قديم للمعمودية، ونعمة خاصة تمنح علم الإيمان وتجعل من المعمدين أبناء النور. وتسمى المعمودية في التقليد الرسولي بالاستنارة، أي اشتراك في نور الإيمان بالمسيح.

-**القداسة**: صفة ما هو مقدس: في العهد القديم الله وحده مقدس قدوس، وفي العهد الجديد يسوع هو المقدس وهو يمنح القداسة بالإيمان والمعمودية، والتثبيت والشركة.

-**سر المحبة**: هي أعمق تحديد لله (يو 8/4)، وشريعة المحبة هي الشريعة الجديدة التي أتى بها الإنجيل.

-**الخلاص**: هو الانتشال من الهلاك وإعادة السلامة، وبما أن مصدر الهلاك هو الخطيئة والموت، فأول عناصر الخلاص الحقيقي الروحي هو التحرير من الخطيئة والموت، والخلاص تناله البشرية في المعمودية والإيمان، وبالمشاركة في الحياة الإلهية (الأفخارستيا)، ويتم بدخول المسيحي في الحياة الأبدية بعد الموت، بالقيامة العامة والمشاركة في أورشليم السماوية.

وسفينة الخلاص: استعارة تدل على الكنيسة، فإنها في طوفان هذا العالم تخلص أسرة المختارين، كما أن سفينة نوح، وهي مثال الكنيسة خلصت نوح وذريته.

-أسرار ج م سر: في العهد الجديد كلمة سر تظهر في الأناجيل الإزائية بمعنى تعليم مخفي أتى يسوع ليكشفه، وهو بشرى الله للناس، والعنصر الأساسي في هذا السر هو تدبير الله الخلاصي: أي أن اختيارنا منذ الأزل يؤدي بفضل فداء المسيح إلى تبنينا من قبل الله في عمل الروح القدس (أف 1/3-14).

-**تكريس**: تخصيص لخدمة الله وعبادته: تكريس الحياة وتكريس الكنيسة.

-**العلية**: بيت منفصل عن الأرض تم فيه العشاء السري مساء خميس الأسرار (علية صهيون).

-**جسد المسيح**: هي وحدة المسيحيين العضوية، فإنهم مرتبطون حتى في أجسامهم (روم 11/8) بفضل سري المعمودية والأفخارستية (قور 16/10) بجسد المسيح القائم من الموت والحي بالروح القدس، وهذا الجسد هو الكنيسة (أف 22/1و23/5). وهذا الجسد هو الذي نسميه اليوم "الجسد السري"؛ أي جسد سر الأفخارستيا (روم 4/12).

-**الجلجثة أو جلجلة**: كلمة عبرية معناها الجمجمة، وهي عبارة عن تلة صغيرة بشكل جمجمة تقع خارج أورشاليم في القرن الأول، وعليها تَمَّ صَلْبُ المسيح.

-**القيامة**: عودة ميت إلى الحياة، وقيامة المسيح: خاتمة الفصح (موته وقيامته وعلة الخلاص ونور الإيمان المسيحي)، وهي موضوع البشارة المسيحية ومركزها (قور 15/1).

-**ممجد**: يظهر فيه (أي في المسيح) مجد الله، فهو (شعاع مجده، (عب 3/1)، ولا سيما في صليبه وقيامته وصعوده، يقول القديس إيريناوس: «مجد الله هو الإنسان الحي، فالمسيحي هو شعاع مجد الله».

-**المائدة**: في العهد الجديد: هي مائدة القربان: المذبح، وفي الكتاب المقدس ياسوع نفسه هو مذبح الهيكل الجديد (ع ب 10/13) في الليثورجيا: مائدة خشبية أو حجرية مربعة أو مستطيلة، يقام عليها سر الأفخارستيا. والمذبح هو أقدس مكان في الكنيسة ويرمز إلى المسيح.

-**الخبز الحي**: خبز الحياة والخبز النازل من السماء، أسماء يدل بها المسيح على نفسه (يو 32/6-59)، خلافا للمن الذي لم يكن سوى صورة، فالمسيح غذاء المؤمنين في الأفخارستيا

بالإيمان. (المن: في الكتاب المقدس: طعام أرسلته العناية الإلهية إلى العبرانيين في البرية (خر 16/14-16).

-خميس العهد: تحتفل الكنيسة بهذا العيد وسط آلام الرب المخلصة ليفدي البشرية في الأعياد الثلاث: عيد الشعانين: بداية أسبوع الآلام. خميس العهد: (منتصف الأسبوع)، ثم عيد القيامة: الحياة الأبدية المنتصرة على الموت. فهذه الأعياد الثلاث تظهر أن السيد المسيح ليس شخصا عاديا، يموت كبقية البشر، وإنما هو الرب المتجسد لاجتياز الآلام ليحقق الفداء وليهزم الموت ويعلن الحياة.. الأبدية.

وخميس العهد هو بداية العهد الجديد بدم المسيح: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم».

-غسل الأرجل: يقصد بها: التوبة والنقاوة، وكذلك المعمودية الثانية (الدائمة)، وغسل الأرجل رتبة طقسية تقام يوم خميس الأسرار تذكارا لما قام به يسوع في العشاء الأخير، وهي دليل على منتهى الخدمة ومنتهى محبة المسيح.

-خميس الأسرار: ففي هذا اليوم منح الرب يسوع كنيسته هبة الأفخارستيا في علية صهيون، وهي من أهم الأماكن المقدسة المسيحية، ففي العلية تأسست الأفخارستيا، وفيها ظهر يسوع لتلاميذه بعد القيامة، وفيها حل الروح القدس على التلاميذ في العنصرة، فابتدأت حياة الكنيسة.

-العنصرة Pentécote: ثاني الأعياد اليهودية الكبرى بعد الفصح بخمسين يوما. كانت في أصلها عيد الحصاد، تحتفل الكنيسة بعيد عظيم من أعز أعيادها هو عيد العنصرة، أو عيد "حلول الروح القدس".

والعنصرة تعني التجمع والوحدة. كان شعب العهد القديم يحتفل في هذا اليوم خمسين يوما بعد عيد الفصح اليهودي، وكان يسمى عيد الأسابيع أو عيد الخمسين، فالروح القدس يترل فيه على التلاميذ ليعطيهم العهد الجديد ويحولهم من جماعة إلى كنيسة[1].

---

[1]- تادرس يعقوب ملطي : أقوال الأباء وكتاباتهم الكلير الإكليريكية الإسكندرية 1980 صفحة 254.

وبعد تسليط الضوء على أهم عناصر الموضوع، أضحى واضحا مجال البحث، والذي سنحاول من خلاله الإجابة عن عدة إشكالات.

4-الإشكالية:

يقول يوحنا الذهبي الفم فيها: «لنتأمل أعجوبة هذا السر، والغاية من تأسيسه والثمار التي ينتجها إننا به نصبح المسيح جسدا واحدا، إنه يمتزج بنا لنصبح معه حقيقة واحدة كالجسد المتصل بالرأس(*).

فهلم كما يقول القديس كيرلس الإسكندري «نبحث بكل طاقتنا عن معنى هذا السر...».

من خلال بحثنا سنحاول الإجابة عن الإشكالية الأساسية: عن معنى هذا السر، وماذا يمثل في حياة الكنيسة؟ عن تسميات هذا السر؟ وأين يكمن دور الأفخارستيا في المخطط الإلهي للخلاص؟ والتي تتفرع عنها الإشكاليات الفرعية الآتية:

-كيف يكون الاحتفال بطقوس الأفخارستيا؟

-ما هي العناصر الجوهرية والضرورية لتحقيق الأفخارستيا؟

-كيف يكون يسوع المسيح حاضرا في هذا السر؟

-وماذا يعني التحول الجوهري La transubstantiation ؟

-هل أن كسر الخبز يقسم المسيح؟ وإلى متى يدوم حضور المسيح في الأفخارستيا؟

-لماذا الأفخارستيا هي الوليمة الفصحية؟

-ماذا يعني المذبح ومتى تقوم الكنيسة بالمناولة المقدسة؟

-ما المطلوب لقبول المناولة؟ وما هي الثمار التي تنبع من المناولة المقدسة؟

-ما معنى الليثورجيا والتقليد؟ وما عناصر محتواهما الروحي؟

-وما علاقة التقليد بالأسرار؟ ولماذا كانت الليثورجيا الأفخارستية هي عربون المجد الآتي؟

-ثم هل هناك خلفيات تاريخية لهذا الطقس، وإلى من تعود هذه الخلفيات؟

هذه الإشكالات المطروحة تتلاءم حتما مع الفصول الأولى للبحث، وتتطابق مع وجهة

(*)-تادرس يعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، الاسكندرية، الكلية الإكليريكية، 1980، ص254.

النظر المسيحية، فهي تتماشى مع روح اللاهوت المسيحي، كما هو عليه في التقليد، والذي أتت به الأناجيل، أما الفصل الأخير حيث يكمن الهدف المبتغى من وراء البحث، وهو التوصل إلى إبطال سر الاستحالة، وتفنيد أسطورة القربان المقدس، فيقتضي طرح تساؤلات أخرى لا تقل أهمية عن سابقاتها، استنادا إلى قوله تعالى: ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾، فنسأل:

أي قوة استودعت في سلطان الكهنة حتى يحولوا القربان أو خبز التقدمة والخمر إلى جسد يسوع وروحه ودمه، ولا هوته المزعوم؟ ومن أين للصلوات التي يتلوها الكاهن على القرابين أن تجعل روح القدس يحل على الحاضرين؟ أوليست أسرارا اختلقها و –ابتدعها– التقليديون من الكاثوليك والأرثودكس ليفرضوها على تابعيهم حتى يتسلطوا عليهم لأنهم ربطوا كل البركات الدنيوية والأبدية بالانصياع لهم، وقبول أسرارهم؟

وإذا كان أكل الدم محرم في العهدين القديم والجديد (تكوين 3/9)، (لاوين 10/17)، و(أعمال 20/15). فكيف يسمح بأكل لحوم بشرية ناهيك عن لحم ودم الإله ذاته؟

وكيف يأخذ المتناولين نفس صفات الله الأزلية الأبدية وقدرته اللامحدودة؟ وكيف يملؤون كل زمان ومكان وكيف يشتركون في صفات الكمال المطلق والصلاح الإلهي السامي؟ وإذا هم حصلوا كل مرة يمارسون فيها هذه الفريضة على الكمال الإلهي، فلماذا يزالون على الأرض؟ ولماذا يتسلط عليهم إبليس بإغراءاته ووساوسه ، ويجرهم إلى جميع الويلات؟

كل هذه الإشكالات نحاول الإجابة عنها من خلال البحث مستعنين في ذلك برجال أخرجهم الله من أصلابهم، حتى يكونوا حجة عليهم، من خلال أبحاث: ليتزمان، وأندروميلر والترجمان (ANSELM DE TURMEDA) حتى يسقط هذا المعتقد ومعه هرم المسيحية المحرّفة.

5–أسباب اختيار الموضوع:

نظرا لأهمية الموضوع –والتي سبق بيانها– كانت رغبتي شديدة في دراسة الأفخارستيا،"سر المحبة"والتعبير الاسراري للسر الفصحي،"سر الإيمان"الذي يحوي كنز الكنيسة: الكنز الروحي

واللاهوتي. وقد دفعني لاختيار الموضوع أسباب كثيرة منها ما هو ذاتي، ومنها ما هو موضوعي:

فالذاتي: يرجع سببه إلى «يوم عسير على الممتحنين غير يسير»، وهو يوم إجراء مسابقة الدخول إلى السنة أولى ماجستير، وقد كان سؤال الامتحان متعلق كله بالأفخارستيا، لولا أن تسمية "العشاء الرباني" أنقذتني بإذن الله لكنت من الهالكين، لأنني –وبالرغم من دراستي للموضوع– لم أكن أعلم أن للقُداس في الماضي عدة أسماء: فهو كسر الخبز في القرن الأول، والأفخارستيا في القرن الثاني والقربان عند اليونانيين، أما اليوم فإنه يحمل أسماء أخرى كالذبيحة الإلهية والأسرار المقدسة والليثرجية الإلهية، والحمد لله الذي هداني إلى الجواب الصحيح، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لذلك قرّ في نفسي أن أتوغل في الموضوع بالرغم من عمقه وصعوبته، محاولة كشف هذا السر العظيم المدعو سر الأسرار، ومنبع الحياة الكناسية، وإنني لأجد في ذلك حلاوة مع مر المذاق وغبطة على طول المساق..

أما الدافع الموضوعي، فيمكن تلخيصه في التالي:

–التوصل إلى معرفة حقيقة ما تحمله العقيدة الأفخارستية Le dogme eucharistique [*] من معاني واسرار وعقائد، قامت وانبنت عليها الديانة المسيحية:

–**التذكار:** يذكر بموت المسيح الكفاري، الذي هو جوهر الدين المسيحي، والدلالة الواضحة على أن نظام العهد القديم قد بدل بنظام العهد الجديد، بمعنى تحول الفصح إلى العشاء الرباني بأمر المسيح وسلطانه.

–**الإقرار:** فالمشتركون بالعشاء الرباني يقرون بإيمانهم للمسيح مصلوبا، وبقبوله إياه سيدا وفاديا وربا ومخلصا، وأن عليهم أن يجددوا عهد الولاء له (كور 1: 21/10).

–**البنيان:** حيث أن هذا السر يرسم للمسيحي أعظم حقائق إيمانه، ويذكره بواجباته لربه ولكنيسته وللعالم، ولاسيما المحبة الأخوية التي تخمد روح الخصام والنفور بين المشتركين في جسد الرب ودمه.

---

[*]–Eucharistia, Publiée par Maurice brillant, Paris 9 Juin 1934.

من الدوافع الموضوعية أيضا: السعي في كشف خبايا هذا السر:

- التحديد والإيمان الحي، لأن ذلك الطعام الروحي ليس للأموات، بل للأحياء.

- الاشتراك جهارا في عضوية الكنيسة، لأنه لما كانت كنيسة المسيح بيتا واحدا وجب أن يكون المتقدم إلى مناولة عشاء الرب من أهل ذلك البيت، فهي جمهور المؤمنين بحسب التعبير المسيحي، تحت نظام مقرر حسب الإنجيل، فينبغي إذن أن تسبق العضوية في الكنيسة الاشتراك في فرائض تلك الكنيسة.

كل ذلك قصد التوصل إلى **الهدف المبتغى من وراء هذا البحث**، وهو كشف النقاب عن حقائق هذه العقيدة، وتفنيد سر القربان المقدس بالأدلة العقلية والبراهين النصية الإنجيلية، متخذين في ذلك **ليتزمان**، **واندروملر** من علماء الغرب، و السقار وعبد الرحمن زادة من علماء الشرق في العصر الحديث، لإطلاعهم الواسع في مجال العقائد وإلمامهم بالنصرانية ثم القرافي والترجمان من خيرة علمائنا المتقدمين والذين كانت لهم الريادة في إقامة الدليل على سقوط هذه العقيدة، وبالتالي سقوط المسيحية البولسية المبتدعة، ﴿**ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم..فما رعوها حق رعايتها..وكثير منهم فاسقون**﴾ [الحديد: 27].

6-أهم المصادر المستعملة في البحث:

إن أغلب الكتب والمصادر المستعملة في البحث هي بلغة أجنبية، وقد أخذت مني الوقت الكثير في الترجمة وخاصة في المصطلحات.

وقد اعتمدت في هذا الموضوع على مصادر ومراجع أهمها:

- في النقد : -الأجوبة الفاخرة للقرافي -الفارق بين المخلوق والخالق لعبد الرحمن باجا جي زاده - تحفة الأريب لعبد الله الترجمان.

- كتب متخصصة مسيحية: **إفخاريستيا** قداس الرسل الأول للأب متى المسكين - الأفخارستيا لملاك لوقا -الطقوس في الكنيسة لسليمان نسيم -**مختصر تاريخ الكنيسة** لأندرو ميلر.

باللغة الفرنسية:

-Eucharistia: Encyclopédie des religions : Maurice Brillant.
-L'euharistie dans la bible: Alain Marchadour.
J. Du Theil.
L. Monloubou
-Des sacrements au concile de trente: André Duval
-La liturgie chrétienne en ses origines: Paul Bradshaw

7-الدراسات السابقة:

بحسب إطلاعنا فإن موضوع "الليتوجيا الأفخارستية ومكانتها في الديانة المسيحية" – دراسة تحليلية نقدية- لم يبحث من قبل بالرؤية التي طرحناها في أي كتاب أو بحث أكاديمي. وهناك دراسات لبعض مباحث الموضوع أهمها قداس الرسل الأول إفخارستيا عشاء الرب لمتى المسكين، والأفخارستيا لملاك لوقا، لكنها تناولت هذا المعتقد من الناحية التاريخية التحليلية وأبطلت كل الانتقادات الموجهة إليه دون أن ترقى بالدليل العلمي القاطع لأن تكون نماذج علمية أكاديمية.

أما بخصوص الفصل الأخير من البحث في تفنيد أسطورة القربان المقدس فلم نجد أي دراسة اهتمت بحقيقة هذا المعتقد من وجهة نظر إسلامية، عدا بعض الردود والدراسات القليلة المتفرقة، وقد اعتمدنا في تحليل ودراسة آراء هؤلاء العلماء على تحليلنا واجتهادنا الخاص، سائلين الله التوفيق والسداد (آمين).

8-المنهج المتبع في الدراسة:

وكما نعلم فإن طبيعة الموضوع تفرض طبيعة المنهج، وإن المناهج وإن تعددت وتنوعت فإنها متكاملة، ولا يمكن الفصل بينها خاصة في مثل هذه الدراسات.

ولما كانت طبيعة الموضوع تفرض علينا الرجوع إلى الجذور التاريخية وأسبقية الشعوب الوثنية في القول بهذه العقيدة، فقد اعتمدنا المنهج التاريخي، ولمعرفة المفاهيم والمنطلقات الأساسية لليتوجيا، اعتمدنا المنهج التحليلي، ثم المنهج المقارن في ذكر أهم التفسيرات التي وردت في الأفخارستيا عند لوتر وزونجلي وكلفن، وعند الكنائس الاورتدكسية والكاثوليكية الرومانية، وفي

الطقس المصري القديم، باعتبار أنه يحوي طقس أورشليم الأول، بحسب أبحاث ليتزمان.

وأخيرا المنهج النقدي التحليلي في ما ورد من آراء علماء الشرق القدماء والمعاصرين في إبطال سر الاستحالة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال البحث.

9-خطة البحث

قسمتها إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: تمهيدي: في ضبط المصطلحات وشرح أصول الكلمات

وقد أوليته مكانة خاصة في البحث نظرا لأهميته المعرفية في تبيان معاني المصطلحات ومكانتها في الفكر العقائدي المسيحي وقد ضمنته مبحثين :

- **المبحث الأول** : قدمت فيه شرح للألفاظ المعنونة للبحث، عن الليتورجيا، مفهومها وأقسامها وماذا تقدم وعلى ماذا تقوم وكيف تكون الليتورجيا سرا للوحدة؟ وكلها أسئلة نعتبرها أساسية من حيث أنها تعاريف وإيضاحات مرتبطة إرتباطا وثيقا بالموضوع.

ثم عن الأفخاريستيا – موضوع بحثنا – حيث درسناها من الناحية اللغوية والإصطلاحية متتبعين تطور الكلمة في اللغات العبرية ثم اليونانية واللاتينية شارحين الجذور التاريخية الأولى لهذه التسمية وإستخدام يسوع للكلمة وما علاقتها بالشكر.

- **المبحث الثاني** : الطقوس والتقليد وعلاقتهما "بالسر المجيد".

تناولنا فيه الطقوس الكنسية مفهومها وأهميتها في حياة الكنيسة. وكيف أن هذه الطقوس التي تحوي مضمون التعليم الروحي تدخل تحت مسمى آخر أكبر وأعمق ألا وهو "التقليد الكنسي" حيث وضحنا، المقصود بالتقليد وما هي أقسامه بالأسرار وعلى رأسها "سر الشكر".

ثم تطرقنا إلى كيفية تسلم الإنجيليين "عشاء الرب" كتقليد ليتورجي وكيف سجلوه في الأناجيل والرسائل.

مع الإشارة إلى مسألة مهمة وهي العنصر التقليدي الليتورجي ومدى تأثيره على النصوص الأفخاريستية: L' impact de la tradition liturgique sur le texte eucharistique

الفصل الثاني: الأفخارستيا أصولها التاريخية والروحية

وقد قسمناه إلى مبحثين :

المبحث الأول: تحدثنا فيه عن الأفخاريستيا في الأديان عامة وفي العهد القديم على وجه الخصوص حيث تطرقنا إلى ذبيحة العهد على يد موسى والفصح في العهد القديم، ثم قارننا بين الفصح اليهودي وعشاء المسيح الأخير وما تمخض عن ذلك من نتائج.

المبحث الثاني: تناولنا فيه رموز الأفخارستيا في العهد القديم حيث كان الآباء الرسوليين يعتمدون في تقديمهـــم لصـــور وأمثال العهد القديم حتى يسهل عليهم شرح وتوضيح أعمال الله في العهد الجديد : من ذلك، تقدمة ملكيصادق، المن السماوي أو "خبز الخروج"، خروف الفصح ووليمة المسيا.

الفصل الثالث: الأفخارستيا في العهد الجديد : أو تأسيس المسيح "لذبيحة الشكر"

وقد جاء أكثر طولا من الفصول الأخرى لأنه إحتوى على صلب الموضوع وقد ضمنته خمسة مباحث، كل مبحث عالج مسألة رئيسية في موضوع الأفخارستيا:

المبحث الأول: تناولنا فيه المفهوم اللاهوتي لسر العشاء وتسليمه كعمل إيمان وأساس عقيدة، من ذلك الأفعال الأساسية التي ينبني عليها سر الشكر، ثم رواية العشاء الأخير في نصوص العهد الجديد، وهل كان العشاء الأخير فصحيا وماهي المعاني الخفية لكلمات المسيح وقت العشاء وبأي لغة قدس المسيح على سرالعشاء، آرامية أم عبرية؟.

المبحث الثاني: الأفخارستية والأغابي، شرحنا فيه علاقة الأغابي L'agapè : "وليمة المحبة" "بسر الشكر" وكيف تم الإنفصال بينهما وتأثير ذلك على النص الأفخارستي، ثم ملخص لتاريخ الأغابي والمرحل التي مرت بها الأفخارستيا حتى إستقلت تماما عن الأغابي.

المبحث الثالث: وفيه وضحنا صورة الأفخاريستيا في القرنين الأول والثاني في الكنيسة لأنهما القرنان اللذان وسما وحددا طابع ورسم الأفخارستيا من الناحية التاريخية واللاهوتية سواء عند الأباء الرسوليين (Apostoliques) أو الآباء المدافعين (Apologistes).

ثم إلى من يعزى الدور الرئيسي في إرساء هذه العقيدة، أو دور بولس في تأسيس الأفخاريستيا.

المبحث الرابع: أوضحنا فيه المبلغ الرهيب الذي بلغته "الأفخارستيا" حتى إكتسب هذا "السر" القداسة التي تجعله "**يقنن**" في مجامع رسمية ويرفع إلى مستوى العقائد : (La canonisation du

sacrement élevé au rang de dogme!)

حيث تعرضنا إلى قرارات المجمع اللاتيراني 1215 والتريدنتيني 1551 ثم إلى مكانة الأفخارستيا في مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني 1962 – 1965.

المبحث الخامس: عرضنا فيه علاقة الأفخارستيا بالعقائد المسيحية الكبرى من ذلك الأفخارستيا وذبيحة الصليب، القيامة والصعود ثم كيف يتم تحقيق الخلاص من خلال الأفخارستيا.

ثم البعد الإسكاتولوجي للأفخارستيا أو علاقة الأفخارستيا بالملكوت.

الفصل الرابع: تفنيد أسطورة القربان المقدس (الأفخارستيا) من خلال دراسة نقدية للعلماء المسلمين والعلماء الغربيين

وقد ضمنته مبحثين :

المبحث الأول: عرضنا فيه نماذج من نقد العلماء المسلمين "لسر الأفخارستيا" فأوردنا نقد القرافي والترجمان من المتقدمين ثم نقد باجاجي زاده والسقار من المتأخرين.

المبحث الثاني: وقد جعلته للنماذج الغربية التي نقدت العقيدة الأفخارستية حيث أوردنا آراء التحرريون (La critique indépendante) ممثلة في Harris, et Reinach في نقد الأفخارستيا البولينية (البولسية).

ثم تطرقنا إلى أبحاث ليتز مان في نقده للأفخاريستيا ثم إلى نقد أندروميلر من خلال دراساته النقدية التاريخية لتاريخ الكنيسة.

وفي الأخير : خاتمة البحث : وتتضمن أهم النتائج المتحصل عليها من خلال الدراسة.

وإني لأسجد شاكرة لله تعالى فضله وتوفيقه ولسان حالي يردد سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، وهو نِعم المولى ونِعم النّصير.

الفصل الأول:

تمهيدي في تعريف المصطلحات

المبحث الأول: شرح وتفصيل الألفاظ المعنونة للبحث

المبحث الثاني: الطقوس والتقليد وعلاقتهما بالسر المجيد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيـــــد

إن "ســـر الأفخاريستيا" عميق جدا ووجوهه مختلفة ومتشعبة جدا، حتى أنه يصعب استيعاب مضمونه في بعض الفصول، فهو كما يقول فيه متى المسكين : "إن سر الأفخارستيا ينـــبع مـــن مصـــادر أعمق من التاريخ وأعمق من القوانين وأعمق من كل القدرات البشرية ومحدودية الفكر البشري"[1].

وقـــبل أن نتناول البحث بالدراسة التاريخية والشرح اللاهوتي لليتورجيا الأفخارستية، نـــرى من الضروري تقديم شرح لغوي و"تفسير مَسيحي" لأهم المصطلحات الأفخارستية والتي ســـترافقنا طـــوال البحث حتى يسهل فهم الموضوع كما نريد طرحه والوصول إلى الأهداف المبتغاة من وراء البحث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: شرح وتفصيل للمصطلحات المعنونة للبحث

المطلب الأول: الليتورجيا: مفهومها وأقاسمها

فمـــا معـــنى الليثورجـــيا؟ ماذا تقدم وعلى ماذا تقوم؟ وكيف تكون الليثورجيا سرا للوحـــدة؟ كلها أسئلة نعتبرها أساسية من حيث أنها تعاريف وايضاحات مرتبطة ارتباطا وثيقا بالموضوع.

أولا: لغـــة: الليثورجـــيا هـــي كلمة يونانية الأصل مركبة من مقطعين المقطع الأول (ليـــتوس) وتعـــني الشعب والمقطع الثاني (أرغن) أو (أرجن) وتعني عمل والكلمة في معناها اللغوي : "عمل عمومي" أو "عمل الشعب"[1].

كانت تستخدم عند اليونان قبل المسيحية لكل خدمة دينية ولما ترجم العهد القديم إلى اللغـــة اليونانـــية[2] دخلت هذه الكلمة في المصطلحات الدينية وصارت تطلق على خدمات الهـــيكل الـــيهودي[3]. هـــذه الكلمة اليونانية (λειτορΕΙδ) التي ظهرت بالحروف العربية "ليتورجيا" في الترجمات العربية القديمة ابتداء من القرن العاشر[4].

أما كلمة Liturgy في اللغات الأوربية الإنجليزية والفرنسية والألمانية، فصارت تعني: كل خدمات الكنيسة وليس الأفخارستيا فقط[5].

ثانيا: المعنى الاصطلاحي: حيث أريد بالليثورجيا في العهد القديم الخدم التي يقوم بها الكهنة في خيمة العهد واللاّوين في الهيكل (هيكل سليمان). [6]

---

(1)-القمص مينا جاد جرجس: واجبات وقوانين في القداس مكتبة المحبة شارع شبرا، ط2001، ص 14.

(2)-تـــرجم العهـــد القديم إلى اللغة اليونانية بعد القرن الثالث للميلاد، وهي الترجمة السبعينية، التي تضم نصوصا لم يقبلها المجمع التريدنتيني، كمزامير سليمان وسفر عزرا في قانون الكتب الملهمة، كانت السبعينية في زمن المسيح أكثر استعمالا من النص العبري، وتكاد أن تكون الترجمة الوحيدة التي يستشهد بها المعهد الجديد. معجم الإمام المسيحي، ص258.

(3)- (سفر العدد الإصحاح 8 الفقرة 22) (2أخ8: 14)و(لو1: 23)

(4)-مينا جاد جورجس، واجبات وقوانين في القداس، مكتبة المحبة، ط1، القاهرة، 2001م، ص15.

(5)-المرجع نفسه، ص23.

(6)- (خـــر28:30) (لـــو1:23) أعمـــال مؤتمر الرعاية الأبرشية حلب، 2006/2005، الندوات الإعدادية للمؤتمر الـــرعوي، الندوة الأولى: الحياة الليثورجية والرعاية لقداسة الأب الياس فرح مطبعة دار يوسف كمال للطباعة، اسم الناشر مؤسسة القديس أنطونيوس لندراسات الآبائية بالقاهرة، ص 23.

أما في **العهد الجديد** فقد وردت بمعان متعددة:

-فهي ترمز إلى الخِدم[1] اليهودية.

-وهي التعبير عن عمل المسيح الخلاصي[2]: «لكنه الآن قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط أيضا لعهد أعظم قد تثبت على مواعيد أفضل».

-كما يذكرها بولس في حديثه عن العمل الرسولي، وهو يدعو نفسه خادما ليسوع في الأمم[3]: «حتى أكون خادما ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشرا إنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولا مقدسا بالروح القدس».

-وتأتي أيضا بمعنى الأفخارستيا (سر الشكر) [4]: «وبينما هم يخدمون الرب..».

-استعملت في لغة الكنيسة للتعبير عن العبادة المسيحية وبشكل خاص عن الأفخارستيا.

-كما تعني خدمة القُدّاس[5] وبقية الصلوات التي يسمح فيها باشتراك الكاهن والشماس[6] مع الشعب.

فالليتورجيا إذا هي : العمل الذي تقوم به الجماعة المسيحية وتقدم فيه الإكرام والسجود والشكر لله، ولما كانت خدمة الله العامة هي خدمة الصلاة والعبادة، فقد استعمل المسيحيون هذه الكلمة للدلالة على القيام بالعمل الكهنوتي في مجمله، ثم تطور مفهومها فصارت تستعمل للدلالة على الذبيحة الإلهية، وبصيغة أخرى فالليتورجيا هي مجموع الرموز والكلمات والحركات التي تعبر بها الكنيسة بالاتحاد مع المسيح رأسها عن العبادة الواجبة لله[7].

---

(1)-الخِدم Le ministère: التبشير والخدمة هي من متطلبات الحياة المسيحية. والخدمة: هي كل وظيفة تمارس في شعب الله لخدمة الجماعة. معجم الإيمان المسيحي، ص202.

(2)- (عبرا 8 من 2 إلى 6).

(3)- (رو 15 :16).

(4)- (أع 13: 2).

(5)-القداس: بمعنى الأفخارستيا: وهي ذبيحة جسد المسيح تُقرّب على يد الكاهن. معجم الإيمان، ص371.

(6)-الشماس Le diacre: رجال نالوا سلطان إعلان الإشارة والتعميد، ومساعدة الكاهن على المذبح وحمل القربان المقدس وتوزيعه. معجم الإيمان المسيحي، ص286.

(7)- ميا جاد حورحس، واجبات وقوانين في القداس، ص26.

وفي الكنيســـة المســـيحية وابتداء من العصر الرسولي(*) صارت الخدمة أي الصلوات المسيحية مع أعمال المحبة هي ليثورجيا الكنيسة[1].

وقد أبقى المسيحيون الشرقيون على هذه الكلمة فيقولون "ليثورجيا" بمعنى "قداس".

أما كلمة liturgy في اللغات الأوروبية الإنجليزية والفرنسية والألمانية فصارت تعني: كل خدمات الكنيسة وليس الأفخارستيا فقط»[2].

ثالـــثا: المعنى اللاهوتي[3]: ومن أجل الفهم الأفضل لمعنى الليثورجيا و لأجل أبعادها الحقيقية الشاملة علينا أن ننطلق من مفهومها كعلاقة بين الله والإنسان لذلك تجدر بنا الإجابة على السؤالين الآتيين:

ما هي نظرة الإنسان إلى الله؟ أي من هو الله بالنسبة للإنسان؟ والثاني هو عكسه: ما هي نظرة الله إلى الإنسان؟ أي: من هو الإنسان بالنسبة لله؟

-أمـــا الله بالنسبة للإنسان فيتمتع بالمبدأين والميزتين الأساسيتين الأولى أنه الخالق فهو علة الكون ومسببه ومن أوجده والثانية أن الله هو محبة فهو المعتني والراعي والمحامي والسميع والآب أخيرا في التعريف المسيحي المطلق لذلك جاء الإبن يآخينا لندعو معه الآب أبا. [4]

-والإنسان بالنسبة لله يتمتع بميزتين أساسيتين: الأولى أنه سيد هذا العالم وأعطي له أن يستخدمه:«...ويتسلط على طير السماء وسمك البحر..» ولقد خلق الله العالم كله ليضعه في تصـــرف الإنسان وخدمته فله أوجد الله كل شيء. والميزة الثانية أن الإنسان وكما ينتظر الله يتناول هذه الهدية-العالم- من الله شكريا.

(*)-العصر الرسولي: هي الفترة المتعلقة بالرسل أو التلاميذ الاثنى عشر الذين اختارهم ياسوع ليكونوا شهوده لدى العالم، ولا سيما شهود قيامته ومعلني بشارته (متى 2/10)، (متى 19/28)، وبعد ارتداد يهوذا الإسخريوطي ضم متيا إلى مجموعة الرسل (رسل 26/1) ثم ضم العصر الرسولي في معناه الأوسع الآباء الرسوليين الذين كانوا -بزعمهم- على علاقة بالرسل أنفسهم: إكليمندس وإغناطيوس، معجم الإيمان المسيحي، ص234.

(1)-ميا حاد حرجس: واجبات وقوانين في القداس، مكتبة المحبة، ط 2001، شارع شبرا، القاهرة ص 15-16.

(2)-المصدر نفسه، ص 23.

(3)-اللاهوت: علم المسائل الدينية، وهو يقوم أساسا على النصوص المقدسة والعقائد والتقليد. معجم الإيمان المسيحي، ص 412.

(4)-ملاك وقور: الأفخارستيا، مكتبة محبة، ط 1991، شارع شبرا، القاهرة، ص 11.

فكمـــا أن الله هو الخالق، الإنسان هو مستخدم وكما أن الله واهب ومحب فالإنسان شاكر وأفخارستي.

لذلـــك لا يمكـــن أن نفهم علاقة الله بالإنسان أو علاقة الإنسان بالله إلا من خلال طريقة تعاطيهما الواحد مع الآخر من خلال العالم.

فكيف يتعاطى الإنسان مع العالم هو الأمر الذي يحدد نجاح أو فشل علاقته مع الله.

فالعالم ليس كيانا مستقلا عن علاقة الإنسان بالله بل العكس تماما، إنه الموضوع المادة التي يعبر فيها الإنسان وبواسطتها عن مفهومه للعلاقة مع الله[1]:كما تعتقد الكنيسة.

وبمعـــنى آخر فإن الليثولجيا تعني علاقة الإنسان مع الله من خلال العالم بتأديته لدوره الأفخارستي الكهانوتي.

-والليثورجيا غير الطقوس[2]، بحيث الطقوس هي وسائل وتعابير لإحياء الليثورجيا.

فالليثورجيا إذا هي تبادل العالم مع الله في علاقة أفخارستية.

والليثورجا هي عمل/ وعملية تقدمة العالم /بواسطة الإنسان/ لله/ وتحويل الكون كله/ وبكل مسائله /إلى ذبيحة تسبيح.[3]

مـــن هـــذا المفهـــوم للّيتورجيا، نستطيع أن ندرك بأن الكنيسة تحيا بالليثورجيا وفي الليثورجيا وأن الليثورجيا هي "عمل الشعب" أي عمل الكنيسة وحياتها وغاية وجودها.[4]

إذن من هذه النظرة إلى الليثورجيا نقول أن كل اللاهوت بكل أجزائه ما هو إلا تعبير وتسبحة أفخارستية[5]، تريد أن تشكر وتفسر المحبة والهبة الإلهية.

كما أن الليتورجيا هي طريقة عمل وحياة تعني أن يقبل الإنسان العالَم والكون إيجابيا من الله-

---

[1]-سليمان نسيم: طقوس في الكنيسة، جـ1، مكتبة المحبة، ط 1993، القاهرة، ص 103.

[2]-طقوس: جمع طقس: وهي مجمل الصيغ الخاصة بكنيسة من الكنائس، معجم الإيمان المسيحي ص 283.

[3]- سليمان نسيم: طقوس في الكنيسة، ص 106-107.

[4]-المصدر نفسه، ص 111.

[5]-تسبحة: الاعتراف والهتاف بعظمة الله وهي الترنيمة الملائكية للسرافيم والشاروبيم، معجم الإيمان المسيحي ص145.

لذلك فالأفخارستيا سر الشكر هو سر الأسرار وهو تاج الليثورجيا ونهايتها[1].

ومن التعاريف اللاهوتية التي لا تخرج عن المعنى الاصطلاحي للكلمة:

-**الليثورجيا سر الوحدة:** يعتقد المسيحيون أنه في الأساس ليس سوى مذبح واحد وليثورجيا واحدة هي المسيح نفسه قائما من بين الأموات. فبالليثورجيا يخرج المسيحي من إطار الزمن الأرضي ليعيش مع الرب في علاقة دائمة معه.

-**والليثورجيا هي إقامة علاقة دائمة مع الله** يتم من خلالها إحياء الإنسان وإحياء الجماعة، إحياء من الموت -موت الخطيئة-، "الخطيئة" التي تعني في مفهومها الأولي انقطاع علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان بسبب من الأنانية والمصلحة الفردية، فتأتي الليثورجيا مقدمة عملا مشتركا فيه عبادة واحدة بصوت واحد وإيمان واحد، هذه الجماعة التي يجمعها معا جسد المسيح -الكنيسة-الذي يتناوله الجميع فيها[2].

-**والليثورجيا ترافق مسيرة حياة الجماعة:** فمنذ الولادة يُصحب المسيحي بصلاة الكاهن الذي يطلب من الله أن يدخل المولود في شركة الإيمان مع الجماعة. حيث المعمودية تدخل في عداد الجماعة المسيحية المدعوة إلى الاتحاد بالله والتأله (Déification) بإستدعاء مواهب الروح القدس ثم المناولة التي تمنح المسيحي الشركة الحقيقة مع الرب القائم من بين الأموات والآتي بمجد عظيم.

هكذا تكون الليثورجيا سر الوحدة من خلال الجماعة المشتركة في العبادة والتي نسميها "جماعة ليثورجية" تبرز من خلالها العلاقةبين كل مؤمن مع أخيه المؤمن وكذلك العلاقة بين الجماعة كجسد واحد والمسيح رأسها.

-هذه الصورة الجميلة والمثالية -بحسب المعتقد المسيحي- تتحقق في كل قداس إلهي:

---

(1)-Maurice Brillant : Eucharistie : Encyclopedie, Universelle sur l'eucharistie, Librairie Bloud et Gay, Paris, 1934, P581.

(2)-Le Docteur Nicolas Gihr: Le saint sacrifice de la messe, Explication dogmatique, Liturgique et ascétique, Traduit par: L'Abbé L-Th Maccond, T1, Imprimateur, Paris, 1899. -Couleurs liturgiques, P328.

-L'autel chretien, P255.

-Les ornements sacerdotaux, P291.

فعلى المذبح أين يضع الكاهن الحمل (المسيح) في الوسط ومن حوله القديسين والشاروبيم[1] والسرافيم[2] بحضرة الأسقف والكهنة والشمامسة. هكذا تتحقق هذه الوحدة مع المسيح وفي المسيح –بحسب اعتقاد المسيحيين طبعا-!.

والمسيحي يحتاج إلى تجسيد هذه الوحدة في حياته أي بعد خروجه من بناء الكنيسة، فكيف يجعل من الليثورجيا انطلاقة وهدف؟ وكما تبين أن الليثورجيا هي وسيلة لتحقيق الوحدة المنشودة في الرعية[3] فهي كذلك هدف يجب أن تحققه الرعية في كل أعمالها والتي تنصب في الذبيحة الشكرية - le sacrifice eucharistique – الإلهية التي ترفعها الجماعة المؤمنة إلى الله مقدمة إليه العبادة والشكر حاملة إليه فيها الهموم والشدائد والأتعاب واضعة الله في وسط الجماعة الذي إن سكن في وسطها فلن تتزعزع –هذا لكي ننقل بأمانة كيف يعيش المسيحيون الليثورجيا في واقعهم المعاش–.

–والليثورجيا ذاكرة تاريخية: حيث يطلعنا التاريخ بأنه في أحلك فترات الكنيسة عندما ضعفت الرعاية وشح الوعظ والتعليم عاشت الكنيسة على القداس الإلهي والمعمودية والإكليل[4] وأعياد القدسين وبالليثورجيا استمر المؤمن في انتماءه للكنيسة بالرغم من كل الظروف الصعبة والاضطهادات.

كل هذا يؤكد أهيمة الليثورجيا في الحياة المسيحية من ناحية حفظ الإيمان واستمرار الوحدة بين أفراد الشعب[5].

***أما عن واقع الليثورجيا اليوم:** فيكون بتسليط الضوء على بعض الجوانب التي جعلت الليثورجيا (عمل الشعب) قالبا مسرحيا يحضره الشعب بدل أن يكون العمل الجوهري

---

[1]–شاروبيم: كائن فائق الطبيعة البشرية وضعه الله لحراسة الفردوس الأرضي بعد طرد آدم وحواء وفي التقليد المسيحي هو ملاك ذو مرتبة دون مرتبة السراف، معجم الإيمان المسيحي ص 396.

[2]–سيرافيم: خليقة مجنحة غامضة لها يدان وصوت تقوم بالحراسة أمام الرب، لم يرد ذكرها إلا في أشعيا (أش 6: 2-6) وكلمة سيراف بالعبرية تعني "الحية" معجم الإيمان المسيحي ص 260.

[3]–الرعية: منطقة كنيسة يخدمها كاهن مكلف بإعلان البشارة إلى مجموعة معينة، معجم الإيمان المسيحي، ص 236.

[4]–الأكليل المقصود هنا إكليل الشوك: يرمز إلى الفقر والذل من ذلك إكليل الشوك الذي وضعه الجنود إذلالا للمسيح وسخرية به (متى 27: 29) معجم الإيمان المسيحي، ص 58.

[5]–مينا حاد جرجس: واجبات وقوانين في القداس، مكتبة المحبة، ط 2001، شارع شبرا، القاهرة، ص 26.

لهذا الشعب وسنكتفي بالحديث عن "مصطلح الشعب" في واقع الليثورجيا اليوم:

فما الذي نعنيه بالشعب أو "شعب الله" هل هم العلمانيون[1] أي غير المكرسين؟

لقد ساد الاعتقاد بأن التكريس[2] خاص بالإكليروس[3] وهم المكرسون، أما العلمانيون فهم المسيحيون غير المكرسين، وأن "شعب الله" مؤلف من العلمانيين فقط أما الإكليروس فهم حالة مميزة "فوق" هذا الشعب.

بينما التعريف الحقيقي لـ"شعب الله" يشمل الإكليروس والعلمانيين معا، فالشعب كله مكرس لله الآب[4]، الذي افتدى البشرية بدم ابنه فصاروا بذلك شعب الله.

وتكريس العلمانيين يأتي من سر الميرون[5]، المقدّس، فكل معتمد ممسوح[6]، يكرَّس ليكون نبيّا وكاهنا.

---

(1)-العلمانيون: جمع علماني: هو من لم يكن من رجال الإكليروس، بل عضو عاديا من أعضاء الشعب. والعلمانية: حالة ما هو غير خاضع للسلطة الدينية. معجم الإيمان المسيحي، ص320.

(2)-التكريس: تخصيص لخدمة الله وعبادته: تكريس الحياة، تكريس كنيسة. معجم الإيمان المسيحي، ص152.

(3)-إكليروس: مجموعة الإكليريكيين، أي غير العلمانيين، وهناك الإكليروس القانوني الذي أعضاءه رهبان، والإكليروس العلماني الذي لا ينتمي إلى مؤسسة رهبانية، والإكليريكي: هو من اختار خدمة الكنيسة أو طالب لاهوت يتبع دروسا إكليريكية. معجم الإيمان المسيحي، ص57.

(4)-الآب: اسم أوحى به الله ؛ أوحى الله أولا بأنه أبو إسرائيل بالاختيار (إش 45: 10) وبالتبني (تث32: 6). وعلّم يسوع بأن يُصَلَّى إلى الله قائلين "أبانا" (متى 6: 9)، وهو اسم سمى به ياسوع ذلك الذي أرسله "أبي وأبوكم" (متى 7: 21)، ففي المسيح ومع المسيح نستطيع بالنعمة التي يمنحنا إياها أن نقول لله "بابا" بوجه جديد وخاص. والآب الأقدس عند الكاثوليك: تسمية للبابا الروماني. معجم الإيمان المسيحي، ص2.

(5)-الميرون: زيت زيتون معطر بالبلسم (وهو خمر عنب صرف يضاف إليه 35 نوعا من الطيوب)، يطبخ ويكرس (يقدس) يوم خميس الأسرار، يوزع على الكنائس للدلالة على الوحدة بينها، يستعمل لمنح سري المعمودية والتثبيت. معجم الإيمان المسيحي، ص496.

(6)-ممسوح: في الكتاب المقدس عدة أنواع من المسحة، المسحات الجسدية بالزيت للمرضى، والمسحة الطقسية التي هي عبارة عن صب الزيت لتكريس الأشخاص للرب (تك 28: 18). ومسحة الملوك: رتبة تتويجهم، دلالة على التنصيب الرسمي للمهمة الملكية (1 صم 10: 11)، ومسحة الأنبياء: للتعبير عن تناقل الرسالة النبوية وفيض روح الرب (أش 61: 1)، والمسحة الروحية: هي روح القدس الحال في قلب المسيحي، ومسحة المرضى هي أحد الأسرار السبعة، وفي العهد الجديد تعبر المسحة على يسوع المسيح الذي مسحه الآب (رسل 4: 27) في الروح القدس (رسل 10: 38). معجم الإيمان المسيحي، ص456.

أمّـــا تكـــريس الإكلـــيروس فهو تكريس وظائفي في شعب الله، ليكون كهنوت[1] المسيح-الكاهن[2] الأوحد- ممتدا إلى كهناته.

من هنا إذا فالليتورجيا ليست عملا يؤديه الإكليروس ويحضره الشعب، بل هو العمل الذي يشترك في إتمامه شعب الله "إكليروس وعلمانيين"[3].

فالليتورجـــيا هي إذن كما أسلفنا الذكر، مجموع الرموز والكلمات والحركات التي تعبر بها الكنيسة بالاتحاد مع المسيح رأسها عن العبادة الواجبة لله[*]، علما بأن الليتورجية الإلهية (القداس) أو الذبيحة الإلهية[4] هي العمل الطقسي[5] المثالي في الكنيسة.

***أقسام الليتورجيا[6]:**

من سفر الأعمال نجد أن أهم مكونات الليتورجيا هي: التعليم، الوعظ، الصلاة، كسر

---

[1]-كهـــنوت: وظـــيفة من كان لهم امتياز المقدسات أو بعض الصلات العامة بالألوهة، كتقريب الذبائح والصلاة وتبليغ الشـــعب تعاليم الله وبركاته، ويسوع لم يطلق على نفسه لقبا كهنوتيا وإنما وصف رسالته بألفاظ كهنوتية بأن موته ذبيحة ووظيفـــته إكمـــال شريعة موسى (متى 5:17). أما كهنوت المؤمنين، فيظهر بتقدمة الذبيحة وخدمة الكلمة، وهي القسم الأول مـــن القـــداس (مركز على قراءة وشرح كلمة الله في الكتاب المقدس)، وهناك الكهنوت الوظيفي إنه كهنوت قادة الشعب الكهنوتي: رسل أولا ثم شيوخا وأساقفة وكهنة. معجم الإيمان المسيحي، ص405.

[2]-كاهن: في العهد الجديد يحمل المسيح وحده لقب كاهن في شعب الله الجديد، وشعبه: جميع أعضاء جسده، يشتركون بالإيمـــان والمعموديـــة في كهنوته، والكهنة والأساقفة يشتركون على وجه خاص في كهنوت المسيح الواحد. معجم الإيمان المسيحي، ص391.

[3]-فاضل سيداوس: يسوع المسيح في تقليد الكنيسة، ط2، 1988، السكاكيني، القاهرة، ص30-34

E.Schillbeeckx: La présence du christ dans l'eucharistie, Edition de cerf , Paris, 1970, P88.

[*]-«..بالاتحاد مع المسيح رأسها..»: تعبر عن وحدة المسيحيين العضوية حتى في أجسادهم (روم 11/8) بفضل رتبتي المعمودية والأفخارستيا (1 كور 16/10) بجسد المسيح القائم من الموت والحي بالروح القدس (روم 4/1)، هذا الجسد هو الكنيسة (أف 22/1) والمسيح رأسها، وهو هذا الجسد الذي نسميه اليوم (الجسد السري)، أي جسد "سر الأفخارستيا": (روم 4/12) (1كور27/12). معجم الإيمان المسيحي، ص174.

[4]-الذبـــيحة الإلهية: هي تسمية حديثة للقداس: وهي ذبيحة أسرارية أو علامة أسرارية لذبيحة الصليب: إنها ذبيحة العهد الجديد: ذبيحة الشكر للآب أسسها المسيح في العشاء الأخير عشية آلامه (لو22: 19-20). معجم الإيمان المسيحي، ص 224.

[5]-العمل الطقسي: عمل متعلق بالعبادة. والطقس هو مجموعة الصيغ الليتورجية الخاصة بكنيسة من الكنائس، ص309.

[6]-مينا جاد جرجس: واجبات وقوانين في القداس، مكتبة المحبة، القاهرة، 2001، ص15.

الخبز[1].

وقـــد ذُكِرتْ هذه العناصر بطريقة واضحة في سفر الأعمال، مما يؤكد أن الليثورجيا تنقسم إلى:

-الجزء الخاص بالتعليم والوعظ والصلاة.

-الجزء الخاص بكسر الخبز أو العشاء الرباني.

وصار الأول يعرف فيما بعد بقداس الموعوظين[2]، والثاني بقداس المؤمنين[3].

-الليثورجـــيا وتحقـــيق الخلاص[4] :عنوان يحتل المكانة الأولى في دراسات اللاهوتي الليـــثورجي حيث أن الاحتفال الليثورجي يدخل الكنيسة مباشرة في سر الخلاص فهو تحقيق للـــتدبير الإلهي[5] والتدبير من المصطلحات الأكثر أهمية في اللاهوت المسيحي عامة واللاهوت الليثورجي بنوع خاص[6].

فلفـــظ الـــتدبير رجع إلى تاريخ العلاقة بين الله والإنسان، إنه يعود إلى مرحلة الخلق الأول. والـــتدبير الخلاصي هو تواصل تاريخ هذه العلاقة:«سقطة آدم وتدخل الله الخالق من

---

(1)- (أع2: 46/42) (أع20: 8).

(2)-قـــداس الموعوظين: هو قسم القداس الذي يسمى (خدمة الكلمة)، الذي كان الموعوظين يقبلون فيه والذي كان يختم بصـــرفهم. والموعوض هو البالغ الذي يرغب في الاعتماد (الاستنارة) ويتلقى التعليم المسيحي. معجم الإيمان المسيحي، ص 371-490.

(3)-قـــداس المؤمـــنين: هـــو القسم الثاني من القداس (خدمة القرابين) الذي كان مقصورا على المعمدين وكانوا وحدهم يستطيعون أن يتناولوا. معجم الإيمان المسيحي، ص372.

(4)-René Marlé: les quatre pilliers de la catéchèse, Imprimé en Belgique librairie artheme Fayard .1988 p190.

(5)-الـــتدبير الإلهي: يعني أن تاريخ البشرية لا يجري وفق لدوافع قدر أعمى بل هو نتيجة لإرادة الله يستقطبه من أوله إلى آخـــره ذلك الهدف الذي حدده الله منذ الأزلية ذو الوجهان الأساسيان: الخلاص في الميسحي وشمولية هذا الخلاص، معجم الإيمان المسيحي، ص 141.

*-الخـــلاص: المقصـــود به في التعريف"الخلاص في المسيح": التحرير من الخطيئة والموت بما نالته البشرية من فصح يسوع المســـيح: حيـــث يُجرد المسيحي من الخطيئة ويشارك في الحياة الإلهية ويَغْنَمُ ذلك بدخوله الحياة الأبدية بعد الموت بالقيامة العامة والمشاركة في أورشليم السماوية، معجم الإيمان المسيحي، ص 204.

(6)-المصدر السابق، ص190.

عهـــد[1] إلى آخر (عهد نوح وإبراهيم وموسى) إلى أن تُوّج تدخله في ملئ الزمن[2] بإرسال ابنه الوحيد يسوع كلمته المتجسد ليحقق مشروع الخلاص[3] من أجل حياة الإنسان فالتدبير الإلهـــي[4] يلخص كل مراحل التاريخ والليثورجيا ترتكز على التدبير الإلهي وهي احتفال بهذا التدبير.

بمعـــنى أنهـــا تلخيص واستحضار آني (Actualisation:تأوين) لكل مراحل التاريخ

---

[1]-الخلـــق: في تصـــور الكـــتاب المقدس هو عمل يظهر به الله العالم حيث لم يكن هناك شيء "فيهوه" هو الذي يعطي الوجود، هو الخالق: في البدء يخرج الله العالم (السماء والأرض)،(تكوين1:1) ويصل هذا العمل إلى قمته في خلق الإنسان الذي سيكون على صورة الله كمثاله لا تتم الأحداث إلا بأمره تعالى، فهو بكل معنى الكلمة يخلقها (أشعيا 4: 6-7) ولا ينـــتهي التاريخ المقدس في الزمن الحاضر فهو يسير نحو هدف تنبئ به النبوات الأسكاتولوجية: الخلق الجديد الذي سيحدث في المسيح، ففي البدء كان الله قد جعل آدم رئيس جنسه وسلم إليه العالم لكي يخضعه تحت سلطانه وفي نهاية الأزمنة دخل ابن الله المتجسد في التاريخ كآدم جديد (1 كور 15: 21-45 و رومية 5: 12 -18) جعله الله رئيس الجنس البشري المفـــدي (كولوســـي 1: 18)(أفسس 1: 22-23) وأعطاه كل سلطان على الأرض (متى -آخر إصحاح-28: 18) (يوحـــنا 17: 2) ووضع كل شيء بين يديه وجعله وارثا لكل شيء (عبرانيين 1: 2، 2: 6-9) بحث أن كل شيء يجب أن يجدد في المسيح، ما في السموات وما على الأرض (أفسس 1: 10)، لأن المسيح إذ هو حاصل على ملئ الروح (مرقس 1: 10)، (لوقـــا 4: 1)، يستطيع أن يمنحه لسائر الناس لكي يجددهم داخليا ويجعل منهم خليقة جديدة (غلاطية 3 إلى 17 مـــن 26 إلى 28)، (يوحنا 1: 12) هذا الخلق الجديد الذي ابتدأ في العنصرة فالإنسان الذي خلق من جديد داخليا يثن منتظرا فداء جسده في يوم القيامة (رومية 8 :23)، هكذا سيتم الخلق النهائي لعالم متجدد بعد نصر الحمل النهائي في أورشليم الجديدة سيختبر الشعب الجديد سعادة الفردوس (اشعيا 65: 18). اقتباس بتصرف عن معجم اللاهوت الكتابي، ص 326/328/330.

[1]عهد: ورد في الكتاب المقدس بوصف العلاقات القائمة بين الله والبشر منها معاهدات الله مع نوح (تك 6و8: 21-22) وإبراهيم (تك 15: 1-18) والشعب في سيناء ثم العهد الجديد (لوقا 22: 20):"...هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم"، معجم الإيمان المسيحي، ص 337.

[2]- ملـــئ الزمن: هو تجسد الابن وعمله الخلاصي فيه يتم الزمان: زمن النعمة والرحمة، زمن الخلاص والمصالحة، (معجم الكـــتاب المقدس)، وكلمة ملئ: لفظ عسير التفسير ورد في رسائل بولس وهو قد يدل على الكون الحال في المسيح ويعني اكتمال الزمان ومجيئ الأزمنة المشيحية. معجم الإيمان المسيحي، ص 478.

[3]- الخـــلاص: هـــو الانتشال من الهلاك وإعادة السلامة، وبما أن مصدر الهلاك هو الخطيئة والموت فأول عناصر الخلاص الحقيقي الروحي هو التحرير من الخطيئة والموت.

إن الخلاص الذي حصلت عليه البشرية ناله المسيح لشعبه-باستحقاق- بجسده ودمه المبذولين عن العالم. والخلاص يناله كل واحـــد: بالمعمودية فيتحرر من الخطيئة وبالأفخارستيا فيشارك في الحياة الإلهية بعبوره من الموت إلى الحياة الأبدية عن طرق القيامة في انتظار المشاركة في أورشليم السماوية: مدينة نهاية الأزمنة التي ستجمع المختارين حيث يسود البر والسلام،معجم الإيمان المسيحي ص 72، 204 و معجم اللاهوت الكتابي، ص 412.

[4]-التدبير الإلهي: هو القصد الإلهي فيما يعود إلى خلاص البشر (أف 3: 5)، معجم الإيمان المسيحي ص 141.

إستنادا إلى شخص يسوع المسيح وإلى عمله الليثورجي الفصحي (liturgie pascale): موته وقيامته وصعوده وإرساله الروح الذي ما يزال يحل على الجماعة (جماعة المؤمنين إثر كل تجمع ليثورجي من خلال ممارسة الأسرار) وبذلك يحقّقْ الخلاص الذي تم منذ ألفي سنة مرة واحدة ودائمة.

فالعمل الليثورجي يعكس تدبير الله الآب التاريخي الخلاصي حيث تعكس النصوص الليثورجية ولا سيما الأفخارستية منها تدبير الآب (Dessein de Dieu: Design of god) أي ما نسميه "زمن الآب" وهي المرحلة التي تبدأ مع الخلق الأول وترسم كل تاريخ العهد القديم الذي يعبر عن رحمة الله ومحبته اللامتناهية للبشر وتصل ذروة هذه المرحلة إلى "ملئ الزمن" أي إلى ما نسميه "تدبير الابن" أو "زمن الابن" وهو دخول كلمة الله في التاريخ وهنا تُرسم كل حياة يسوع التاريخية أي تدبيره الحياتي منذ ولادته وعماده وآلامه وموته وقيامته وصعوده إلى السماء، فإن كل هذه المرحلة خلاصية وتأتي لتتوج تدبير الآب، وتكتمل هذه المرحلة بما نسميه "تدبير الروح أو زمن الروح" وهو حلول الروح على الرسل والتلاميذ في العلية: هذا الروح الذي يختم ويكمل في الجماعة وفي العالم الخلاص الذي حققه الابن، هذا الروح المنبثق من الآب، وروح الابن القائم هبة الابن لرسله لتحقيق مشروع التحول: وهكذا وبحسب الإيمان المسيحي فإن الكنيسة ما زالت تستدعي الروح (l'epiclése) فيأتي ويحل ويحول[1].

وبهذا يكتمل كل عمل ليثورجي إذ هو ذكر (memorial) أي استحضار لكل التاريخ الخلاصي إنطلاقا من الحاضر الاحتفالي ومن هذا الحاضر الاحتفالي تعود الكنيسة لتعيش مسيرة التاريخ الخلاصية بكل مراحلها:

أي تعود إلى الماضي الذي يرتكز على الحدث الأقوى وهو الفصح: موت المسيح وقيامته ومنه إلى الحاضر الذي هو "اشتراك آني" بحدث الموت والقيامة ومنه نحو اكتمال هذا الخلاص في المستقبل وهنا يظهر البعد الاسكاتولوجي (أخروي) الذي هو اكتمال ما سبق وما تحقق.

فالاحتفال الليثورجي في الكنيسة إذا مثلث الأبعاد:حاضر احتفالي-(ماض خلاصي،

---

[1]-القمص يوحنا سلامة: اللآلي النفيسة في شرح طقوس الكنيسة، ط04، 1993، لجنة التحرير والنشر، بمطرانية بني يوسف، دار الجيل للطباعة، جـ1،ص 103-107

وحاضر خلاصي)-مستقبل اسكاثولوجي.

لكن كيف يكون تدبير الروح وكيف يحقق الروح[1] القدس ليثورجيا الكنيسة فكما نـــزل عـــلى جماعة الرسل وقدسهم وجددهم وأطلقهم ليكونوا شهود لهذا الخلاص في العالم فهـــو-الروح- يستمر في كل عمل ليثورجي إذ هو العنصر المكمل والمحقق للخلاص في حياة الجماعـــة الحاضرة وهو الذي يحي ويقدس هذه الجماعة وهذه الأسرار[2] التي تتمحور حولها ليثورجيا الكنيسة[3]. هذه هي الرؤيا المسيحية لليتورجيا بكل أبعادها (البعد التاريخي ثم الحاضر الاحتفالي والبعد الاسكاتولوجي.

المطلب الثاني: الأفخارستيا

تمهيد:

مـــن المؤكـــد أن آخـــر عشاء أرضي للمسيح كانت له صفة خاصة تماما فبواسطته تأسست الإفخارستيا:

«فالمائدة هنا أصبحت مائدة ذات صفة دينية حاوية على سر الكنيسة في العهد الجديد والتي تقوم بذلك حتى مجيئه الثاني في مجد العشاء السري تذكارا[4] له».[5]

ففـــي هـــذا الســـر وبواسطته يعود "المسيح الممجد" إلى شعبه عندما يجتمع الكل في الكنيسة-بحسب اعتقاد المسيحيين-إذ تصبح -مائدة ربيّة- (على حد تعبيرهم) يصحب فيها

---

[1]-الروح القدس: هو الأقنوم الثالث من الثالوث-استحقه لنا المسيح بفصحه ومنحنا إياه بالروح القدس-وهو الذي يؤله نفوسنا ويفتتح الأزمة الأخيرة ، معجم الإيمان المسيحي، ص 240، ومعجم اللاهوت الكتابين ص 385إلى 389.

[2]-الأســـرار: جمع سر، في العهد الجديد فإن الكلمة تظهر في الأناجيل الإزائية بمعنى تعليم مخفي أتى يسوع ليكشفه وهو بشرى الله لناس وفي رسائل بولس يدل السر على معرفة الخفية لا تكشف إلا بالوحي والعنصر الأساسي في السر هو تدبير الله الخلاصـــي. وسر الإيمان هو سر الخلاص وهو قلب الوحي والمعتقد المسيحي (1تيم: 3-9):« ولهم سر الإيمان بضمير طاهر»، معجم الإيمان المسيحي، ص 260-279.

[3]-القمـــص صـــليب ســـوريال: مذكرات في اللاهوت الطقسين الكلية الإكليريكية العليا، د ت،جـــ1،ص 95-97. القاهرة.

[4]-تذكـــارا:anamnése ورد في رواية تأسيس سر القربان أن المسيح أوصى رسله بأن" اعملوا هذا لذكري (لو22: 19)" فالكـــاهن يذكر هذه الوصية بعد تقديس الخبز والخمر ويذكر جميع مراحل أعمال المسيح الخلاصية التي صنعها من أجل البشر، معجم الإيمان المسيحي ص 225.

[5]-الأرشيمندريت حنانيا إلياس كساب: مجموع لشرع الكنسي منشورات النور، دار الينبوع الثقافي، 1975، القاهرة، ص 87.

المسيح شعبه بالروح القدس وبحضور جماعة المؤمنين معا إلى العشاء الآفخارستي فيعلمون يقينا أن:"محبة المسيح تحصرهم"[1].

فسر "المحبة المصلوبة"[2] يفترض الشركة والإنفتاح الكلي نحو الآخر فيتناول المسيحي الكأس الآفخارستي باستحقاق تام:

« إذ أننا بالمحبة نصبح نحن الكثيرين واحد بالشركة».[3]

« فلما كان هناك خبز واحد فنحنا على كثرتنا جسد واحد لأننا نشترك كلنا في الخبز الواحد» (1كور10: 17).

انطلاقـــا من هذه المقدمة يتضح بأن (الأفخارستيا هي محور الحياة المسيحية)[4] وهي ينـــبوع التبشـــير كله (الكرازة) وقمته وهي كما يصفها القديس يوحنا "ذهبي الفم"[5] الذي استحق أن يدعى بحق أستاذ الآفخارستيا (DOCTORE Eucharistae)[6] بقوله: « رسم مخلصـــنا في العشاء السري ذبيحة الآفخارستيا وعلامة الوحدة ورباط المحبة والوليمة الفصحية التي فيها يؤكل المسيح وتمتلئ النفس بالنعمة[7] وتعطي عربون المجد الأبدي[8] ».[9]

---

[1]- (كورنيتوس 5: 14).

[2]-المحبة المصلوبة: اسم من أسماء الأفخارستيا، لأن المسيح أسس العشاء الأخير ليلة صلبه وفدائه. ملاك لوقا: الافخارستيا، ص11.

[3]- الأرشيمندريت حنانيا إلياس كساب: مجموع لشرع الكنسي منشورات النور، ص 89.

[4] philippe ferlay Abregé de la foi catholique- Desclée PARIS 1986 p 184.

[5]-يوحنا ذهبي الفم Jean de Chrisostome: لُقّب بـــ"فم الذهب" لبراعته في الكلام وفصاحته.

[6]-القمـــص تـــادرس يعقـــوب ملطـــي: أقوال الآباء وكتاباتهم: الكلية الإكليريكية، ط 1980، الإسكندرية، جـــ4، ص 239-241.

[7]-النعمة: هي عطية من الله لخالقته الناطقة ترفعها إلى حالة التبني وإلى الاشتراك في الحياة الإلهية وهناك النعمة الحالية وهي الـــنعمة الثابتة والنعمة الفعلية وهي النعمة الممنوحة عند القيام بالعمل، معجم الإيمان المسيحي، ص 516، ومعجم اللاهوتي الكتابي، ص 807.

[8]-المجد الأبدي: هو مجد الله نفسُه في إظهار نفسه بقدرته وأعماله في الخليقة وفي تاريخ الخلاص -ويسطع مجد الله خاصة في المســـيح "شـــعاع مجده" (عبرا 1: 3)، ولا سيما في صليبه وقيامته وصعوده (لوقا 24: 26). كما يظهر الله نفسه في الإنســـان المؤمن يقول إيرناوس: "مجد الله هو الإنسان الحي" فالمسيحي إذن هو شعاع مجد الله. معجم الإيمان المسيحي ص 434.

[9]-القمص تادرس يعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، جـــ4، الكلية الإكليريكية، ط 1980، الإسكندرية، ص 254.

فالأفخارستيا هي ينبوع وقمة كل حياة مسيحية. "هذه الحقائق" -بحسب اعتقاد المسيحيين- مبنية على أمر السيد المسيح لرسله «اصنعوا هذا لذكري» هذا ما فعل الرسل والتلاميذ وواصلت الكنيسة هذه الوصية مُطوِّرةً طقوس الوليمة[1] بحسب ظروف الزمان والمكان: حيث قسمت الوليمة إلى وليمتين وليمة الكلمة ووليمة الذبيحة (كما سيأتي بيان ذلك فيما بعد وتنوعت النظرة اللاهوتية والحياتية إلى هذه الوليمة: فهي شعيرة[2] مسيحية وممارسة دينية وفريضة كنسية وانتظار لمجيء اسكاتولوجي وبهذا دعيت الآفخارستيا "سر الأسرار" وينبوع الحياة الروحية المسيحية.[3]

إذا ما معنى كلمة أفخارستيا ولماذا سميت كذلك ومن هو أول من اطلق هذه التسمية على "سر الشكر"؟

أ-لغة: كلمة أفخارستيا يونانية الأصل تعني عرفان الجميل والامتنان وبالتالي إبداء الشكر وإذا رُفع هذا الشكر إلى الله اتخذ شكل صلاة ولا سيما شكل بركة لعجائب الله أو شكل تسبيح أو حمد لإحساناته ويكون هذا الشكر مصحوبا "بتذكار" تُستحضر به ذاكرة الماضي.

وكما جاء في (متى 26: 26-29) (مرقص 14: 22-25) و(لوقا 22: 15-20).

فالأفخارستيا بركة وشكر خاص رفعه يسوع في عشائه الأخير في إطار عشاء الفصح:

«lors du dernier repas du seigneur dans le cadre du diner pascal».[4]

وبمعنى آخر أن هذا العشاء هو تجديد أسراري للقداس أي ما تليت عليه البركة وقُدِّس في ذلك العشاء الذي كان افتتاح للدين المسيحي: أي الخبز والخمر اللذان يقدسان وهما علامتان أسراريتان لتقدمة المسيح الذي كان حمل الفصح قد مثلها من قبل.

---

(1)-الوليمة: كثير ما وردت هذه الكلمة في الكتاب المقدس للكناية عن الملكوت السماوي . والملكوت السماوي هو: ملكوت الله الذي نادى به المسيح (شريعة المحبة)، معجم الإيمان المسيحي، ص 481، 543.

(2)-شعيرة: هو إكرام ديني يؤدى إلى الله أو إلى القدسيين أو إلى صورهم وذخائرهم، معجم الإيمان المسيحي، ص 283.

(3)-المصدر نفسه، ص 455.

(4)-معجم اللاهوت الكتابي: فاضل سيداوس وصبحي حموي وجورج قنواتي، ص 181. ومعجم الإيمان المسيحي للأب صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ص 49-50.

-E. Royston Pike: Dictionnaire des Religions Presse Universitaire de France, Paris, 1954, P124.

2-وفي المعنى الاصطلاحي للكلمة: تعني الأفخارستيا الاحتفال بالسر الذي أُسِس في يـــوم خمـــيس الأسرار (القداس): «وهو ما يُقدَّم ويُقدَّس ويمنح في هذا الاحتفال: جسد ودم المسيح الأسراريان».[1]

وفي الواقـــع كلمة أفخارستيا سادت في الاستخدام المسيحي للدلالة على العمل الذي أسســـه يسوع عشية موته. ويلاحَظ أن هذه الكلمة تعبر عن حمد الله وشكر على الخير الذي يحصل للبشر من عجائب الله.

بهذا العمل الحاسم أضفى يسوع على أطعمة (بسيطة القيمة) الأبدية القائمة على موته الفدائي وهو عمل يُعدّ "قوام الدين المسيحي" وجوهر تدبيره الخلاصي: ففي تقديم يسوع نفسَه عـــلى الصليب وفي الآفخارستيا إنما تحقق الإنسانية كلها ومعها الكون الذي يحيط بها عودتها إلى الآب. - هذه نظرة المسيحي لسر الشكر-.

وهذا الغنى الذي تتضمنه الآفخارستيا والذي يقوم عليه محور العبادة المسيحية نجده في نصوص مكثفة تأخذنا إلى:

أ-الجذور التاريخية الأولى لهذه التسمية:

فـــأول ذكر لهذا الإسم "إفخارستيا" جاء في الديداخي[2]:« فيما يختص بالآفخارستيا، اشكروا هكذا لا يأكل أحد أو يشرب من آفخارستيتكم غير المعتمدين باسم الرب»[3].

وورد الاســـم كذلـــك في رســـائل القديـــس أغناطيوس الشهيد[4]. وعند القديس

---

(1)-معجـــم المصـــطلحات اللاهوتية: الأب جورج قنواتي والدكتور ميشال فرح، والقس فهيم عزيز، ط2،1976، دار المشرق، ص 67.

(2)-الديداخي: كلمةيونانية الأصل تعني التعليم من أقدم وثائق أدب الكنيسة القديمة المسيحي، عثر عليها في 1875 وهي ترقى إلى نهاية القرن الأول والراجح أنهم كانوا يستعملونها لتعليم الموعوظين ، معجم الإيمان المسيحي، ص 226.

(3)-مينا جاد جرجس: واجبات وقوانين في القداس، مكتبة المحبة، القاهرة، ص 39.

(4)-أغناطـــيوس الشهيد: أسقف أنطاكية في مطلع القرن الثاني، قبض عليه في عهد طرايانس ونقل إلى روما للتعذيب وفي أثناء سفره كتب سبع رسائل وصلت إلينا، أشهرها إلى كنيسة روما وبوليقربس، هذه الرسائل شهادة روحية ورعوية رائعة، سميّ بالنوراني لأنه رأى الملائكة النورانيين يسبحون الله بين جوقتين فرتب ذلك في الكنيسة أسوة بهم، ولقب بثيوفورس أي حامل الله. معجم الإيمان المسيحي، ص48.

يوستينوس الشهيد[1].

-كما أن كلمة أفخارستيا تتعلق بعمل الليتورجيا: ومنها الفعل إفخارستين (εὐχαρίστεν) ومشتقاته:

فالفعل إفخارستين (فعل الشكر) استخدمه المسيح عندما أنسك بيده الكأس المملوء بخمر الممزوج بماء ـــ حسب إعتقادهم ـــ «ثم تناول كأس وشكر: εὐχαριστήσας» (لوقا 17:22و لوقا 19:22) فكلمة "شكر" هنا لا تفيد مجرد شكر: بل إنه فعل الشكر الطقسي: أي قَدَّمَ الشكر من أجل الخليقة وبركة الله لها الخاصة بهذا الموقف[2].

(ب) إستخدام يسوع لكلمة إفخارستيا واستخدامها في المسيحية

-بالرجوع إلى الروايات:

نصوص أربعة في العهد الجديد تورد تأسيس الأفخارستيا: (متى 26: 26-29) (مرقس 14: 22-25) (لوقا: 22: 15-20)(كورنتس الأولى: 11 23-25)، إذا متى ومرقس/ لوقا وبولس في رسالته الأولى إلى الكورنتيين[3].

ولدى مقارنة هذه النصوص يتبين أن متى ومرقس يستقيان من مصدر واحد[4]، ولوقا وبولس من مصدر آخر[5].

وقول بولس قبل بدء روايته «إني تسلمت من الرب ما سلمته أيضا إليكم، أن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزا...».

لا تعني هذه الجملة وحيا خاصا لبولس بل تقليدا[6] تسلمه من الله بواسطة

---

(1)-معجم المصطلحات اللاهوتية والكنسية، ص109.

(2)-المصدر نفسه، ص111.

(3)-ملاك لوقا: الأفخارستيا ، مكتبة المحبة، دار الكتب، 1991، ص64.

(4)-المصدر الآرامي الذي ينقل لنا التقليد الفلسطيني.

(5)-مصادر هيلنسيتة تعكس تقليد كنائس أنطاكية وآسية الصغرى.

(6)-تقليد: هو تناقل الإيمان وحياة الكنيسة وبالتالي تناقل صلب العقيدة المسيحية، فالكاثوليك والأرثودكس يقولون بأن هذا التناقل بقي في جوهره سليما متواصلا بفضل عون الروح القدس الدائم للكنيسة. كما تطلق أيضا كلمة "تقليد" على ما وصلنا من آباء الكنيسة من مؤلفات ومواعظ وقرارات. ولكن البروتستانت لا يعترفون لهذا التقليد بأمور الإيمان، بل يرون أن دور التقليد هو شرح وتطبيق الكتاب المقدس الذي هو وحده معصوم. قاموس الكتاب المقدس، ص315. ومعجم الإيمان المسيحي، ص151.

الكنائس[1]، -هذا اعتقاد المسيحيين في بولس-، بحيث تعود الرسالة الأولى إلى سنة 55، ولكن بولس قد سلّم هذا التعليم لدى مروره في كورنتس حوالي سنة 49، وربما "تَسلّم" هو نفسه هذا التعليم في سفرته الأولى إلى أورشليم سنة 36-37، أو لدى وصوله إلى أنطاكية سنة 40.

ويضيف لوقا على سائر النصوص (لو22: 14-18): «لما أتت الساعة اتكأ يسوع مع الرسل وقال لهم: لقد اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم، فإني أقول لكم أني لـــن آكلـــه بعد إلا أن يتم بكماله في ملكوت الله، ثم تناول كأسا وشكر وقال: خذوا هذا واقتسموا فيما بينكم، فإني أقول لكم إني لن اشرب بعد من ثمرة الكرمة إلى أن يأتي ملكوت الله».

بعـــد هذه الكأس الأولى التي لا تذكرها النصوص الأخرى نقوم بمقارنة بين النصوص الأربعة.

[1]-ملاك لوقا: الأفخارستيا، مكتبة المحبة، دار الكتب، 1991، ص20.

الجدول رقم :

متى 26	مرقس 14	لوقا 22	1كو 11
26: وفيما هم يأكلون **أخذ** ياسوع خبزا **وبارك** **وكسر** **واعطى** التلاميذ قائلا: خذوا كلوا هذا هو جسدي	22: وفيما هم يأكلون **أخذ** يسوع خبزا **وبارك** **وكسر** **وأعطاهم** **قائلا:** خذوا هذا هو جسدي	19: ثم **أخذ** خبزا **وشكر** **وكسر** وأعطاهم قائلا: هذا هو جسدي **الذي يبذل من أجلكم** **اصنعوا هذا لذكري**	23: **أخذ** خبزا **وشكر** **وكسر** وقال هذا هو جسدي الذي هو لأجلكم **اصنعوا هذا لذكري**
27: ثم أخذ **كأسا** **وشكر** **وأعطاهم** قائلا: **اشربوا منها كلكم**	23: **ثم أخذ كأسا** **وشكر** **وأعطاهم** **فشربوا منها جميعا**	20: وكذلك الكأس بعد العشاء	25: وكذلك الكأس بعد العشاء
28:فإن هذا هو دمي **دم العهد** الذي يهراق عن كثيرين **لمغفرة** **الخطايا**	24: وقال لهم: هذا هو دمي **دم العهد** الذي يهراق عن كثيرين	هذه **الكأس** هي **العهد** **الجديد بدمي** الذي يهراق من أجلكم	هذه **الكأس** هي **العهد الجديد** بدمي
29: وأقول لكم: إن لن أشرب من ثمرة الكرمة من الآن إلى اليوم الذي فيه أشربه جديدا في ملكوت أبي	25: الحق أقول لكم: إني لن أشرب بعد من ثمرة الكرمة من ثمرة الكرمة إلى اليوم الذي فيه أشربه جديد في ملكوت الله	18: فإني أقول لكم إن لن أشرب بعد من ثمرة الكرمة من الآن إلى أن يأتي ملكوت الله	26: اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يأتي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وما توصلنا إليه من خلال قراءتنا لهذه النصوص الأربعة هو أن كاتبيها[1] لم يقصدوا أن ينقلوا إلينا بالتدقيق رواية كل ما قاله السيد المسيح وصنعه في عشائه الأخير.

إنّ هـــذه النصـــوص هـــي بالأحرى انعكاس لما كان يصنعه المسيحيون الأولون في أورشليم وأنطاكية[*] لدى احتفالهم بعشاء الرب (وجبة عادية يكسر فيها الخبز ويلتئم الشمل)، وثمـــة مســـألة أخرى يتعلق بها تفسير هذه النصوص وهي: -إطارها التاريخي- فبالنسبة إلى الأناجيل الإزائية كان ذلك في عشاء فصحي (مرقس 14: 12-16)، ولكن بحسب (يوحنا 18: 28، 19: 4، 1: 31) لم يجـــر الاحـــتفال بالفصح إلا في اليوم التالي، أي في مساء الجمعـــة، وقد بذلت كل المحاولات لتفسير هذا الاختلاف وذلك إما باعتبار يوحنّا قد أخطأ فـــأورد التأخير يوما (في العشاء الفصحي)، بقصد التوصل إلى هذه الرمزية بأن يسوع يموت ســـاعة ذبح حمل الفصح (يوحنا 19: 14-36)، وإما بالقول إن الفصح قد أقيم تلك السنة يومي الخميس والجمعة في جماعات مختلفة من اليهود.

والجديـــر بالذكر، أن كلمات الأفخارستيا لا نجد لها ذكرا في إنجيل يوحنا في العشاء الأخـــير، **حـــدث إغفال للموضوع** -كما يصطلح عليه في المسيحية-، بل ذكر عوضا عنه "غسل الأرجل في شبه سر" على تواضع المسيح وعطاء ذاته عطاء كاملا لأجل أحبائه ولأجل العالم، وقد طلب من تلاميذه أن يصنعوا هم أيضا ما صنع هو بهم (يو 13: 15 مقارنة بلوقا 22:19 اصنعوا هذا لذكري)[2].

جـــ-علاقة الأفخارستيا بالشكر: بحسب الإيمان المسيحي، فإن المسيح أول شيء قام به عندما مسك الخبز قبل أن يعطيه للتلاميذ: شكر، فلماذا شكر؟ ومن الذي شكره ولماذا سمي سر الأفخارستيا بسر الشكر؟

-شَكَرَ: لأنّه هو الفادي والنائب عن البشرية، فكان لا بد أن يشكر نيابة عن البشرية

---

[1]-معجم اللاهوت الكتابي، ص407.

[*]-أنطاكيا: مدينة سورية شهيرة، انتمت كنيستها إلى بطرس وبولس (رسل 15/11)، وكان أغناطيوس من أوائل خلفائها في مطلع القرن الثاني ميلادي، كانت مقرا لعدة مجامع منها: 324، الذي استنكر الأريوسية، كانت مدرسة أنطاكيا حركة فكرية أكثر مما كانت مؤسسة منظمة، من أشهر الذين انتموا إليها يوحنا ذهبي الفم، وأبوليناريوس. معجم الإيمان المسيحي، ص72.

[2]-مينا جاد جرجس: واجبات وقوانين في القداس، ص89.

لأنه بفعل المعصية طرد الإنسان من حضرة الله، ولو لا أن الآب أرسل الابن والروح القدس ما كـــان قد تم الفداء «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» -بزعم المسيحيين-.

فالصورة التي حدثت "بالتناول" بإعطاء الجسد والدم للتلاميذ هي عودة الإنسان إلى "حضرة الله": فـــبالفداء ومنح الجسد والدم تثبت الكنيسة في المسيح: «المسيح الرأس والكنيسة الجسد ولذلـــك أول عمل المسيح هو الشكر، لأن "شُكر المسيح" للآب السماوي حدث وتمّ بالفداء الممثل في إعطاء الجسد والدم ليكون به الثبات في شخص المسيح لذلك سمي سر الشكر»[1].

إذا فالمسيح -بزعمهم- أول ما أمسك الخبز لكي **يعطيهم/ شكر/ وبارك/ وكسر/**، لذلك دعي سر الشكر[2].

-فالكلمات الأربعة المستعملة هنا هي نفسها المستعملة في تأسيس الأفخارستيا.

أخـــذ -بـــارك وشكر- كسر- أعطى[3]: حيث يتوجه الأول (متى) إلى قراء العالم اليهودي والثاني (لوقا) إلى قراء من العالم الوثني. وهكذا اكتشف اليهود والوثنيين الأفخارستيا في قلب حياتهم[4].

وبمجمل القول في التعريف بالأفخارستيا قول الراهب الإنجليكاني غريغوري دكس[*]: «الأفخارســـتيا هو الطقس الذي أسسه ربنا يسوع المسيح ليكون عبادة خاصة بالذين هم له، قد صار قلب العبادة المسيحية والحياة المسيحية وعمودها الفقري[5]، ويوضح القديس يوستين الشـــهيد أن الشـــكر الـــذي يتـــلى على الخبز والخمر هو «شكر الله على بركات الخليقة والفـــداء»[6]. نفهم من كلام يوستين أنه: [بعد "فعل" الشكر على الخبز والخمر ما يعرف في اللاهوت الأفخارستي بـــ"إفخارستيساس: εὐχαριστήσας" «ثم تناول كأسا وشكر»[7]

---

(1)-Pierre pierrad: Histoire de l'eglise catholique, Desclée, Paris, 1972, P43.

(2)-Ibid, P47.

(3)-(متى 15: 32-39) و(أع 6: 1-7).

(4)-André Duval: Des sacrements au concile de trente, éditions du Cerf, Paris, 1985, P155.

(*)(1901-1952): عالم لاهوتي متخصص في الطقوس، رُسِم كاهنا سنة 1925، أشهر كتبه: "التقليد الرسولي" 1935، وكتاب: "صورة الطقوس" الذي حدّد فيه شكل الأفخارستيا، وأن الأساس الذي تقوم عليه هو التّذكار (anamnesis).

Encyclopedia Of Religions and éthics, Newyork, Charles scribner's son , 1913.

(5)-ملاك لوقا: الأفخارستيا، ص11. نقلا عن: Dix Dom Gregory : The Shape of the liturgy, Alba House, London, 1945.

(6)-متى المسكين: إفخارستيا عشاء الرب، ط1، مطبعة دير القديس أنبامقار: القاهرة، 2000، ص39.

(7)-(لوقا: 22: 17).

يتم "سر الشكر" مباشرة أي بعد "سر الأفخارستين" يصير الخبز والخمر أفخارستيا] [1].

د-**الأفخارستيا بحسب الكنائس**: وقد اقتصرت على ذلك الكنيسة اللاتينية: أي بمجرد تلاوة صلاة الشكر يحدث التحول[2] في الحال. أما في كنائس الشرق عموما فيتحتم استدعاء[3] الروح القدس بعد الشكر للحلول على الخبز والخمر ليتم التحول.

أي أن الخبز والخمر لا يصيران أفخارستيا (تقدمة شكر) بفعل تلاوة التقديس وصلاة الشكر فقط، بل باستجابة هذا التقديس والشكر لفعل الروح، وذلك باستدعاء روح القدس وحلوله.

ويؤكد ذلك بوضوح القديس إيريناوس الذي يقول: «إن الخبز بعد استدعاء روح القدس ليس بعد خبزا ساذجا، بل إفخارستيا من شقين: شق أرضي وشق سماوي»[4].

-والمعروف من التقليد المنحدر إلينا من إيريناوس ويوستين الشهيد أن كلمة أفخارستيا تعني "سرا مقدسا"، والتي أخذت مضمونها السري والقدسي أو بالأحرى الإلهي من استدعاء الروح القدس، الذي يُتلى على الخبز والخمر فيحوّلهما إلى مادتي الأفخارستيا.

-ويشير أيضا يوستين[5] وإيريناوس[6] أن كلمة أفخارستيا التي أطلقت على سر "عشاء الرب" لا يشتق هذا الاسم "الشكر" فقط من فعل الشكر -إفخارستين-: الذي يُشكَر

---

[1]-متى المسكين: إفخارستيا عشاء الرب، ص40.

[2]-التحول: Transubstantiation: عبارة من عبارات علم اللاهوت المدرسي، تدل على تحوّل الخبز والخمر في أثناء التقديس إلى جسد الرب ودمه.

[3]-استدعاء الروح القدس: L'épiclèse: صلوات وعبارات يتهل بها إلى الله لكي يرسل روح القدس إلى ما يقرب من أسرار ولا سيما الأفخارستيا.

[4]-متى المسكين: إفخارستيا عشاء الرب، ص41-42.

[5]-يوستين الشهيد: وُلد في عائلة وثنية حوالي 132-135 تثقف بثقافة وفلسفة وثنية عالية، ثم تحول إلى الإيمان المسيحي، الذي دافع عنه بقوة، كما يُعتبر دفاع يوستين عن الأفخارستيا أول وصف لإيمان وممارسة كنيسة روما لهذا السر، استشهد بروما عام 165م. بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ص83.

[6]-إيريناوس: بعد استشهاد يوستين، أصبح أسقف مدينة ليون مات حوالي 202م، وجه نشاطه حول التبشير ومقاومة البدع، له مؤلفات هامة منها: "برهان الكرازة الرسولية" و"الرد على البدع"، أثّر فكره اللاهوتي في تفكير آباء الكنيسة في القرنين الثالث والرابع. معجم الإيمان المسيحي، ص84. بن يامين مرجان باسيلي، الأفخارستيا، ص92.

فيه الله على بركات الخليقة[1] والفداء، بل ويشتق أيضا من تقدمة ذات المادتين المختارتين في هذا السر.

-أي خبز[2] **الحنطة وعصير الكرم**[3]- فهما يقدّمان كصعيدة (آنافورا)[4]، وكتقدمة شكر لله مختارة عن كل الخليقة.

وكلمة "أنافورا" ليست مستحدثة، فهي واردة في (المزمور 51: 19) وردت في النسخة السبعينية للعهد القديم لتعطي معنى "تقديم الذبيحة"[5].

---

[1]-بركة: من معاني هذه الكلمة:

أ-الخبز الذي يقدمه المؤمنون ليستعمل في الذبيحة الإلهية ويقال له أيضا قربان.

ب-أو هو خبز أو شيء آخر تليت عليه البركة فترسله الجماعات المسيحية بعضها إلى بعض شهادة صداقة أو اتحاد في الإيمان والمحبة.

جـ-وفي نصوص بولس (1كور: 10-16) وعند آباء الكنيسة البركة هي الأفخارستيا. معجم الإيمان المسيحي، ص 103. معجم اللاهوت الكتابي، ص159-161.

[2]-خبز الحنطة: يرمز الخبز في الكتاب المقدس إلى ما يعيش به الإنسان، تدل وفرة الخبز على البركة، (أش 33: 16) ويدل افتقاده على أسفل درجات البؤس (مز 37: 25).

والخبز المقدس: أرغفة كانت توضع أمام الرب، أي على مذبح في الهيكل، والخبز المؤلف من حبات حنطة متعددة قد اختاره المسيح وكرسه وأحاله في الأفخارستيا إلى جسده ودمه، فجعله خبز المحبة الذي يتقاسمه البشر على المائدة المقدسة في الكنائس. معجم الإيمان المسيحي، ص200. بولس إلياس اليسوعي: خلاصة الدين المسيحي، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، 129.

[3]-عصير الكرم: تشير في العهد القديم إلى شعب إسرائيل، فهو خاصة الله: غرسها الرب بعناية وسهر عليها طوال التاريخ فأخرجت ثمرا فاخرا (أش 5).

أما في العهد الجديد، فإن اليسوع هو الكرمة الحقيقية (يو 15)، وإن ملكوت الله هو الكرمة التي عهد إلى الكنيسة بالاعتناء بها (متى 21: 28-46)، معجم الإيمان المسيحي، ص396.

وقد اختار المسيح عصير الكرمة التي كانت تداس بالأرجل: فقد جاء ليقدس عذاب الإنسان ويجعله أداة تكفير وخلاص بيده، فمنذ تأسيس القداس أصبح الإنسان يمزج كل يوم نقطة عذابه وآلامه مع نقطة الماء في كأس الخمر، حيث الكأس في الأفخارستيا يمثل عذاب الإنسان وآلامه لتتخذ استحقاقات أبدية لا حدّ لها. اقتباس بتصرف: بولس إلياس: خلاصة الدين المسيحي، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، ص130.

[4]-أنافورا: هي الصعيدة أو رفع ذبيحة الأفخارستيا وتشمل الشكر والتقديس والأواشي المصاحبة لهما. متى المسكين: الأفخارستيا، مطبعة أنبامقار، القاهرة، 2007، ص770.

[5]-متى المسكين: الأفخارستيا، قداس الرسل الأول، ط1، دار الكتب المصرية، 1977، ص41.

و"الآنافورا" اقتبستها الكنيسة في البدء على فم العلامة أو ريجانوس[1]، كاصلاح عام يفيد «إصعاد الصعيدة، ثم استُخدمت في قوانين الرسل بمعنى "الصعيدة"»[2].

وبعد ذلك استقرت الآنافورا بمعنى: الجزء الرئيسي الذي يقوله الكاهن في سر الأفخارستية، حيث تشمل "البروسفورا": أي «تقديم الصعيدة في البدء»[3].

-**وتقدمة الخبز والخمر (القربان: الأفخارستيا)**: يسميها القديس كليماندس[4] الروماني: **تقدمة عطايا** (ذُرون)[5].

-والدسقولية (Didascalie) تسميها "ذبيحة"[6].

-**إيريناوس ويوستين** يسميانها «القربان الجديد الذي للعهد الجديد وباكورة ثمار عطايا الله»[7].

*والأفخارستيا -دائما في إطار "تعريف المصطلح" هي:

-**تسبيحة شكر على كل أعمال الله ورحمته وعنايته بالإنسان.**

-"**ذبيحة التجسّد**": **فهي** -بحسب المعتقد المسيحي- **الجسد الإلهي المذبوح والدم الإلهي المسفوك الذي يعبر عن فداء الخليقة كلها، فالخليقة تتبارك في ذبيحة• الأفخارستيا والعالم كله يتقدس والإنسان يُفدى**[8].

---

(1)-أو ريجانوس: Origène، ولد في مصر حوالي 185، انصرف إلى البحث العلمي في الكتاب المقدس والتعليم المسيحي العالي، مارس نشاطه في الإسكندرية حوالي 230، ثم واصله في فلسطين، من مؤلفاته: شروح، وسلسلة مواعظ في الكتاب المقدس، وكتاب في النقد النصي للعهد القديم. كان رائدا في حقل التفسير اللاهوتي، يعد عمله من أشد الأعمال وقعا على تفكير آباء الكنيسة الشرقيين والغربيين. معجم الإيمان المسيحي، ص77.

(2)-الصعيدة: هي التقدمة في حالة قبولها (بالنظر في شروط الاستحقاق).

(3)-مينا جاد جرجس: واجبات وقوانين في القداس، ص73.

(4)-كليمندس الروماني: بابا روما (90-100م على وجه التقريب)، صاحب رسالة إلى أهل كورنتس، كتبها في حوالي 96م ليضع حدا للإنشقاقات في جماعة كورنيتس المسيحية. معجم الإيمان المسيحي، ص55.

(5)- مينا جاد جرجس: واجبات وقوانين في القداس، ص77.

(6)-المصدر نفسه، ص78.

(7)- المصدر نفسه، ص79.

• -ذبيحة: سيأتي تفصيلها في ص 55 من الفصل الثاني.

(8)- المصدر نفسه، ص83.

ويوضح يوستين الشهيد[*]: «وكل ما قلناه ليس اجتهاد منا بل هو في الحقيقة من وحي وإحساس صلوات الأفخارستيا الأولى (الأواشي) ووضوحها وبساطتها المذهلة، وما تكشفه لنا صلوات الأفخارستيا في كتاب "تعاليم الرسل": فهذه الصلوات الأفخارستية في مضمونها الكلي هي توقيع دائم لمقاطع قانون الإيمان[1] Le Credo، ومختصر لأعمال الله في العهدين، وقد روعيا فيها أن تكشف بترتيب وبدقة درجات عمل الله واستعلانه[2] في الخليقة[3] مبتدئا بالخلق يُصلّيها الكاهن بخشوع في تعبيرات كلها شكر وامتنان، مرورا بكل أعمال الله الحكيمة في الخليقة والفردوس، ثم غواية الحية ثم سقوط آدم ثم إعطاء النموس وظهور الأنبياء واستعلان تدبيرات الله في القديم تمهيدا للخلاص.

وأخيرا استعلان تدبير الله الخلاصي[4] بظهور ياسوع المسيح وأخبار التجسد والخلاص وعمل الفداء الذي يبلغ القمة في ترديد كلمات المسيح التي قالها وقت العشاء على الخبز والخمر حسب وصيته: «اصنعوا هذا لذكري»، ثم أخبار الآلام والصلب والقبر والقيامة في اليوم الثالث ثم الصعود[5]، والوعد بالمجيء الثاني[6] من السماء لدينونة الأحياء والأموات وحياة

---

[*]-أطلق على يوستين لقب "الشهيد" لأنه أول من استشهد في سبيل الدفاع عن الإيمان المسيحي، حوالي سنة 165م.

[1]-قانون الإيمان: هو إعلان إيماني مسيحي ولا سيما في رتبة المعمودية.

والقانون: هو لائحة رسمية للأسفار وهي ملهمة وبالتالي قاعدة حياة، وهناك قانون إيمان الرسل وقانون إيمان نيقيا. معجم الإيمان، ص367.

[2]-استعلان: مصطلح مسيحي بمعنى الظهور.

[3]-الخليقة: تضم كل ما في السماء من فوق وما على الأرض من تحت كقول بولس (أف1 : 10). «ليجمع كل شيء في المسيح ما في السماوات ما على الأرض في ذلك» متى المسكين: الأفخارستيا، ص41.

[4]-استعلان التدبير: ظهور التدبير الإلهي: وهو القصد الإلهي فيما يعود إلى خلاص البشر: حيث أن تاريخ البشرية لا يجري وفقا لدوافع قدر أعمى، بل هو نتيجة لإرادة الله وفقا لهدف حدده الله منذ الأزلية، ولهذا الهدف وجهان أساسيان: الخلاص في المسيح وشمولية هذا الخلاص. معجم الإيمان المسيحي، ص141. قاموس الكتاب المقدس، ص213.

[5]-صعود: الارتفاع إلى السماء حيث يقيم الطوباويون. وصعود الرب: هو خاتمة رسالة المسيح المنظورة على الأرض: صعد المسيح إلى الآب يوم قيامته من بين الأموات (يو 20: 17). وبعد ذلك بأربعين يوما رآه الرسل يرتفع إلى أن حجبه غمام عن عيونهم (رسل 1: 3-11). فكانت نهاية محادثاته مع تلاميذه وخاتمة حضوره المنظور في هذا العالم إلى أن يعود في آخر الأزمنة. معجم الإيمان المسيحي، ص297.

[6]-المجيء الثاني: عودة المسيح في آخر الأزمنة لإجراء الدينونة الأخيرة (متى 24: 3). معجم الإيمان المسيحي، ص439.

الظهر الآتي»[1].

وكختام لهذه الصلاة الإلهية تستدعي الكنيسة بفم الكاهن الروح القدس لتكميل سر التحول، حيث تصبح التقدمة إلهية فلا يعود يجوز -بحسب التعبير المسيحي- الصلاة عليها.

بـــل مـــنها ينبثق التقديس ويُمنح، وهكذا تنتهي الأفخارستيا الذي أصبح مفهومها "محـــددا" في الكنيســـة على ممر الدهور بسر الجسد والدم المقدسين(Le corps et le sang sanctifiés)

-مقدسين لماذا؟ بكل ما يحويه هذا السر من معاني الشكر: قولا وفكرا وعملا على ما أولي بـــه المسيح من بركات الخليقة[2]، وغفران وفداء، وقيامة وثبوت واتحاد بطبيعته الإلهية، ونوال[3] روح الحياة، بكل نعم ومواهب الروح القدس[4].

---

(1)-القمـــص يوحنا سلامة: الآلي النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، مكتبة المحبة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1985، ص107.

(2)-الخليقة: تعبير مسيحي -مصطلح مسيحي للتعبير عن ما هو مخلوق أو كافة المخلوقات. معجم الإيمان، ص2006.

(3)-نوال: مصطلح مسيحي مرادف لكلمة "نيل" في اللغة العربية: الحصول على الشيء واستحقاقه.

(4)-Pierre pierrad: Histoire de l'église catholique, P197.

المبحث الثاني: الطقوس والتقليد أصولها الروحية وعلاقتها بالآفخارسيتيا

تمهيد:

إن الطقوس هي:« مجمل الصيغ الليتورجية الخاصة بكنيسة من الكنائس مثلا : الطقس البيزنطي[1] والطقس القبطي[2]»[3] .

كمـــا تعـــني (أي الطقوس) النظم والترتيبات التي يتبعها الكاهن والتي تشتمل على مضـــمون التعلـــيم الروحي الذي سلمه المسيح لتلاميذه وهم سلّموه للشعوب التي بشروها بالمسيحية[4] .

- ذلك ما يؤكده مرقس في إنجيليه (مر 16: 20):« وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل ما كان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة».

- أمـــا القديـــس يوحنا فقد جاءت الآية الأخيرة من إنجيله تؤكد أن دور التلاميذ في الكـــرازة لم يقف عند حدّ ما كتبوه في أناجيلهم ورسائلهم لأن «أشياء كثيرة أخرى صنعها يسوع إن كُتبتْ واحدة واحدة فلست أظن أن العالَم نفسه يسع الكتب المكتوبة»(يو21: 25).

ومعـــنى ذلـــك أن الإنجيل ما هو إلا قبس من نور التعليم الكثير الذي سلّمه المسيح لتلاميذه ليسلموه "مشافهة" لتلاميذهم أولا ثم ليكرّزوا به للشعوب في كل مكان[5].

- أمـــا بولس فيؤكد على هذا المبدأ الهام بقوله:« لأني تسلمت من الربّ ما سلمتكم أيضا إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزا..» (1كور11:23-25)[6].

إذن فدِراســـتنا للطقـــوس والترتيبات والنظم التي تتبعها الكنيسة في العبادة والخدمة والصـــلوات الـــتي تتلوها لحلول الروح القدس على مادة الأسرار المقدسة ومن خلال معاني

---

(1)-الطقس البيزنطي: ليتورجية أنطاكية الأصل تأثرت بالطقوس الأورشليمية ثم نمت في القسطنطينية وانتشرت في كنائس الأورتدوكس منذ القرن الثاني عشر يمتاز هذا الطقس بأناشيده الفلسطينية الأصل إلى حد بعيد.

(2)- الطقس القبطي: ليتورجية إسكندرية تستعمل اللغة العربية والقبطية.

(3)-سليمان نسيم: الطقوس في الكنيسة الناشر، مكتبة المحبة ،ط1993،القاهرة، جـــ1، ص08.

(4)-المصدر نفسه، ص 09.

(5)-المصدر نفسه، ص11.

(6)-المصدر نفسه، ص 9-11.

الفقـــرات الســـابقة الذكر يدرك المسيحيون أمرين هامين التزم بهما آباء الكنيسة على امتداد عصورها التاريخية: ← الأمر الأول: هو التَّلمذَة.

↙ الأمر الثاني: هو التسليم الشفاهي.

وقد احتوى هذان الأمران قيَما كثيرة رَسخَتْ وثبتتْ من جيل إلى جيل حتى يتم التسليم بمحتواه اللاهوتي والروحي مثال ذلك ما تمارسه الكنيسة يوميا من طقوسات التناول (LES RITES DE LA COMMUN ION) وكـــيف ســـلمه "رب المجـــد" -بحسب التعبير المسيحي لتلاميذه-.

يقـــول لوقا أن يسوع بعد أن قدم لهم الخبز والكأس قال لهم:«اصنعوا هذا لذكري» (لو 22: 19). وفعلا نفذ التلاميذ هذا النموذج كما تسلموه من الرب ويعبر لوقا عن ممارسة تلامـــيذ الرب لكسر الخبز بقوله:« وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات» (أع 2: 42) [1].

ومـــن هنا ندرك أهمية الطقوس: هذه النظم والتعليمات الروحية العميقة التي يتم بها التعـــبير عن التعليم الإنجيلي كما سلمه يسوع لتلاميذه وهؤلاء من بعده إلى تلاميذهم اللذين بدورهـــم دافعوا عنها وبتأييد الروح القدس المُعطَى لهم سلموها لبقية العالم.-بحسب الإيمان المسيحي طبعا!-.

المطلب الأول: الطقوس الكنسية مفهومها وأهميتها في حياة الكنيسة

فمـــا معـــنى كلمة طقس (Taxis) اليونانية الأصل وهل يوجد علم يمكن تسميته "باللاهوت الطقسي" وما علاقتها بالآفخارستيا؟.

أما الطقوس فهي :« مجموع الممارسات والترتيبات والنظم التي تحوي داخلها مضمون العبادة في الكنيسة»[2].

هـــذه الترتيبات والممارسات تظل محفورة في الوجدان خاصة إذا اقترنت بمرحلة الطفولة لأنها تصل بتأثيرها إلى مختلف الحواس ولاسيما العين والأذن أي حاستي البصر والسمع. إذا و حتى

---

[1]- سليمان نسيم: الطقوس في الكنيسة الناشر، جـــ1، ص 11-13، (بتصرف).

[2]-المصدر نفسه، ص27.

لو نُسِيَ جوهر الطقس ومضمونه اللاهوتي فسيظلّ مؤثرا بحفاظه على شكله الخارجي مثال ذلك: سر الشكر (سر الذبيحة الخلاصية: le sacrifice de la rédemption et du salut)[1]: فهو عقيدة لاهوتية عظمى في الإيمان المسيحي وما يُثبتها في عواطف الإنسان وأعماق مشاعره إنما هو الشـــركة والاتحاد (la communion et la messe)[2] وألحان الصلوات التي تُرنَّم أثناء القداس فضلا عن المشاعر الروحية التي تشترك فيها جماعة المؤمنين.

وهكـــذا يتم تلقين المضمون اللاهوتي للطقس من خلال ألحان الأنافورا[3] وصلوات الأواشي[4] حتى يصل المسيحي إلى النضج الروحي الذي من خلاله يقبل التعليم الإنجيلي ومحتواه

---

(1) -Nicolas Gihr: lesaint sacrifice de la messe 2eme editon libraire- editeur Lethielleux Paris 1900, tome 1, p 204.

(2)-المصدر نفسه، ص 207.

(3)-الأنافورا: كلمة يونانية معناها "رفع القربان" وعندما ترجم العهد القديم إلى اليونانية استخدمت الترجمة السبعينية الفعل anaphero ومشـــتقاته للإشـــارة إلى ذبائح العهد القديم:« يصعدون على مذابحك عجولا» (مز 51: 19) واستخدم الفعل يرفع أو يقدم مع مشتقاته في كل صلوات الكنيسة المسيحية منذ عصر الرسل للكلام عن تقدمة المسيح على الصليب (عبرا 7: 27) ولهذا السبب دخلت في الصلوات الخاصة بالأفخارستيا التي هي صلوات خاصة بتقدمة المسيح.

وقـــد اســـتخدمت الكـــلمة (أنافورا) في المصادر اليونانية لقديمة قداس مارمرقس الكيرلسي وقداس سيرابيون (الذي يمثل الليتورجيا المصرية القديمة).

وعـــند ذهبي الفم تعني الأنافورا:الصلوات الخاصة برفع القربان وعندما بدأت حركة تعريب الصلوات في الكنائس الشرقية احـــتفظ الأقـــباط بالكلمة اليوناني وكتبوها بحروف عربية ولا تزال الخولاجيات * القديمة والمخطوطة تضع كلمة أنافورا كاسم خاص للقســـم الثاني من القداس، الذي يعرف بقداس المؤمنين والذي يبدأ بقول الكاهن « الرب مع جميعكم وارفعوا قلوبكم..».اقتباس بتصرف: مينا جاد جرجس: واجبات وقوانين في القداس، مكتبة المحبة، دار الكتب لمصرية، ط2001، ص 16-19.

*-الخولاجـــي: كـــلمة يونانية مشتقة من الكلمات اليونانية القبطية أفخولوجيون ومعناها:"حاوي الصلوات" وهو الكتاب الـــذي يحتوي على كل الصلوات بما فيها إقامة الأسرار الكنسية كلها وهو أصلا الكتاب الخاص بخدمة القس أو الأسقف وصارت الكلمة فيما بعد تطلق بشكل خاص على الكتاب الذي يحتوي سائر الصلوات الخاصة بالقداسات فقط.

اقتباس بتصرف: مينا جاد جرجس: واجبات وقوانين في القداس، ص 21-23.

(4)-الأواشـــي: جمـــع أوشية، كلمة يونانية معناها طَلْبَةٌ أو طلب دعاء وتُرفع حول موضوع معين، فمن أجل الشفاء من المرض تستخدم أوشية المرضى وهكذا في الأوشيات الأخرى: المسافرين والقرابين والراقدين وهناك الثلاث اواشي الكبار: الســـلامة والآباء والاجتماعات، وكلها تقال بعد قراءة الإنجيل:فمثلا أوشية الاجتماعات تعقدها الكنيسة بقولها:« اذكر يا ربي اجتماعاتنا باركها»، والأواشي تستخدم في الألحان والصلوات ومنها كلمة تعطي معنى التعليم.

اقتـــباس بتصـــرف: الأب مـــتى المسكين، الآفخارستيا والقداس، دار الكتب المصرية، ط 2000، مطبعة دير الأنبامقار، القاهرة، ص 770-771.

الخلاصي[1] . (la théologie rituel du geste et de la parole) .

إذا فالطقوس الكنسية هي بمثابة الوعاء الثقافي الذي يحتوى كل المضامين والمكتسبات الروحية والتعليمية التي يظل تأثيرها مرافقا للإنسان خاصة إذا كان التعليم في مرحلة مبكرة من العمر فالاكتساب في الصغر يساعد على الترسيخ في النفس...

وبهذا يصبح للطقس دوره التربوي الخطير كوسيلة تعليمية متجددة تُقرّب للأطفال- خاصة- المعاني الروحية العالية في شكل حسي مبسّط!

ومن هنا نلمس أهمية "علم الطقوس" في الحياة المسيحية عامة والكنيسة[2].

وإذا كانت الطقوس الكنسية تحوي مضمون التعليم الروحي ووصلت إلى العصر الحاضر بالتسليم[3] من جيل إلى جيل لذلك كان لابد أن تدخل الطقوس تحت مسمى آخر أكبر وأعمق ألا وهو: "التقليد الكنسي".

المطلب الثاني: من الطقوس إلى التقليد

فما هو **المقصود بالتقليد**؟ وما هي أقسامه؟ وما علاقته بالأسرار؟ وعلى رأسها سر الشكر أو **ما علاقة التقليد بـ"السر المجيد"**؟[4] -بحسب التعبير المسيحي-.

يقول يوستين الشهيد:« الكنيسة هي جسد المسيح وهي امتداد للتجسد فهناك كنيسة واحدة[*] ومسيح واحد وتقليد واحد وهو مقدس لأن الكنيسة مقدسة وغير محدود في الزمان والمكان مثل الكنيسة، وهو رسولي أو مرسل مع الكنيسة التي أساسها المسيح والرسل»[5].

---

[1]-سليمان نسيم، الطقوس في الكنيسة، ص 31.

[2]-المرجع نفسه، ص 33، اقتباس بتصرف.

[3]-التسليم: هي العلامة المميزة للتقليد الكنسي الصحيح وهو أن يكون منحدرا من الرسل أنفسهم. متى المسكين، التقليد، ط1، 1978، مطبعة دير أنبامقار، دار الكتب المصرية، ص 09.

[4]-السر المجيد: يرمز إلى الآفخارستيا بحيث يسطَع مجد الله في المسيح لا سيما في صليبه وقيامته وصعوده (لوقا 24: 26 ويو 17: 24)، صبحي حموي اليسوعي، معجم الإيمان المسيحي، ص 434.

[*]-كنيسة "واحدة": هي التي تمثل جماعة المؤمنين فهي توحدهم باتحادها مع المسيح رأسها. (متى المسكين: التقليد، ص9).

[5]-متى المسكين، التقليد، ص 11.

فما هو التقليد؟

أولا: يجب تفريقه عن العادة أو العرف، فالعادة ممارسة أصبحت مألوفة أو معتادة في زمـــان أو مكـــان معيّـــنين وأحـــيانا في كل الكنيسة مثل قرع الأجراس، عند ابتداء المجدلة الكبرى[1].

والعـــادات وضـــعت لحاجـــات زمنـــية وتبقى ما دامت لها حاجة. والعادات تتغير والأسقف[2] له السلطان لإلغائها وتعديلها[3].

إذا العـــادات هـــي ممارسات لنظم معينة وتراتيب أو طرق معينة وهي بهذا ممارسات لطقـــوس: البعض منها مهم كالصوم قبل المناولة وبعضها جميل ومبهجا -على حد تعبيرهم- كـــتقديم العنب في عيد التجلي[4] والبعض منها خاطئ ويجب عدم ممارسته كالمناولة مرة في السنة[5].

والتقليد كلمة يونانية Paradosis مشتقة من paradidomi وتعني أن يسلّم ويُعهد وهو يحتوي كامل مستودع الإيمان المسيحي ويشمل "العقيدة" و "التعليم".

-أما العقيدة: فهي حقيقة كشفها (جاهر بها)مجمع مقبول ومن كامل الكنيسة.

-والتعليم: مُلزِم كالعقيدة ولازم للخلاص وليس له شكل معين.

فإن قلنا أن المسيح إله وإنسان فهذه عقيدة بينما عدد الأسرار يندرج تحت التعليم.

---

[1]-المجدلـــة: عـــبارة تسبيح لله، ورد كثير منها في المزامير وفي رسائل بولس، بطرس ورؤيا يوحنا: تذكر الأقانيم الثلاثة، تُذكَر في خاتمة الأناقورا. معجم الإيمان المسيحي ، ص 435.

[2]-الأســـقف: (Evêque) عـــند الكاثوليك والأرثودكس يُحدَدُ الأساقفة بأنهم خلفاء الرسل، يعبرون عن مسؤولياتهم بواسطة المجامع ويعتبر أسقف روما خليفة بطرس. معجم الإيمان المسيحي، ص 38.

[3]-متى المسكين: التقليد (كمدخل لشرح الأسفار وفهم الأسرار) ص 13.

[4]-عـــيد التجلي: transfiguration : أو عيد الظهور: تدل هذه الكلمة في المصطلحات المسيحية على المعجزة التي رواهـــا متى (متى 17: 1-10)، والتي أظهر فيها المسيح أمام بطرس ويعقوب ويوحنا بهاء لاهوتيه من خلال بشريته فاتخذ هيـــئة نـــور باهرة وخاطب موسى وإيليا ويحتفل بهذا الحدث رسميا منذ عام 1457 في 6 آب (أوغسطس) معجم الإيمان المسيحي، ص 139.

[5]-متى المسكين: التقليد، ص 15-17.

يقـــول القديس أثناسيوس الرسولي[1]:« التقليد هو تعليم وإيمان الكنيسة الجامعة منذ الـــبدء، الـــذي أعطـــاه الرب وكرز به الرسل وحفظه الآباء والذي عليه تأسست الكنيسة وقامت»[2].

يعتقد المسيحيون أن التقليد في الكنيسة لا يتغير باق كما هو منذ أن سلمه المسيح للرسل وهـــو وحـــي. والتقليد في الكنيسة ليس جزءا من تعاليمها بل هو كل الكنيسة فهو يشمل إيمانها وتفسيرها للكلمة وفكرها ولاهوتها وأسرارها وطقوسها وقديسيها في وِحدةٍ كاملة لا تتجزأ.

ويقـــول أغناطيوس الأنطاكي[*]: « إن التقليد في الكنيسة هو من عمل النعمة[*] وقد أبقـــاه الله شهادة حية لصورة الكنيسة الأولى ذات الإيمان الرسولي كما فسره مجمع نيقيا دون أن تضيف عليه أو تختزل منه."فتقليدنا"، يقول أغناطيوس:«استمرار لحياة الكنيسة الأولى»[3].

إن التقلـــيد يشـــمل الإنجـــيل وكل الأسفار المقدسة القانونية في العهدين، فالتقليد والإنجيل ليسا هما شيئين بل شيء واحد، « فالبشارة الشفاهية والتعليم الشفاهي بالخلاص كان هو الإنجيل قبل أن يكتب الإنجيل»[4].

إذا "فالإنجيل المكتوب هو الجزء المدون من التقليد"[5].

وأمـــا التقلـــيد كلـــه فهـــو ما كتب في الإنجيل وما احتفظته الكنيسة من التعاليم

---

[1]-أثناسيوس : بطريرك الإسكندرية وأحد آباء الكنيسة (298-373)، كانت له مشاركة فعالة في المجمع النيقاوي في تحريم البدعة الأريوسية ويحتفل بعيده في 2 مايو. من مؤلفاته: تجسد الكلمة والدفاع عن الإيمان ردا على الأريوسيين، معجم الإيمان المسيحي، ص 14.

[2]-متى المسكين: التقليد، ص 21.

[*]-أغناطيوس(110م): كان تلميذا ليوحنا الحبيب، وثاني أسقف بعد القديس بطرس الرسول على أنطاكية، كتب سبع رسائل، وقد كان محبّا بشكل عجيب لطقس الأفخارستيا، حتى أنه كان يفكّر في طريقة استشهاده بشكل أفخارستي، يقول: «أنا حنطة الله أُطحن تحت انياب الوحوش لأصير خبزا نقيا للمسيح». بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ص78.

[*]-النعمة: هي حياة الله في نفوسنا، هي الإحسان الإلهي للذين لا يستحقونه، تستقر فينا بواسطة سر المعمودية بعد أن تمحو الخطيئة الأصلية، تجعلنا أبناء الله بالتبني واخوة المسيح وشركائه في الطبيعة الإلهية، وهي ضرورية للخلاص بحيث: يستحيل إرضاء الله بدون وجودها فينا، والنعمة قابلة للنمو، تزداد فينا كلما تلونا صلاة حارة إلى الله أو أتينا بعمل صالح وتزول إذا ما اقترفنا خطيئة واحدة، ولكننا نسترجعها بواسطة سر التوبة.

[3]-متى المسكين: التقليد، ص 25.

[4]-المصدر نفسه، 27 إلى 29.

[5]-المصدر نفسه، ص 31.

والفرائض[1].

وبهذا يكون **التعليم الشفاهي المسلم من الرسل جنبا إلى جنب مع الإنجيل المكتوب** هو النبع الذي تستمد منه الكنيسة (جسد المسيح) حياتها اليومية كخبز الحياة (المسيح) المعطى يـــوم بعـــد يوم في صلوات الشكر وفي القداس[2] تقدمه الكنيسة كمائدة روحية لتُهيأ به "سرّ الجسد والدم"[3]: (الأفخارستيا).

يقول أغناطيوس الأنطاكي:[« إن كلمة تقليد تعني التراث المُسلّم لنا من القدسيين منذ أن تســـلموه هـــم بدورهم عن السيد المسيح قبل صعوده إلى السماء فلما حل عليهم الروح القدس في يوم الخمسين وامتلأوا بالحكمة والنعمة والقوة الروحية، تذكروا كل ما علّمهم به رب المجد بل وكل ما سلمه لهم من مبادئ وأسرار مقدسة:« لكم قد أعطي أن تعرفوا أسرار ملكوت[4] السموات» (لو 8: 10)][5].

من هنا يتضح وجه العلاقة بين التقليد وطقس الآفخارستيا المدعو "سر الأسرار"[6] :

---

[1]-متى المسكين: التقليد، ص 33.

[2]-القـــداس: عـــند الكاثوليك والأرثودكس، ذبيحة جسد المسيح ودمه، تقرب على يد الكاهن بصفتها تأوينا * أسراريا لذبيحة الصليب: لمجد الله وخلاص البشر. أطلق على القداس في الماضي عدة أسماء: كسر الخبز، fraction de pain في القـــرن الأول، والإفخارستيا في القرن الثاني والقربان في القرن الثالث والمحفل من القرن 4 إلى 7 عند اليونانين أما اليوم فإنه يحمل أسماء أخرى كالذبيحة الإلهية والليتورجيا الإلهية، معجم الإيمان المسيحي، ص 371.

[3]-متى المسكين، التقليد،ص 41.

[4]-ملكـــوت الســـموات: عبارة وردت في إنجيل متى للدلالة على ملكوت الله الذي ندى به المسيح، القائم على خضوع القلوب لشريعته (شريعة المحبة)، معجم الإيمان المسيحي، ص 481.

-ثم إن لملكـــوت الله علامات لم تكن سوى المعجزات والأيات التي كان يصنعها المسيح رفقا بالبشر. وتأهيلا لهم لدخول الســـماء بإعطـــائهم النعمة الإلهية التي تثبتت في نفس المؤمن منذ هذه الدنيا حتى "نوال البرارة": (نيل البراءة)، والعودة إلى البســـاطة والطفولـــة المســـيحية مع فيها من صفاء نيات ونقاء سرائر: « إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال فلن تدخلوا ملكـــوت السماوات» (متى 18: 1-10).، وأخيرا: ملكوت الله هو الكنيسة الظافرة في السماء حيث النفوس الطوباوية* تعاين الله وجها لوجه وتحبه وتمجده إلى الأبد. بولس إلياس اليسوعي: خلاصة الدين المسيحي، ط2، 1987، دار المشرق بيروت، ص 92-98.

*-طوباوي: هو المؤمن الراقد الذي يتمتع بالسعادة الأبدية، معجم الإيمان المسيحي، ص 312.

[5]-مينا جاد جرجس: واجبات وقوانين في القداس، ص32-34.

[6]-ســـر الأســـرار: دعي سر الأفخاريستيا بهذا الاسم، لأن لكل الأسرار والخدم الكنسية صلة وثيقة به: فسر النعمة التي وُهبـــتْ في العماد وتثبتْ في الميرون موجّهة إلى الاتحاد بالمسيح القربان، كما تكمن مفاعيل الشفاء الكائنة في سر ي التوبة ومسحة المرضى، كذلك بالأفخارستيا: «هذا هو دمي الذي يسفك لمغفرة الخطايا...»، أمّا سر الكهنوت فموجّه إلى-

إنمـــا حُفـــظ عبر الأجيال بواسطة التقليد وفي ذلك يقول الأنباغريغوريوس[*]:« إن المسيح لم يكتـــب إنجيلا و لم يكن معه إنجيل مكتوب يوم أن بدأ كرازته بقوله:« قد تم الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل (مر1: 15)، إن المسيح لم يترك من بعده إنجيلا وإنما ترك تقليدا ليتلمذوا به جميع الأمم»[1] .

ومعنى ذلك أن الإنجيل المسلم شفاها وعمليا إلى الرسل وخلفائهم تَمَّ تسجيله بكتب أخـــرى مثل الدسقولية[2] أي تعاليم الرسل، بالإضافة إلى كتب الكنيسة التي أودعوا فيها نظم الصلوات والطقوس وترتيب العبادة وخدمات الكنيسة[3] .

المطلب الثالث: كيف تسلم الإنجليون عشاء الرب كتقليد ليتورجي وسجلوه في الأناجيل والرسائل

بحسب الإيمان المسيحي وبحسب ما جاء في الأناجيل، وما هو قائم في القداسات الآن، أن الأساس الذي بنى الرب[4] –على حد تعبيرهم– عليه سر الأفخارستيا في العشاء الأخير هو

=تقدمة الذبيحة القربانية: «اصنعوا هذا لذكري»، وأما سر الزواج، فمن حيث هو عهد دائم فهو يرمز إلى الاتحاد القائم بين المسيح والكنيسة بفضل الأفخارستيا: وعلامة العهد الجديد بين الله والإنسان، «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد»: لذلك يحتل سر الأفخارستيا الذروة في الأسرار. حنانيا إلياس كساب: مجموع الشرع الكنسي، منشورات النور، دمشق، 1975، ص83 بتصرف.

*–الأنبا غريغوريوس (590–603): قام بمهام رفيعة في روما والقسطنطينية، كان له أثر بعيد في تثبيت البابوية في الغرب، وتوسيع الجهود الإرسالية، تعكس أعماله اللاهوتية تقليد آباء الكنيسة، أهم مؤلفاته: كتاب القوانين الرعوية. معجم الإيمان المسيحي، ص343.

(1)–سليمان نسيم: الطقوس في الكنيسة، ص34.

(2)–السدقولية Didascalie: مؤلف قانوني وطقسي من القرن الثالث يرجح أنه سرياني الأصل (Syriac) من أصل آرامي، والسريان هم اليوم المسيحيون أبناء اللغة السريانية تفرعت منهم المارونية واليعاقبة وتكونت في القرن 17 كنيسة سريانية كاثوليكية. وطقوس السريان مأخوذة من الطقس الأنطاكي، يستعملون فيها اللغة السريانية وهي لغة محلية آرامية. معجم الإيمان المسيحي، ص212–262.

(3)–سليمان نسيم: الطقوس في الكنيسة، ص 37.

(4)–الـــربّ: في العهد الجديد: يعبر هذا اللقب عن سر يسوع المسيح كما ورد في عبارة :« يسوع رب» (رو 10: 9)، وهي القانون الأساسي للإيمان المسيحي، معجم الإيمان المسيحي، ص 230.

وكـــلمة رب لها أصول متعددة: أ–عبرية وآرامية بمعنى معلّم وبها يوجه الكلام إلى علماء الشريعة وبعد 70 ب.م أصبحت تسمية الاختصاصين في الكتب المقدسة.

والأصـــل اليوناني لكلمة ربّي(ΡΑΒΒΙ) تنطق (راباي) وربّ(ΚΥΡΙΟΣ) تعني "معلم" وإذا كانت كلمة (רַבִּי) العبرية التي تـــنطق "ربّ" بالعربية لم تترجم lord في الإنجليزية وإنما ترجمت master بمعنى معلم : (يو 38: 01) «فالتفت يسوع ونظرهما يتبعنا فقال لهما ماذا تطلبان فقالا ربي (الذي تفسيره يا معلم) أين تمكث؟»

Jesus turned and saw them following and said to them: what do you seek? »-

-«They say to him: Master/Teacher where are you living/staying or dwell?

بحـــد ذاتـــه تقلـــيد أخذتـــه الكنيسة بالتسليم واستودعته طقوسها بكل دقة (selon la foi catholique..ce n'est exactement que la tradition perpétrée à travers l'église)[*].

ولقـــد سرى تقليد "عشاء الرب" كما هو بيّد الرسل في جميع الكنائس كتقليد محدد (قـــائم بذاتـــه) منفصل انفصالا تاما عن كل طقس آخر سابق في العبادة اليهودية (الأغابي: Agapé).

ولأن "عشاء الرب" جاء استعلانا[1] لكل الطقوس والعبادات السابقة، وجاء مزدحما بالمعاني ومحققا لكل الإشارات والرموز والنبوات السابقة، ولهذا فعشاء الرب -في اعتقاد الآباء ورجـــال الكنيســـة- يحوي كل ما هو جليل وكل ما هو حق وكل ما هو ملهَم في الطقوس والعبادات السالفة دون أن ينطوي تحت واحدة منها: «لقد أخذت الكنيسة "سرّ عشاء الرب" كتقليد إلهي متكامل في ذاته، منفصل عن أي تقليد آخر»[2].

وحيـــنما سلّم التلاميذ هذا التقليد السر ي الذي هو أعلى مستوى من الإلهيات[3]. حـــاول كل من تسلمه أن يسجله كما استلمه حتى من لم يشترك فيه مع "الرب" ليلة العشاء

= وبالـــرجوع إلى المعاجم والقواميس - لسان العرب لابن منظور والقاموس المحيط والمعجم الوسيط- نستخلص أن لفظ الرب لا يطلق أبدا على غير الله إلا بالإضافة كأن يقال رب البيت أو رب العمل أي أن يكون لفظ الرب مضافا والتالي له "مضاف إليه" ولئن جاء مفردا فهو عن الله وحده ولا يأتي معرفا أبدا إلا عن الله وحده كما أجمعت معاجم اللغة العربية.

وان الـــتراجم اليونانية والإنجليزية والآرامية تتفق مع ما جاء في الأناجيل من الشهاد لله بالوحدانية ولعيسى بالأمانة والرسالة (مر 12: 30 -33): « ..ليست وصية أخرى أعظم من هاتين فقال له الكاتب جيدا يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه». وكذلك في متى 22: 36: «يا معلم أيّة وصية هي العظمى في الناموس..».

ولا تعليق بعد هذا، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

[*] -Paul Bradshaw: La Liturgie Chretienne en ses Origines, Traduit de l'Anglais: Jean Laporte, Editions du Cerf, Paris, 1995. ص 61

[1]-الاســـتعلان الإلهي: هو الوحي وما أوحي وأودع للكنيسة من كتب مقدسة وتقليد قد عهد إليها بتبليغه والدفاع عنه، والوحي هو عمل يكشف به الله للبشر تدبيره الخلاصي، ويستعلن (يعرف ويظهر) نفسه: فقد أظهر الله نفسه أولا في تاريخ شعب إسرائيل كله، بأحداث -علامات- قام الأنبياء بشرح معناها وأقوال ألهمها الله الأنبياء، وبعد ذلك وأخيرا استعلن - معـــنى أظهر- الله نفسه في ابنه يسوع المسيح في موته وقيامته، وقد بلغ هذا المعنى لجميع المسيحيين في الروح نفسه، وهو الذي يحي الكنيسة. معجم الإيمان المسيحي، ص536.

[2]-متى المسكين: الإفخارستيا، ط1، 2007، مطبعة آنبا مقار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ص246.

[3]-إلهيات: صفة لفعل إلهي بشري يطلق هذا المصطلح أولا على بعض أعمال أو أحداث حياة المسيح التي تجلى فيها لاهوته ولكنها تطلق أيضا على جميع أعمال المسيح البشرية بقدر ما استعملها كلمة الله (الابن أو الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس -بحسب التعبير المسيحي)، أداة لخلاص العالم. معجم الإيمان المسيحي، ص62.

الأخـــير مـــثل بولـــس الرسول الذي كان يستطيع بكل ثقة وتأكيد أن يقول أنه استلمه من الرب!!! «لأني تسلمت من الربّ ما سلمتكم أيضا، أنّ الربّ يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخـــذ خـــبزا...» (1كولوسي 11: 23) بسبب حلول الروح القدس كما يذكر يوحنا في الإصحاح 14 الفقرة 26: «ومتى جاء المعزى(*) الروح القدس[1]، الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بما قلته لكم» إلى هذا الحد بلغت الثقة وبلغ اليقين في سلم وتسليم تقليد سرّ الأفخارستيا![2].

فهذا تأكيد على أن من بين أعمال روح القدس أن يُذكر التلاميذ بكل ما سلمه لهم يســـوع من تعاليم وترتيبات وممارسات لقيادة الكنيسة -أي جماعة المؤمنين- روحيا ورعويا. وهذا الفعل للروح القدس هو الذي جعل التسليم من جيل إلى جيل مرتبط الحلقات في سلسلة الخلافة الرسولية التي تنتقل "بوضع اليد: الرّسامة[3] على المقامين لمسؤولية الرعاية[4]"[5].

ونحن نقول إنّه لمن دواعي التعجب والأسف الشديد أن الله كرم الإنسان بالعقل وجعله نورا يهتدي به في الظلمات وهم في ظلمات الجهل يعمهون، انطلاقا من أصل الأصول[6] في المسيحية وهو «الإيمان بغير المعقول»، و«أن الإيمان منحة لا دخل للعقل فيها»[7] بحسب قول

(*)-المعزى: المؤنس، ويرمز إلى روح القدس.

(1)-الروح القدس: الأقنوم الثالث استحقه المسيح بفصحه ومنحه للمؤمنين به وهو الذي يؤله النفوس، فهو مرسل من قبل الله والمسيح، ويشركنا في الطبيعة الإلهية. والروح بحسب الكتاب المقدس هو نفَس إلهي يمنحه الله الإنسان ليشترك في قداسة الله نفسه -علما بأن الله هو القدوس-. معجم الإيمان المسيحي، ص240.

(2)-متى المسكين: الإفخارستيا، ط1، ص247.

(3)-الرســـامة: رتـــبة يمنح بها سر إحدى درجات الكهنوت، والشرطونية: الدرجات والرتب الكنسية التي يهبها الأسقف "بوضع اليد". معجم الإيمان المسيحي، ص234، 281.

(4)-الرعاية: قسم من أقسام علم اللاهوت يبحث في مجمع سر الكنيسة استنادا إلى المعطيات الموحى بها ويعود إلى الأسقف أو إلى كاهن الرعية بصفته راعي نفوس بإعلان البشارة، ورسالة الأسقف إلى رعاياه هي رسالة تعليم وهداية. معجم الإيمان المسيحي، ص236.

(5)-سليمان نسيم: الطقوس في الكنيسة، ص41-43.

(6)-الشيخ محمد عبده: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، ط2، دار الحداثة للنشر، بيروت، 1983، ص34.

(7)-المصدر نفسه، ص34.

القديس "أنسيلم" "Anselm"[1] «يجب أن تعتقد أولا بما يعرض على قلبك بدون نظر ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت»، وقول أنسيلم «ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت»[2]؛ فمعنى الفهم هنا أن يخلق المؤمن لنفسه ما يُسلي به نفسه على إيمانه بغير المفهوم، والويل كل الويل لطالب الفهم إذا أدى اجتهاده إلى شيء يخالف ما تعلق به إيمانه[3].

هذا هو "التسليم" الذي يفرضه بولس وحلفاؤه على ما يسمونه "جماعة المؤمنين" ليستمروا في تخريب المسيحية بسلاح جديد: سلاح التهديم من الداخل بإفساد معالمها وتحريف عقيدة التوحيد التي نادى بها عيسى -عليه السلام- حتى ضاعت مسيحية عيسى، وقامت على أنقاضها مسيحية بولس. -انتهى التعليق-.

*ويلزمنا هنا أن نقف عند مفهوم "تسلمت وسلمت" الذي يستخدمه بولس فيما يخص بالأسرار، وقد استخدمها مرة أخرى فيما يخص موت الرب وقيامته أي فيما يختص بحقائق الإيمان العليا (1كولوسي 15: 1-5) «...فإني سلمت لكم في الأول ما قبلته أنا أيضا أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب وأنه ظهر ...الخ».

فالكلمتان "تسلمت وسلمت" ذات الأصل العبراني وهما من الاصطلاح الرباني المخصص في العبادة للتقليد السري، يستخدمهما بولس ليؤكد أن ما يقوله هو تقليد إلهي من مصدره الأصلي الذي هو الرب نفسه دون أي انقطاع أو تقطع.

كذلك "حسب الكتب" ليست من استخدامات بولس في الكتابة، فهو هنا ينقلها حرفيا كما استلمها شفاها[4].

---

[1]-أنسيلم: (1033-1109) من كنتر بري (القرن 11م) ممن أثبتوا الاستحالة ودافعوا عنها... رئيس أساقفة كنتر بري وكان أنسيلم من أعوان سيادة روما المتحملة وبواسطة مجهودات الفيلسوف أنسيلم ظهرت في أواخر القرن 11 حركة فكرية واسعة النطاق (مع لانفرنك وبرنجر) فتطورت المدارس الكاتدرائية القديمة وصارت معاهد تدرس فيها العلوم المختلفة، وهي التي نشأت منها على مر الأيام جامعات أوربا الحديثة.

[2]-محمد عبده: الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، ص34-35.

[3]-التدبير المصدر نفسه، ص35.

[4]-متى المسكين: الإفخارستيا، ص249.

«ويؤكد العالم "يواكيم إرميا "Joachim Jeremias" أن التقليد الذي ينقله القديس بولـــس الرسول بكلماته هو من أصل عبري واضح وليس من أصل يوناني، توكيدا على أن التقليد اللفظي الاصطلاحي منقول من نفس الألفاظ التي قالها المسيح وسمعها التلاميذ ونقلوها كما هي، وكما سرَت في الكنيسة الأولى في الوسط المسيحي العبري»[1].

والجديـــر بالاهتمام أن أحداث العشاء الأخير قد تم تسجيلها في الأناجيل الأربعة وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنيتس على مراحل مختلفة ومتباعدة جدا.

ويعتبر بولس أول من سجل التقليد الإفخارستي كتابه في رسالته إلى أهل كورنيتوس، كـــان ذلك بعد تأسيس العشاء الرباني بحوالي 10 سنوات أو أقل قليلا كما تسلمه -بحسب إيمان الكنيسة- من الرسل الثلاثة بطرس[2]، يوحنا[3]، ويعقوب[4] أعمدة كنيسة أورشليم في الزمن الأول[5].

ثم يـــأتي بعد ذلك مرقس الذي يُظن أنه أخذ تقليد "عشاء الرب" من القديس بطرس كشاهد عيان، ويكون قد سجله بعد ذلك بحوالي ثلاثين سنة أو ما يقاربها[6].

---

[1]-Joachim Jeremias: Théologie du nouveau testament (la prédication de Jesus). Traduction: J. Alzin et A. Leifooghe, Paris, Editions du Cerf, 1975, P346.

[2]-بطـــرس: كلمة يونانية (Pierre)، يقابلها بالعربية "صخر"، وهو لقب سمعان بن يونا. ورد اسمه في رأس لوائح الاثني عشـــر دائمـــا. (مر 3: 16) «وجعل لسمعان اسم بطرس». مع أنه كان ثالث الذين دعاهم يسوع. كان بطرس الرسول صـــيادا في كفر ناحوم (قرية نناحوم: مدينة في الجليل على الشاطئ الغربي من بحيرة طبرية كانت مقر ليسوع فترة من الزمن (مـــتى 4: 13، 9: 1)، ومركـــز نشاطه في الجليل، ثم لعنها ياسوع في وقت لاحق لعدم إيمانها (متى 11: 23). معجم الإيمـــان المسيحي، ص398). شأن أخيه أندراوس. وبعد القيامة اتخذ بطرس مبادرات هامة مختلفة (رسل 1: 21-22) ويقـــال أنـــه أتـــى إلى روما وصلب فيها في حوالي 64م، وله رسالتان من الرسائل العامة ورد فيها أن كاتبها هو القديس بطرس. معجم الإيمان المسيحي، ص108.

[3]-يوحـــنا: (البشير): من الرسل الاثنى عشر، أخو يعقوب الأكبر، الملقب بـــ"التلميذ الحبيب"، ينسب إليه الإنجيل الرابع الذي تغلب عليه الصبغة اللاهوتية، بالإضافة إلى ثلاثة رسائل "ورؤيا القديس يونا" وهي رؤى تروي شدائد كنيسة المسيح ومستقبلها المجيد. معجم الإيمان المسيحي، ص552.

[4]-يعقوب: الأكبر من الرسل الاثنى عشر، ابن زبدي وأخو يوحنا البشير، والأصغر: من الرسل الاثنى عشر كذلك و"أخو الرب"، وهو أول أسقف على أورشليم. معجم الإيمان المسيحي، ص548.

[5]-متى المسكين: الأفخارستيا، ط1، ص248.

[6]-المصدر نفسه، ص248.

ثم يوحنا الذي كتب إنجيله تقريبا في نهاية القرن الأول، أي بعد زمن تأسيس العشاء السري بأكثر من ستين سنة!

والملاحظ إغفال يوحنا لأحداث العشاء الأخير وسكوته على كلمات التأسيس، وقد أشار إشارات خفية -أو ما فُسِّر بذلك- للسر في ذكر "غسل الأرجل" للتعبير عن منتهى الخدمة والتواضع.

ويبرر متى المسكين هذا "الإغفال" لسر بلغ الذروة في الكنيسة (حتى دُعي "سر الكنيسة" و"سر جسد المسيح"، و"منبع الحياة المسيحية"، و"سر الأسرار"، لكون سائر الأسرار -المبتدعة- مرتبطة به ارتباطا وثيقا، بل ومنها من قام وانبنى على هذا السر: كعقيدة الصلب والفداء والقيامة والخلاص -كما سيأتي بيانه فيما بعد-) بأن يوحنا لم يجد سببا لتسجيل كلمات العشاء الرباني بصفتها قد أصبحت من تعاليم الممارسات السرية Disciplina Arcani المحظور إذاعتها إلا للمؤمنين الممارسين للأسرار فقط، لذلك يقول متى المسكين(*): «اكتفى يوحنا بتوضيح الحوادث الملابسة للعشاء فقط!»[1].

وهذا مما لا يستسيغه العقل ويرفضه المنطق السليم: فيكف لسر يحوي كل الأسرار وبه الثبات في المسيح ونيل الحياة الأبدية -كما يزعمون- ويكمن فيه تدبير الله الخلاصي للبشر، أنْ يغفل يوحنا الإنجيلي وهو من الرسل وشاهد عيان عن ذكر تأسيس هذه العقيدة "العقيدة الإفخارستية"[2]، بكل تفاصيلها.. ونعلق على كلمة "إلا للمؤمنين الممارسين فقط": فكيف يكون ذلك وقد يسمح للموعوظين[3] بحضور القداس في جزئه الأول، وهو "خدمة الكلمة"، لأجل وعظهم واستجلابهم ثم يختم بصرفهم حتى يتم "قداس المؤمنين"، والمتضمن للجزء الثاني

---

*-متى المسكين (1919-2006)، صيدلي، تَرهَّبَ في دير أنبا صموئيل في الصّعيد عام 1948، أهم وأول كتبه "حياة الصلاة الأرثوذكسية" 1952، "شرح أسفار العهد الجديد" في16 مجلدا، أهم مؤلفاته: "سر الأفخارستيا"، "حياة القديس بولس": أعمال المؤتمر الحادي عشر للدراسات الآبائية، مؤسسة القديس أنطونيوس، دار يوسف كمال للطباعة، القاهرة، 2002، ص102.

[1]-متى المسكين: الأفخارستيا، ط1، ص249.

[2]-Beauchesne : Le dogme eucharistique, Rue des sts pères, Paris, 1976, P66.

[3]-الموعظين: جمع موعوظ، وهو الشخص البالغ الذي يرغب في الاعتماد (في الاستنارة: وهو الاسم القديم لسر المعمودية وسمية بـ"الاستنارة" لأنها تمنح النعمة التي بها الإيمان وتجعل من المعمدين "أبناء النور". معجم الإيمان المسيحي، ص36). بحسب تعبير شرقي قديم، ويتلقى التعليم المسيحي. معجم الإيمان، ص490.

وهـــو "خدمـــة القـــرابين" الـــذي يحضره المعمدين لأجل التناول[1]، ثم يصبح كل متناول "إفخارســـتيا" لغـــير المســـيحيين[2]، ليبشـــر بدوره بتعاليم المسيح ! فكيف تكون "التعاليم الإفخارستية" حكرا على "المؤمنين الممارسين للأسرار فقط"!.

كذلـــك نجـــد بعض الكلمات مذكورة في إنجيل وغير مذكورة في إنجيل آخر، مثل "اصنعوا هذا لذكري"، الذي سجلها لوقا وبولس ولا نجدها عند مرقس ومتى.

ويقول "ديكس" (Dix): أن السبب في ذلك هو أن لوقا وبولس كتبا لكنائس كانت في طـــور التكوين و لم يترسخ فيها بعد التقليد الأفخارستي فأرادا أن يوضحا التقليد بدقة كما تسلماه، في حين اكتفى مرقس ومتى بسرد التقليد الأساسي -أي الكلمات الأساسية التي قام عليها القداس لأنها أصبحت حقيقة محفوظة في الكنيسة التي كتب لها مرقس ومتى!

أمـــا إضـــافة كـــلمة "لمغفـــرة الخطايا" (متى 26: 28) وردت في إنجيل متى باللغة السريانية[3]: «هذا التسجيل من واقع ليتورجية الإفخارستيا في الكنيسة بحسب التقليد المسلم للكنيسة هناك قبل كتابة الإنجيل وترجمته»[4].

وقد أصبحت هذه الإشارة الإنجيلية -ونعني بالإشارة الإنجيلية عبارة "لمغفرة الخطايا"

---

[1]-التـــناول: هـــو الاشـــتراك في ذبيحة الرب الفصحية (1 كور 11: 26)، إنه وليمة الملكوت (لو 22: 30)، وهو الاشتراك في سر الاعتقاد في سر القربان (الخبز والخمر اللذان يوضعان على المذبح ليقوم الكاهن بتقديسهما. معجم الإيمان المسيحي، ص374). معجم الإيمان المسيحي، ص155.

[2]- مينا جاد جرجس: واجبات وقوانين في القداس، ص106.

[3]-الســـريانية: لغة محلية آرامية (لغة سامية عمت ما بين النهرين وإيران وظلت لغة فلسطين حتى في عهد المسيح، عرفت الآرامية قديما لهجات متعددة لا يزال بعضها ماثلا في السريانية والكلدانية، ومنها اللهجة التي تنطق بها حتى اليوم قرى جبل القـــلمون في سورية. معجم الإيمان المسيحي، ص26). اصبحت اللغة الرسمية في الكنائس السورية، ولا تزال اللغة الطقسية المشـــتركة بـــين البطريركيات السريانية الأرثوذكسية والكاثوليكية، كما أن الترجمات السريانية الأولى للعهد القديم تشابه التراجيم اليهودية، وهناك ترجمة سوريانية قديمة للأناجيل لم تصل إلينا في حالة جيدة ثم ظهرت في وقت لاحق ترجمة شائعة هـــي: "البســـيطة " (بشيطو: الترجمة السوريانية للكتاب المقدس، لا نعرف أصحاب هذه الترجمة، إلا أنهم عاشوا في جوار الـــرها -عاصـــمة شمال سورية قبل الإسلام) في أواخر القرن الثاني، ومن الواضح أنهم استعانوا بالترجمات الآرامية اليهودية الأصـــل. معجـــم الإيمان المسيحي، ص107). ومن بعدها ترجمات أخرى وكلها جديرة بأن تؤخذ بعين الاعتبار. معجم الإيمان المسيحي، ص262.

[4]-Dix Grigory: Traité de la tradition apostolique, traduit par: Chadwick, Institut catholique de Paris, 1968, P157.

أهم خصائص الإفخارستيا منذ البدء حتى اليوم[1]. هكذا يرى المسيحيون التقليد الأفخارستي الموجـــود في الكنيســـة مـــنذ البدء، والمدون في الأناجيل -أي عشاء الرب- كما رآه وسمعه وشارك فيه التلاميذ والإنجيليون -بحسب الاعتقاد المسيحي طبعا-!.

ثم علينا أن نُنبِّه إلى **مسألة مهمّة** وهي:

-العنصر التقليدي الليتورجي ومدى تأثيره في النصوص الأفخارستية: L'impact de la tradition liturgique sur le texte euchnaristique[2]: إذا علمنا بأن الأسرار (Les sacrements) وبـــالأخص العمـــاد والإفخارستيا تأصّلت في حياة الكنيسة ورسّخت تعالـــيمها وممارساتها بدقة في حياة "المؤمنين" قبل أن تُكتب الرسائل والأناجيل، لذلك أصبح التقليد الليتورجي السرائري[3] داخل الكنيسة ذا اعتبار هام وقت كتابة الرسائل والأناجيل.

لأن الليتورجـــيا تقلـــيد أصيل ينقل صورة الممارسات التي تمت وقت العشاء السري والكلمات التي -يفترض- أنه قالها "الرب" بدقة وحرفية لفظية وعملية بحسب التقليد المُسلم.

ويـــرجع "الآباء" أسباب الإضافات والاختلافات في الترجمة وبعض "التعديلات" إلى مـــدى تأثير التقليد الليتورجي القائم في الكنيسة وقتئذ على النص الإنجيلي، مثال ذلك: إضافة بولس -في سرده للنص الإفخارستي المسلم إليه- -بزعمه- نصا لم يرد في الأناجيل الأخرى إلا بصـــورة جزئية في إنجيل يوقا فقط[4]. وفي رسالته الأولى إلى أهل كورنتس «فإنكم كلما

---

(1)-Ibid, P159.

(2)-متى المسكين: الإفخارستيا، ط1، ص249.

(3)-التقليد السرائري: إن خلاصة الإيمان بالثالوث المقدس وبموت الرب وقيامته إنما يؤدي وينتهي إلى الحياة الأبدية «إذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها من آمن واعتمد خَلص (مر 16: 16).

وأما كيف نقبل هذه الحياة الأبدية فينا فهذا ما يضطلع به التقليد السرائري المنحدر إلينا بالتسليم من الرب نفسه.

فالـــرب أعطـــى المعمودية للميلاد الثاني الذي من فوق أي من السماء، لخلقة الإنسان خلقة جديدة للحياة الأبدية وذلك بواســـطة المـــاء والروح القدس، وأعطى الإفخارستيا لاستمرار هذه الحياة وتقديسها والثبوت فيها وذلك بواسطة الجسد والدم.

إذن فالمعموديـــة والأفخارســـتيا هـــما عمـــل الله فينا نظير إيماننا به. وهذا هو موضوع التقليد السرائري -بحسب الإيمان المسيحي-. متى المسكين: التقليد (كمدخل لشرح الأسفار وفهم الأسرار)، ط2، ص174بتصرف.

(4)-ما أورده لوقا هو «اصنعوا هذا لذكري»، وذلك على الخبز فقط، في حين أن بولس في رسالته إلى كورنيتس «اصنعوا هـــذا لذكري»: على كل من الخبز والخمر، ثم أضاف بعد ذلك «لأنكم كلما أكلتم من هذا الخبز وشربتم من هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء». متى المسكين: الأفخارستيا، ط1، ص250.

أكلتم هذا الخبز وشربتم هذا الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء (1 كو 11: 26).

فهذا النص موجه من بولس إلى أهل كورنتس وليس من المسيح للتلاميذ، غير أن متى المسكين يجد تبريرا لهذه الإضافة بقوله: «أنّ بولس الرسول لم يضف النص من نفسه ولكنه كان تقليدا قائما وممارسا»[1]. ففي تتميم كل أفخارستيا تتجدد ذكرى الآلام والقيامة من بين الأموات والصعود إلى السماوات وجلوس الابن عن يمين الآب وظهوره الثاني الآتي من السماوات المملوء بالمجد -بحسب الإيمان المسيحي-.

وهذا هو المقصود من كلمات بولس «تخبرون بموتي» حيث أن لفظة "تُخبَرون" في التفسير الآبائي تفيد التبشير بحدث "قائم" أكثر مما تفيد الإخبار عن حادثة مضت وانتهت.

بمعنى أن «الإخبار بموت الرب»: (عمليا بتقديم الجسد والدم ولفظيا بذكر أخبار آلام السرب) في كل مرة تقام فيها الافخارستيا هو بشارة مستمرة بخبر الخلاص الذي تم بذبيحة المسيح[2].

والذي نريد أن ننبه إليه هو أن النص الأفخارستي الذي سجله بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنتس هو في الواقع نص ليتورجي أخذه بولس -بزعمه- من صميم الممارسة العملية للإفخارستيا داخل الكنيسة وسلمه كما هو لأهل كورنتس!

أما نحن فنتعجب لممارسة طقسية رُفعت إلى مستوى نص ليتورجي قائم بذاته وكيف اعتبرت الكنيسة هذا النص الذي جاء على لسان بولس بأنه أصلا أتى على لسان المسيح نفسه، و لم تكثرت لهذا الخروج عن الواقع، وهذا التجنب للحقيقة، وأعطت تفسيرا لقول المسيح: اصنعوا هذا لذكري، بأن ذكر المسيح يشمل حتما موته وقيامته ومجيئه الثاني! وبهذا يتضح مدى تأثير الليتورجيا على النصوص الأفخارستية التي سجلت في الأناجيل والرسائل - قبل تدوين الأناجيل-!

ونبين من خلال هذه المقارنة لتسجيلات نصوص الأفخارستيا صلة الليتورجيا بالنص الأفخارستي وبالأخص لكلمات التقديس على الخبز والخمر الواردة في الأناجيل والرسائل.

---

[1]-متى المسكين: الأفخارستيا، ص251.

[2]-المصدر نفسه، ص253.

الجدول رقم : صلة الليتورجيا بالنص الأفخارستي لكلمات التقديس على الخبز والخمر الواردة في الأناجيل

الرسالة الاولى لأهل كورنتس	إنجيل لوقا	إنجيل مرقس	إنجيل متى
أن الـــربّ يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزا وشكر وكسر وقال	و أخذ خبزا وشكر وكسر وأعطاهم قائلا	وفيما هم يأكلون أخذ خبزا وبارك وكسر وأعطاهم وقال	وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال
كذلك الكأس أيضا بعدما تعشوا قائلا	وكذلك الكأس أيضا بعد العشاء قائلا	ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منها كلهم وقال لهم	وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا

المصدر: متى المسكين: الأفخارستيا، ط1، 252.

والـــذي نستخلصـــه من هذا العرض للنصوص الأفخارستية كما وردت في الإنجيل ورســـالة بولس إلى أهل كورنتس أن التقليد الأساسي والأول الذي أخذ عنه الإنجليون الثلاثة وبولس "واحد ونفس الشيء"، فالعبارات تكاد تكون واحدة حتى وإن ظهرت فيها مفارقات طفـــيفة، والســـبب في ذلك هو أن كل كاتب (ممن لم يعاينوا عشاء الرب) إنما كان يُسجل التقليد المسلّم إليه بحسب الليتورجيا القائمة في الكنيسة التي يعيش فيها، والتي اشترك هو بنفسه في الصلاة بها[1].

ولهذا التقارب الشديد بين نصوص بولس وتلميذه لوقا لأنهما كانا ملتزمين بليتورجية

[1]-متى المسكين: الأفخارستيا، ط1، ص253.

واحدة، كما يظهر التقارب بين الرسولين متى ومرقس، لأنهما أصلا ملتزمان بليتورجية كنيسة أورشليم حيث تأسس عشاء الرب!. -طبعا هذه الاستخلاصات هي بحسب الإيمان المسيحي-

كمـــا تجدر الإشارة إلى أن كل هذه النصوص المسجلة في الأناجيل والرسالة إلى أهل كورنيتس هي في الواقع نصوص ليتورجية: «أي منطوق العبارات التي تُتلى في التقديس على الخبز والخمر»[1].

فالأفعال الثلاثة المتتالية: "أخذ"، "شكر"، "كسر"، تشير إلى روح الليتورجيا وتربط الأعمال بـــ"الذكرى" الرهيبة، لتأخذ الخدمة[2] هيبتها ووقارها: خاصة وأن هناك وقفة زمنية تتخلـــلها "خدمة" أو عمل ليتورجي بين "شكر" و"كسر"، حيث تفيد كلمة "شكر" تلاوة صلاة خاصة للشكر على الخبز، ثم بعدها يأتي كسر الخبز حتى يكتمل "التناول"!

أمـــا انفـــراد بولس ولوقا في تسجيل كلمة "شَكَرَ" بدل كلمة "بَارَكَ"، فهي محاولة لتســـجيل أول اتجاه ليتورجي للتحرر من الطقس اليهودي، لأن الكلمة العبرية الأصلية هي " Berak" وتـــترجم إلى اليونانية(εὐλογέω) بمعنى "بارك"/، فتحويل مفهوم "عشاء الرب" من طقس "بركة" إلى طقس "شكر" يُعد أول صورة لليتورجيا في الكنيسة المسيحية: أي نقلها مـــن الأولوجـــيا[3] -بالتعبير اليوناني- إلى الأفخارستيا. ثم لم تلبث أن تحولت بعدها تسمية "عشـــاء الـــرب" إلى "الأفخارســـتيا"؛ أي "طقس الشكر"، وقد بدأ استخدامها رسميا داخل الكنيسة في الدسقولية [4].

إذن فترجمة الفعل "Berak" بالعبرية و"Barek" بالآرامية وباليونانية "أفلوجين" بالفعل "شـــكر"، إفخارســـتين"، تعتـــبر -كما أسلفنا الذكر- محاولة للخروج من القيود الطقسية

---

[1]-متى المسكين: الأفخارستيا، ط1، ص253.

[2]-الخدمـــة: هـــي كـــل وظيفة تمارس في شعب الله وتعترف بها السلطة الرعاوية المكلفة بنظام الحياة في الجماعة. الخدمة الـــرعاوية: وتســـمى أيضا الخدمة "المرسومة"، وقد حددت على ثلاثة أصعدة الأسقف والكاهن والشماس. أما فيما يخص الأفخارستيا فهي تقسم إلى قسمين: خدمة الكلمة: وهو القسم الأول من القداس.

وخدمة القرابين: وهو القسم الثاني من القداس مركز على تقدمة القرابين.

[3]-ألوجيا: هي البركة باللغة اليونانية، وترمز إلى الأفخارستيا. Actions de Grâce

[4]-(9: 1، 10: 1) متى المسكين: الأفخارستيا، ط1، ص255-257 بتصرف.

اليهودية، الملزِمة للكلمة "بارك" مع الاحتفاظ بكثير من المعاني[1].

ثم إننا نجد بعد ذلك القديس مرقس يستخدم كلمة "شَكَر" بدل "بارك" (مر 1: 16)، وكذلك في متى (15: 36)، كما وردت في سفر الأعمال (27: 35)، واستخدمها أيضا يوما الرسول (6: 11-23).

وهكذا إذن -وبحسب الإيمان المسيحي، فإن الكلمات التي أضافها الإنجيليون تبين أن **النص الأفخارستي هو بعينه النص الليتورجي التقليدي المستخدم في الكنيسة وقت تدوين الأناجيل!** [2].

والجدول السابق، يؤكد أن كلمات التقديس التي أوردها الإنجيليون الثلاثة وبولس في رسالته إلى أهل كورنتس هي: «منطوق كلمات الليتورجيا التي كانت تقدِّس بها الكنائس وقتئذ»[3].

وهذا ما من شأنه -عند المسيحيين- أن يزيد من أصالة ويقين " الليتورجيا" أي خدمة الأفخارستيا في الكنيسة منذ البدء، وهو بذلك يلقي الضوء على وحدة الأصل والمنبع للأفخارستيا (الطقوس الليتورجية الكنسية) كما سجلها الإنجليون والقديس بولس الرسول![4].

---

[1]-متى المسكين: الأفخارستيا، ط1، ص257 بتصرف.

[2]-المصدر نفسه، ص259 بتصرف.

[3]-المصدر نفسه، ص 259-261.

[4]-المصدر نفسه، ص 261-263.

نتائج الفصل :

وأهم النتائج المتوصل إليها في نهاية هذا الفصل هي :

- بحسب الإيمان المسيحي فإن الإحتفال المسيحي اللّيتورجي هو تحقيق للتدبير الخلاصي، حيث ترتكز الليتورجيا على التدبير الإلهي وهي إحتفال بهذا التدبير بمعنى أنها تلخيص وإستحضار آني لكل مراحل التاريخ إستنادا إلى شخص يسوع وإلى عمله الفصحي : موته وقيامته وصعوده وإرساله الروح الذي يحل على الجماعة وعلى الأسرار – بزعمهم – وبذلك تتحقق "الليتورجيا" تحت علامات منظورة : الخبز، والخمر والكلمات.

ويُقصد "باليتورجيا" : "سر المسيح" حيث تفيد الأسرار حضور المسيح "ها أنا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهور" (متى : 20/28).

- الليتورجيا : إستعملها المسيحيون للدّلالة على القيام بالعمل الكهنوتي في مجمله، وللدّلالة على "الذبيحة الإلهية" على وجه الخصوص علما بأنها العمل الطقسي الميثالي.

- و الليتورجيا هي عمل تبادل العالم مع الله في علاقة أفخارستية، فكما أن الله واهب ومحب، فالإنسان شاكر وأفخارستي.

- إن الأفخارستيا –كما يعتقد المسيحيون- سر أسسه يسوع، لأنه بحسبهم :

أ- به **الثبات فيه** "من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه" (يو : 56/6).

ب- **نوال الحياة الأبدية** "أنا هو الخبز الحي النازل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد" (يو : 51/6).

جـ- **مغفرة الخطايا** "الذي لنا به الفداء بدمه غفران الخطايا" كولوسي : 41/1) لهذا دعيت الأفخارستيا "بسر الأسرار" لإرتباطها بأسرار الكنيسة إرتباطا وثيقا.

- تكمن أهمية هذا السر :

أ- في عودة المسيح إلى شعبه (**المجيء الثاني**) حيث تصبح المائدة "مائدة ربانية" توجه أنظار المشتركين إلى الإجتماع العتيد في السماء: "**وليمة المجد**" التي سيُعِدُّها المسيح لمختاريه في ملكوت السموات "وأنا أجعل لكم ملكوتا..لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي (لوقا

92: 30/22).

ب – **التذكار** : بموت المسيح الكفاري لفداء البشرية ليس مجرد ذكرى تاريخية لحادثة الصليب، إنما هي –عند المسيحيين– تذكارا حي يبدوا فيه الصليب إختبارا متجددا في حياة المسيحي اليومية وفقا لما يقوله بولس : "مع المسيح صلبت، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في، فما أحياه الآن في الجسد، إنما أحياه في الإيمان، إيمان بإبن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي" (غلا 20 :2).

جـ– الأفخارستيا هي **العهد** بين المسيح والمؤمن به في كل جيل وعصر، إنه "عهد المحبة" الذي كتب بدم المسيح على الصليب، فبحسب الإعتقاد المسيحي، "المحبة" هي أعمق تحديد لله (1 يو 8/4)، وشريعة المحبة هي الشريعة الجديدة التي أتى بها الإنجيل..

– إذن، فالأفخارستيا عند المسيحي لها أكثر من معنى :

فهي "سر التقوى"، "علامة الوحدة"، "رباط المحبة"، وهي الوليمة الفصحية التي فيها "يؤكل" المسيح "من يأكل جسدي.." فتمتلئ النفس نعمة[1] وتعطى عربون[2] المجد الآتي[3].

– والأفخارستيا هي العلامة الثالثة من أسرار الإستنارة[4] المقدسة، قد كان أغناطيوس الأنطاكي 110 ميلادي أول من استعملها في تقليد الكنيسة للدلالة على عشاء الرب السري، الذي كان يعرف قبل ذلك "بكسر الخبز".

– كما أخذت الأفخارستيا المكانة الأولى في تعبير الكنيسة عن إلتزامها بالمسيح، من حيث هي "سر الأسرار" يقول فيها يوحنا ذهبي الفم : "لنتأمل أعجوبة هذا السر والغاية من تأسيسه، إننا به نصبح والمسيح جسدا واحدا، إنه يمتزج بنا لنصبح معه حقيقة واحدة كالجسد المتصل بالرأس"[5].

– فالكنيسة إذن، هي الجسد السري والمسيح رأسها ومن خلال الأفخارستيا تَرفع في

---

(1)–أنظر فهرس المصطلحات الأفخارستية في آخر البحث.

(2)–أنظر فهرس المصطلحات الأفخارستية في آخر البحث.

(3)–تادرس يعقوب ملطي : أقوال الآباء وكتاباتهم، الكلية الإكليريكية الإسكندرية 1980 ص 254.

(4)–الإستنارة : أسرار الاستنارة ثلاثة: المعمودية والتثبيت والأفخارستيا. معجم الإيمان المسيحي، ص36.

(5) [illegible] 1980 ص 255.

"ليتورجيا مقدسة" شكرها إلى الآب.

- هكـــذا -وبتعابير مسيحية- يعتقد المسيحيون في هذا "السر العجيب" منذ القرون الأولى وحتى يومنا هذا.

- إن الطقوس، هذه النظم والترتيبات والتعليمات الروحية التي تحوي داخلها مضمون العـــبادة في الكنيسة تدرك أهميتها في الحياة المسيحية حيث يتم بها التعبير عن التعليم الإنجيلي كمـــا سلمه يسوع لتلاميذه -بزعمهم- وهم بدورهم سلموه لمن بعدهم، وبتأييد من الروح القدس سلموها إلى بقية العالم، علما بأن الإنجيل هو الجزء المدون من التقليد، والتقليد كله هو ما كُتب في الإنجيل وما احتفظته الكنيسة من التعاليم والفرائض.

- بحســـب الإيمان المسيحي، فإن الأساس الذي أقام عليه المسيح سر الأفخارستيا ليلة العشـــاء الأخـــير هـــو تقليد (قائم بذاته) ومستقل عن كل طقس سابق في العبادة اليهودية (الأغابي).

- ويُعتبر بولس أول من سجَّل التقليد الأفخارستي كِتابةً في رسالته إلى أهل كورنيتوس كان ذلك بعد تأسيس العشاء الرباني بحوالي 10 سنوات كما تسلمه من الرسل الثلاثة بطرس، يوحنا ويعقوب، أعمدة كنيسة أورشليم في الزمن الأول. -بحسب إيمان الكنيسة طبعا!-

الفصل الثاني:

الأفخارسيتا أصولها التاريخية والروحية

المبحث الأول: الأفخارستيا سر الشكر في الأديان عامة وفي العهد القديم.

المبحث الثاني: رموز الأفخارستيا في العهد القديم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد: أصل الشكر في حياة الإنسان

علمنا أن الأفخارستيا لفظة يونانية تعني "الشكر"، ولكن قبل التوسع في معاني سر الأفخارستيا في اللاهوت المسيحي، لا بد لنا من التوقف على معنى الشكر في حياة الإنسان، وذلك على الصّعيد الإنساني المحض ثم على الصّعيد الديني.

فـ"الشكر" هو إحدى العواطف الإنسانية التي تحمل الإنسان على الاعتراف بوجود الآخر، وبما يقوم به من أعمال حسنة، وهذا الاعتراف إنما يكون بوجود الآخر كشخص حر، مستقل، وغير مستعبد لأحد، لا يقوم بصنائعه وأعماله الحسنة تحت الضغط والإكراه، بل بملئ حريته وبدافع من سخائه ومحبته، ويتضمن هذا الاعتراف التزاما من قبل من يؤدي الشكر بالإرتفاع إلى مستوى الصّنائع والأعمال الحسنة التي يؤدي الشكر لأجلها، وبالعيش بموجبها[1].

والشكر عاطفة إيجابية فعالة تُدخل الإنسان في علاقة بناءة مع الآخر وتُنشئ بين البشر صلات احترام وتقدير ومحبة، فتُسهم في بناء الذات وبناء العالم. (في علاقة شراكة واتحاد)، تلك العاطفة الإنسانية تصير عاطفة دينية عندما تتجه نحو الله -تعالى في مجده- فتعترف بوجوده وصنائعه، بصفته يُفيض على العالم محبته ورحمته وسخاءه وتعترف بصنائعه معلنة أنه وحده مبدع كل المخلوقات والمانح الحياة والخلاص لكل إنسان[2]. - من وجهة نظر مسيحية -

وفي هذا المبحث سنتوسع في التعبير عن "عاطفة الشكر والاعتراف" في الأديان عامة وفي العهد القديم خاصة.

---

[1]- تأليف: بطرس عبد المالك، جون طمسن، إبراهيم مطر، قاموس الكتاب المقدس، ص513. مكتبة الحرية، ط 13، بيروت ، لبنان، 2000 .

-فاضل سيداوس، جورج قنواتي، فهيم عزيز: معجم اللاهوت الكتابي، المكتبة الشرقية، ط2، بيروت لبنان 1988، ص 457-456.

[2]-معجم اللاهوت الكتابي، ص459.

-517.

المبحث الأول: الإفخارستيا "سر الشكر" في الأديان عامة وفي العهد القديم بصفة خاصة

المطلب الأول: الذبائح والقرابين (الشكر) في الأديان عامة

إن جوهر كل دين وكل صلاة يقوم على أن يرفع الإنسان قلبه إلى الله ليدخل معه في علاقة محبة[1] وصلة شكر[2]، واعتراف، وهذا ما يظهر لنا في مختلف الأديان في العهد القديم.

فمنذ أن وعى الإنسان وجوده على الأرض رأى في الكون قوة تفوق الكون، وفي المادة روحا[3] تحيي المادة.

وهذا الوعي هو أساس الفكر الديني، فالإيمان بالله ومنذ أقدم العصور وفي مختلف الديانات والحضارات هو رفض الاكتفاء بما تراه الحواس، ولقد تنوعت هذه النظرة إلى الله بتنوع الأديان والحضارات: من عبادة الأصنام إلى عبادة الآلهة المتعددة، إلى الإيمان بالإله الواحد، غير أن أمرا أساسيا يجمع بين النظرات المختلفة وهو: «الاعتراف بأنّ الكون والإنسان ليسا عمل صدفة، بل إن وجودهما مرتبط بوجود إله هو خالقهما وغايتهما القصوى، وهذا الاعتراف بالإله الخالق عبَّر عنه الفكر الديني بوسائل مختلفة منها: تقديم القرابين والذبائح، وهي عبادة نشهدها في مختلف الأديان ولدى معظم الشعوب[4].

---

[1]-المحبة: في اليونانية ثلاث كلمات للتعبير عن الحب: هناك الحب الاستئثاري "إيروس"، والحب غير المفرض والذي يقتضي بذل النفس "آغابي وفيليا"، أما في العربية فإننا نستعمل كلمة محبة للدلالة على الحب غير المفرض لا سيما في علاقتنا مع الله ومع القريب، و"المحبة" هي أعمق تحديد لله (1 يو 4- 8). وشريعة المحبة هي الشريعة التي أتى بها الإنجيل. معجم الإيمان المسيحي، ص441.

[2]-شكر: لا يستعمل العهد القديم هذه الكلمة إلا نادرا، بل يعبر عن هذه الفكرة بلفظ "بركة"، أما في العهد الجديد: فالشكر هو وجه من وجوه الصلاة، تستهل به الرسائل ويتسم بصلاة الطلب وينقلب إلى "مجدلة" يهنأ بها الله على نعمه، والجدير بالذكر هنا أن كلمة "أفخارستيا" تعني الشكر. معجم الإيمان المسيحي، ص284.

[3]-روح: في الكتاب المقدس: النفَس الإلهي هو نفس قداسة لا مادة له على الإطلاق، يمنحه الله ليجعل الإنسان يشترك في قداسة الله نفسه. علما بأن الله هو القدوس، وهناك الروح الصالح والروح الشرير وهي إما قوة باطنية صالحة أو شريرة، والأرواح: هي نفوس الأموات.

وروحنة الشيء: جعل الشيء روحيا إما بمعنى إعطاء الأحداث أو الأمور المادية معنًى روحيا، أو بمعنى تربية الإنسان تربية روحية. معجم الإيمان المسيحي، ص240-241.

[4]-سليمان مظهر: قصة الديانات، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002، ص374.

-حسين علي حمد: قاموس المذاهب والأديان، ط1، دار الجيل، بيروت، 1998، ص190.

فما الذي يقصده الإنسان الذي يلجأ إلى القرابين والذبائح للتعبير عن عبادته لإلهه؟

هناك مراحل ثلاثة تتسم بها القرابين والذبائح بنوع عام: التقدمة، الذبيحة الدموية، والشركة في الطعام من الذبيحة الواحدة[1]: حتى يظهر جليا قصد الإنسان من اللجوء إلى هذه القرابين والتقديمات ألا وهو الشكر.

أ-التقدمة:

قد يكون التركيز على فكر "الذبيحة" مرتبطا باعتراف الإنسان بخطيئته، وبضرورة التكفير عنها بسفك الدم، ولكن الأمر الأول والأساسي الذي يميز الفكر الديني هو "التقدمة" لله وليس الذبيحة. والذبيحة عينها قبل أن تذبح وتتلف هي "قربان" قبل أن تكون ذبيحة.

وهذا القربان هو عمل رمزي به يعبر الإنسان عن اعترافه بسيادة الله ويشكر له نعمائه[2]. «فالمزارعون يقدمون باكورة غلالهم و"الرّعيان" يقدمون أبكار قطعانهم اعترافا منهم بأن كل ما يملكون هو من الله، وهذا ما يذكره الكتاب المقدس عن الإنسان المتدين منذ فجر التاريخ "فقايين" كان يقدم من ثمر الأرض تقدمة للرب وهابيل من أبكار غنمه ومن سمانها»[3][4].

وقد كان أنبياء العهد القديم يحذرون من خطر "الانحراف المزدوج" لمعنى القرابين والذبائح:

-خطر الانحراف من الفكر الديني الصافي إلى الفكر الأسطوري الذي يعتقد أن الآلهة بحاجة إلى الآكل والشرب، فتتحول التقدمة لتلبية حاجات الآلهة.

-والخطر الآخر الذي يشوه معنى القرابين والذبائح هو تقديمها طلبا لعطية خاصة من الآلهة، حيث يصير الدين متاجرة: يقدم الإنسان من ممتلكاته ليسكن غضب الآلهة، فترضى

---

[1]-قاموس الكتاب المقدس، ط13، ص 376-378.

-بنيامين باسيلي: الأفخارستيا: الجذور الكتابية والآبائية، ط1، مطبعة سان بيتر، الناشر: كنيسة مار مرقس بالجيزة، 2007، جـ2، ص 97.

[2]-المصدر نفسه، ص 99.

[3]-المصدر نفسه، ص 99-101.

[4]-تك 4: 3-4.

وتنعم عليه بما هو بحاجة إليه.

فـــالدين الحقيقي هو الاعتراف، أي الشكر والتمجيد، و"تقويم الطريق" -أي العمل الصالح-[1].

نقرأ في المزمور «لا آخذ من بيتك عجلا ولا من حضائرك تيسا»[2].

«اذبح لله الاعتراف وأوف العليّ نذورك».

«إن الذي يجعل ذبيحته الاعتراف يمجدني».

ونجد المعنى الروحي عينه في المزمور (50: 17-19).

«يـــا رب افتح شفتيّ فيذيع فمي تسبيحك، لانّك لو شئت ذبيحة لقدمت لكنك لا ترتضي بمحرقات، إنما الذبيحة لله روح منسحق؛ لا يرذل الله قلبا منسحقا ومتواضعا».

وهـــذا المعنى الروحي للقرابين والذبائح الذي نجد بعض إشارات إليه في العهد القديم ســـيبلغ كمالـــه في شخص يسوع المسيح -بحسب اعتقادهم-الذي سيقرب ذاته ذبيحة على الصليب، حسب قول الرسالة إلى العبرانيين «من المحال أن دم ثيران وتيوس يزيل الخطايا فلذلك يقـــول المسيح عند دخوله العالم: ذبيحة وقربان لم تشأ، غير أنك هيأت لي جسدا، لم ترتض محرقات ولا ذبائح خطيئة. حينئذ قلت: ها أنا ذا أتي إذ عني قد كتب في درج الكتاب لأعمل يا الله بمشيئتك»[3][4].

إن الكـــلمات التي تعبر من خلالها ليتورجيا القديس يوحنا[*] الذهبي الفم في الطقس

---

[1]-بنيامن باسلي: الآفخارستيا: الجذور الكتابية والآبائية، ط1، ج2، ص 101-103.

-حسين علي حمد: قاموس المذاهب والأديان، ط1، دار الجيل، بيروت، 1998، ص195.

[2]-49: 7-23.

[3]-بنيامين باسلي، الآفخارستيا: الجذور الكتابية وتالآبائية، ط1، ج2، ص 105.

[4]-عب 10: 4-7.

[*]-يوحنا (ذهبي الفم) Jean de Chrysostome: ولد في أنطاكيا وتلقى فيها تنشئة لاهوتية، رسم كاهنا في 386 هـــم. أولته أعماله الأدبية مكانة طليعية في أباء الكنيسة بصفته كاتبا أخلاقيا ومفسرا، أصبح أسقفا على القسطنطنية في 398م. استحق ببراعته الخارقة في الكلام أن يلقب بـــ"الذهبي الفم". [معجم الإيمان المسيحي، ص555].

البزنطي[1] عن التقدمة: «ما لك، مما هو لك، نقر به لك عن كل شيء ومن أجل كل شيء»، هي العبارة الأساسية لكل تقدمة وكل ذبيحة[2].

فبالتقدمة يتخلى الإنسان عن بعض ما يملك تعبيرا عن إيمانه بأن الله مصدر وجوده وينبوع ممتلكاته وبالتقدمة تصير الأرض كلها والحياة البشرية رمزا لله، مصدر كل وجود وكل حياة.

وبهذه التقدمة يتجدد العهد بين الله والإنسان، حيث أن هدف التقدمة الأول هو الدخول في عهد[3] مع الله، ثم يُنظم إلى هذا الهدف أهدافا أخرى لا تقل عنه أهمية كالطلب التكفيري عن الخطايا[4].

ب-الذبيحة:

هي عمل تقديسي أي نقل شيء أو حيوان أو إنسان إلى ملكية الله إكراما وسجودا له، نقسمها على العهدين القديم والجديد ونذكر أهمها:

-ذبائح الشريعة القديمة: هي ذبائح دموية أو غير دموية، محرقات وتقادم طعام وذبائح سلامية وذبائح تكفيرية «والرب بمقت الذبائح البشرية»[5] ، والذبائح هي أعظم تعبير عن حياة إسرائيل القومية والعائلية والفردية، ولكن ما يذكر به الأنبياء هو تقدمة "شكر وتمجيد"، الذين يقربون الذبائح،وبدون هذا المعنى الباطني لا قيمة للذبيحة (عا 5: 24، هوشع

---

[1]-الطقس البيزنطي: ليتورجية أنطقية الأصل خاصة، تأثرت بالطقوس الأورشليمية ثم نمت في القسنذطنطية وانتشرت شيئا فشيئا في جميع الكنائس الأورثوطوكسية، حيث تستعمل منذ القرن الثاني عشر ، يمتاز هذا الطقس ببهاء مراسيمه وغنى أناشيده وهي سورية وفلسطينية الأصل إلى حد بعيد، وتختلف صيغه باختلاف اللغات المستعملة وهي اليونانية والعربية والرومانية. معجم الإيمان المسيحي، ص126.

[2]-بنيامين باسلي: آفخارستيا : الجذور الكتابية والآبائية، ط1، جـ2، ص 105-107.

[3]-عهد: ورد في الكتاب المقدس لوصف العلاقات القائمة بين الله والبشر، يعرّف الكتاب المقدس: معاهدات الله مع نوح (تك 6، 8: 21-22). (تك 9: 8-17)، ثم عهد الله مع إبراهيم والشعب في سيناء (خروج 3: 1-6) (خر 4: 1-12). والعهد الجديد (لوقا 22: 30) (وأعمال الرسل 3: 12-26).

[4]-بنيامين باسلي: الآفخارستيا: الجذور الكتابية الآبائية، ط1، ج2، ص 109-111.

[5]-تث 12: 31، 18: 10.

6: 6، ميخا 6: 7)[1].

-**أمـــا ذبـــيحة الصليب**: وذلك بإنباء ياسوع بموته بألفاظ خاصة بذبيحة عبد الله الـــتكفيرية (أش 53)، والتي تدل على محبة المسيح، وقد ورد في عبرانيين الإصحاح التاسع أن ذبـــيحة الصليب تلخص أو تتجاوز أو تلغي جميع ذبائح العهد القديم، و لم تكن سوى صورة لها: إنها محرقة وتقدمة تكفيرية وذبيحة مصالحة وستكون بالأفخارستيا ذبيحة اتحاد[2].

-**ذبـــيحة القـــداس**: هي ذبيحة أسرارية[3] أو علامة أسرارية لذبيحة الصليب، إنها ذبيحة العهد الجديد، ذبيحة الشكر للآب، أسسها المسيح في أثناء العشاء السري عشية آلامه (لـــو 22: 19-20)، وبفضلها يستطيع المسيحيون أن يقدموا للآب مع المسيح خبز ذبيحة المســـيح ودمـــه، علامـــة لتقدمتهم الباطنية المتحدة بتقدمة المسيح، ويتم الاتحاد بهذه الذبيحة بتناولهم "سر جسد المسيح ودمه"[4] (سر الأفخارستيا).

-**ثم ذبـــيحة التسبيح**[5]: ويسمى سر القربان بذبيحة التسبيح لأنه شكر وتسبيح يرفع إلى الله[6].

أما الطّابع الدموي للذبائح، فيدل على أمرين:

فالإنســـان، أولا بسفك دم ذبيحة حيوانية يرمز إلى سفك دمه الخاص، أي إلى عطاء ذاته عطاء تاما لله، ثم أن الدم هو وسيلة مميزة للاتصال بالله: وذلك إما برش دم الذبيحة على الهيكل[7]، الذي يمثل الله وعلى الشعب، وإما بشرب دم الذبيحة المكرسة لله. فرباط الدم هو

---

[1]-بنيامين باسلي: الآفخارستيا: الجذور الكتابية الآبائية، ص111-113.

[2]-المصدر نفسه، ص113.

[3]-أســـرارية: هـــي نعمـــة خاصة يدل عليها كل سر من الأسرار بوجه خاص، ولكل علامة أسرارية ثلاث معاني فسح المســـيح الذي تم (بموته وقيامته)، نعمة حاضرة يرمز إليها، وإنباء باكتمال هذه النعمة وهو مجد المختارين مع المسيح. معجم الإيمان المسيحي، ص38.

[4]-بنيامين باسلي: الآفخارستيا: الجذور الكتابية الآبائية، ص 116-117.

[5]-ذبيحة التسبيح: ويسمى القربان بذبيحة التسبيح لأنه شكر وتسبيح يرفع إلى الله. معجم الإيمان المسيحي، ص224.

[6]-معجم الإيمان المسيحي، ص224 بتصرف. بنيامين باسلي: الآفخارستيا: الجذور الكتابية الآبائية، ص 118.

[7]-الهيكل: بناء مستطيل يضم ثلاث أقسام: المدخل، والقدس، وقدس الأقداس. بناه سليمان واستبدل "بخيمة الموعد" على يد ابنه داود (1 مل 6-7). والهيكل بعد الجلاء: بعد مرسوم قورش في 538 ق.م أعيد بناءه على الأسس القديمة على يد هيرودس استغرقت 20 سنة. معجم الإيمان المسيحي، ص531. قاموس الكتاب المقدس، ص1012-1013.

أقـــوى رباط بشري والله والإنسان بدخولهما في هذا الرباط بواسطة دم الذبيحة يتحدان في معـــاهدة قـــرابة، إذن فالفائدة الحقيقية التي يجنيها الإنسان من تقدمة الذبيحة هي الدخول في علاقـــة مـــع الله وليس الحصول على موهبة خاصة مقابل تقدمته[1]. وهذا يقودنا إلى المرحلة الثالثة وهي التناول من الذبيحة:

جـــ-التناول من الذبيحة لتحقيق الشركة مع الله:

في معظم الديانات تنتهي الذبيحة بتناول جزء من الضحية المقدمة، فالأكل والشرب هما العلامتان الأساسيتان اللاتان يتم بهما التعبير عن تحول شيء خارجي منفصل عن الإنسان ليصـــير جـــزءا مـــن الإنسان. والتناول يحقق الشركة على صعيدين، على الصعيد العمودي بالشركة مع الله وعلى الصعيد الأفقي بالشركة مع جميع الذين يتناولون من الذبيحة الواحدة.

فيعتقدون أنه بتناول جزء من الذبيحة المكرسة لله يعبّر الإنسان عن اتحاده بالله.

وكذلك على الصعيد الأفقي، فالمتناولون باشتراكهم في الذبيحة الواحدة يعبرون عن اتحـــادهم بعضهم ببعض -كما يجب عدم الفصل بين هذين البعدين- لأن الاتحاد بين الإخوة يصـــير اتحادا دُنيويا وتجمعا بشريا معرّضا للانحلال لدى أدنى صعوبة إن لم تتأصل جذوره في الاتحاد بالله[2].

و"التناول" في الكتاب المقدس هو الاشتراك في ذبيحة الرب الفصحية (1كور 11: 26) والاشتراك بفضلها في الخيرات الإلهية التي وَرِثَها المسيح في "مجد الرب" وهو يُمهِّد للتمتع الأبدي بالله: إنه "وليمة الملكوت" (لو 22: 30)[3]. و"التناول" هو كذلك الاشتراك في سر القربان[4].

---

[1]-أعمال المؤتمر السنوي الحادي عشر للدراسات الآبائية سبتمبر 2002، الأفخارستيا والحياة الروحية، مؤسسة القديس أنطونيوس للدراسات الآبائية، القاهرة، ص57.

[2]-المصدر نفسه، ص60.

[3]-صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، ص155-156.

[4]-قـــربان Oblation: تقدمة ذات طابع ديني والكتاب المقدس يميز بين قربان التقدمة وهي تقدمة غير دموية والذبائح الدمـــية (أحـــبار 2 و6: 7-16)، وفي السنن اليهودية ما كانوا يحرمون استعماله على أنفسهم بنذر، وقد استنكر ياسوع سوء استعمال هذه الممارسة معدم مساعدة الوالدين (متى 15: 5)، ومن معاني هذه الكلمة كذلك القربان المقدس : Le saint sacrement، وهـــا: الخـــبز والخمـــر اللذان تَمّ تقديسهما وحفظا ليمنحا للمرضى والمحتضرين. معجم الإيمان المسيحي، ص376-377.

المطلب الثاني: الذبائح والقرابين في العهد القديم

أولا: الذبائح والقرابين عامة

لقد عبّر العهد القديم عن علاقته بالله بثلاث أنواع من الذبائح: المحرقات، وذبائح السلام والذبائح عن الخطايا، ولقد ذكر سفر الأحبار(*) قواعد وشرائع تقديمها بكل دقة(لاويين1: 7).

أ-المحـــرقات: هي الذبائح التي تحرق بكاملها على مذبح الله[1]، ولا يعود شيء منها لا للكـــاهن ولا لمقدم الذبيحة، « إنه محرقة وقود رائحة سرور الرب»[2] ، والذي يقدم الذبيحة **يضع يده** على رأس المحرقة، فيرضى عنها تكفيرا عنه (لاويين 1: 4)، إن حرق الذبيحة بكاملها **يُعبّر** عن العطاء الكامل لله[3].

ب-الذبائح السلامية:

تدعـــى هذه الذبائح (ذبائحة سلامية) لأنها تعيد السلام والمصالحة بين الإنسان والله، إنها ذبـــائح العهـــد، لذلـــك تقسم إلى ثلاثة حصص: حصة الله، وحصة الكاهن، وحصة لمقدم الذبـــيحة، فحصـــة الله تحرق بكاملها، والحصتان الآخريان يتناولهما الكاهن ومقدم الذبيحة، ويرمز اشتراك المؤمن مع الله والكاهن في تناول الذبيحة الواحدة إلى الدخول في شركة مع الله: إلى عقد عهد سلامي معه!

وفي هذا يقول بولس الرسول: «تأملوا إسرائيل بحسب الجسد: أليس الذين يأكلون المذبح

(*)-سفر الأحبار: هو سفر اللاّويين: اللاوي هو عضو من أعضاء سبط لاوي المكرس للقيام بشعائر العبادة. وسبط لاوي: هو سبط في إسرائيل كان يُختار من صفوفه الكهنة ومساعدوهم لإقامة شعائر العبادة ولخدمة هيكل الرب. [معجم الإيمان المسيحي، ص414].

[1]-مذبـــح: في الكتاب المقدس، مائدة ترابية أو حجرية تُنصب تذكارا لظهور الله (تكوين 12: 7)، وفي هيكل أورشليم، بناء خشبي كانت تقرب عليه المحرقات (خر 27: 1-8).

وفي العهـــد الجديد ياسوع هو مذبح الهيكل الجديد (عبرا 13: 10). والمذبح هو الذي يقدس الذبيحة (متى 23: 19). وفي الليتورجيا: مائدة خشبية أو حجرية يقام عليها سر الأفخارستيا والمذبح هو أقدس مكان في الكنيسة، ويرمز إلى المسيح. معجم الإيمان المسيحي، ص446.

[2]-لاوين 1: 13-17.

[3]-أعمال المؤتمر السنوي الحادي عشر للدراسات الآبائية ، سبتمبر 2002: الأفخارستيا والحياة الروحية، مؤسسة القديس أنطونيوس للدراسات الآبائية، القاهرة، ص41.

هـــم شركاء المذبح؟» (1كور 10: 18). وبسبب العهد مع الله كانت هذه الذبائح تتسم بسمة الفرح والعيد[1].

جـــ-ذبائح الخطايا وذبائح الآثام:

هـــي الذبـــائح التي تُقدَّم للتكفير عن خطايا الشعب (أح 4: 7)، والذي يقدم الذبيحة تكفيرا عن خطاياه لا يعود له أي جزء منها (أح 7: 6-10)، في هذا النوع من الذبائح يأخذ الكـــاهن من دم الذبيحة ويرش به المذبح (أح 4: 16-18)، ويفسر سفر الأحبار معنى الدم فيقول: «إن نفس الجسد هي في الدم وأنا جعلته لكم على المذبح ليكفر به عن نفوسكم، لأن الدم يكفر عن النفس (أح 17: 11)[2].

د-قرابين من غلال الأرض:

هـــناك أيضا قرابين من ثمار الأرض كانت تُقدم إلى جانب ذبائح الحيوانات، أو عوضا عنها. حسب ما يصفه سفر الأحبار:

-فهناك أولا قرابين التقدمة؛ أي قرابين الشكر:

«إن قـــرّب أحدكـــم قربانا تقدمة للرب فيكن قربانه سميذا يصب عليه زيتا ويجعل عليه بخورا... وإن قربت تقدمة بواكير للرب فسنبلا مشويا بالنار، جريشا من الحبوب الطريئة تقدم قربان بواكيرك وتجعل عليها زيتا وتضع بخورا: إنها تقدمة (أح 2: 1-16).

-ثم هناك قرابين تقدم للتكفير عن الخطايا: (أح 5: 5-12)

«إذا خطـــئ أحد... و لم يكن في يده أن يقدم شاة، فيأتي للرب بذبيحة إثمه الذي خطئ بـــه، زوْجـــيْ يمـــام أو فرخي حمام، فليقرب عن خطيئته التي خطئها عشر إيفة سميذا، قربان خطيئة، لا يصبّ عليه زيت ولا يجعل عليه بخورا لأنه قربان خطيئة[3].

---

[1]-أعمال المؤتمر السنوي الحادي عشر للدراسات الآبائية ، سبتمبر 2002: الأفخارستيا والحياة الروحية، مؤسسة القديس أنطونيوس للدراسات الآبائية، القاهرة، ص43.

[2]-المصدر نفسه، ص43-45.

[3]-المصدر نفسه، ص45-47.

ثانيا: ذبيحة العهد على يد موسى

هناك ذبيحة هامة في تاريخ شعب العهد القديم قدمها موسى على جبل سيناء، ورافقت إقامة العهد مع الله، وتكتسي بالنسبة إلينا أهمية خاصة بسبب المقارنة التي سيجريها العهد الجديد بينها وبين ذبيحة المسيح.

وصل العبرانيون بعد خروجهم من مصر إلى برية سيناء، فنزلوا فيها مقابل الجبل، فصعد موسى إلى الله وأوحى له الله بالوصايا العشر وبسائر أحكامه وأوامره دُعيتْ فيما بعد "كتاب العهد" (خروج 24: 7).

«فجاء موسى وقص على الشعب جميع أقوال الرب وجميع الأحكام فأجابه الشعب كله بصوت واحد وقال: كل ما تكلم به الرب نعمل به، فكتب موسى جميع كلام الرب وبكر في الصباح **وبنى مذبحا** في أسفل الجبل، واثني عشر نصبا لأسباط إسرائيل الاثني عشر، وأرسل شبان بني إسرائيل فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامية من العجول للرب. فأخذ موسى نصف الدم وجعله في طسوت، ورش النصف الآخر على المذبح. وأخذ كتاب العهد فتلا على مسامع الشعب فقال: «كل ما تكلم الرب به نفعله ونسمعه». فأخذ موسى الدم ورشه على الشعب وقال: «هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال»، ثم صعد موسى وهارون وسبعون من شيوخ إسرائيل فرأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنع بلاط سفير أشبه بالسماء نفسها نقاء، وعلى أعيان إسرائيل هؤلاء لم يمد يده، فرأوا الله وأكلوا وشربوا» (خر 24: 3-11).

انطلاقا من هذا النص يمكننا القول أن العهد بين الله وشعبه يحوي ثلاثة أمور متماسكة ومؤتلفة: العهد بالكلمة، العهد بدم الذّبائح، الطعام على مائدة الله[1].

أ-العهد بالكلمة:

عن معنى الكلمة في الكتاب المقدس: كلمة الله: كل تعبير عن فكر الله سواء أكان في الخليقة أم في أقوال أنبياء شعب الله وحكمائه، أم في الكتب المقدسة الملهمة، أم في إعلان البشارة على لسان الرسل، أم في يسوع المسيح (وفيه تحل كلمة الآب حلولا جسديا)، وفي

[1]-بنيامين باسيلي: الأفخارستيا الجذور الكتابية والآبائية، ط1، ص115-117.

جسده الذي هو الكنيسة[1].

والعهـــد هو اتفاق بين الله وشعبه، وفقا لأحكام واضحة يعلنها الله نفسه ويلتزم الشعب باتـــباعها، وهـــذه الأحكـــام هي قبل كل شيء وصايا الله العشر المنصوص عليها في الفصل العشـــرين من سفر الخروج: «أنا الرب إلهك... لا يكون لك آلهة أخرى اتجاهي... لا تحلف باســـم الـــرب إلهك بالباطل...» (خروج 20: 2-17). ويعود سفر الخروج فيدعو تلك الوصـــايا "كلام العهد" و"الكلمات العشر" (خر 34: 28) فالله يكون مع شعبه وينصرهم على أعدائه ويسكنهم أرض الميعاد شرط أن يتبعوا وصايا الله ولا يخونوا العهد الذي أبرموه مع الله[2].

ب-العهد بدم الذبائح:

إن العهـــد الذي عقد بين الله وشعبه على الأحكام والوصايا قد تثبت بدم الذبائح، فإن موسى بعد أن عاهد الله بالكلمة رش على المذبح وعلى الشعب من دم الذبائح قائلا:« هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال»

إلى هذا العهد يشير يسوع في قوله لرسله أثناء العشاء الفصحي:« اشربوا من هذا كلكم، هذا هو دمي، دم العهد الذي يهراق عن الكثيرين لمغفرة الخطايا» (متى 26: 27-28).

جـــ-الطعام المشترك:

رأينا أن الذبائح السلامية تكتمل بالاشتراك في الطعام الواحد في العهد الذي يبرم بالكلمة ويثبت بالدم وتُوطد عراه في طعام الشركة:« رأوا الله وأكلوا وشربوا» إن الشركة في الطعام الواحـــد بعد عقد العهد هي في آن واحد تعبير لفرح المتعاقدين وعلامة لاتحادهم وصداقتهم ومحبـــتهم بعضهم لبعض. لذلك تعتبر خيانة العهد الذي تَوطد في شركة المائدة خيانة بغيضة. وهذا ماشعر به يسوع إزاء خيانة يهودا له:« إن من يأكل خبزي رفع عليّ عقبه»[3]. [4].

---

[1]-صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، ص399. قاموس الكتاب المقدس ص

[2]-نيامين باسيلي: الأفخارستيا، ص121.

[3]-يو 13: 18و مز 41: 10.

[4]-بنيامين مرجان باسلي: الآفخارستيا: الجذور الكتابية والآبائية، ص 121.

ثالثا: الفصح في العهد القديم.

هـــناك ذبيحة أخرى كان لها عند اليهود أهمية كبرى لكونها تذكرهم بأعظم حدث في تاريخهم، حدث خروجهم من مصر على يد موسى وهي ذبيحة الحمل الفصحي الذي كانت كل أسرة يهودية تأكله ليلة عيد الفصح مع خبز فطير وأعشاب مرة تذكارا للحمل الذي أكله العبرانيون ليلة خروجهم من مصر وبدمه أنقذ أبكارهم من الموت[1].

أ-تاريخ عيد الفصح:

-عيد الفصح قبل الخروج من مصر:

يرى معظم مؤرخي الكتاب المقدس أن عيد الفصح لم يبدأ مع موسى، وقد وردت كلمة "فصح" للمرة الأولى في سفر الخروج (خر 12: 11) في إطار الخروج من مصر لكن معناها الصحيح وأصلها لا يزالا مجهولين [2].

وعـــيد الفصح له تاريخ قديم يعود إلى زمن القبائل الرحالة فبدء الربيع هو عند الرُّحَل، زمن الانتقال بالمواشي إلى أماكن أخرى طلبا للكلأ والماء والمناخ المعتدل، وقبل الرحيل كانوا يُقدِّمون ذبيحة لآلهتهم طلبا للخصب وحماية لقطعانهم من "ملاك الموت" الذي كانوا يعتقدون أنـــه هـــو الذي يفتك بمواشيهم، وبما أن صغار المواشي كانت معرضة أكثر من غيرها بخطر الهـــلاك في هذا الرحيل، جرت العادة بتقديم حملا من مواليد السنة ذبيحة للآلهة ،ثم يؤخذ من دمـــه ويُجعـــل علامة على مدخل خِيمهم لإبعاد الشر عنهم. وقد تكون هذه العادة أصل لفظـــة"**الفصح**" المشتقة من فعل "**فصح**" الذي يعني بالعبرية "**عبر**". وهذا المعنى سيحفظه سفر الخـــروج: « فيكون الدم لكم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعْبُر عنكم، ولا تحل بكم ضربة مهلكة، إذا ضربت أرض مصر» (خروج 12:13).

وكانت هذه الذبيحة تقدم عند المساء، في اكتمال البدر، عند الاعتدال الربيعي، في الرابع عشـــر مـــن شهر أبيب، أي السنابل أو الربيع (وقد أُطلق عليه اسم نيسان بعد الرجوع من السبي)، وذلك في عشاء عائلي يلائم أوضاع حياة البدو في الصحراء، مكون من لحم مشوي

---

[1]-بنيامين مرجان باسلي: الآفخارستيا: الجذور الكتابية والآبائية، ص 123.

[2]-معجم الإيمان المسيحي، ص 354.

هو لحم الذبيحة المقدمة، وبعض الأعشاب البرية (التي ستصير في احتفال الفصح) بعد الخروج من مصر أعشابا مُرة، ذكرًا لما قاساه اليهود لدى خروجهم من مصر، وخبز فطير، وهذا الخبز هو تقليدي في البلدان الحارة ولدى الارتحالات إلى مناطق أخرى لأنه يمكن حفظه لفترة طويلة دون أن تصيبه العفونة.

فكـــل سنة في أول الربيع، كان العبرانيون يحتفلون بهذا العيد الذي ورثوه عن أجدادهم وقـــد حـــافظوا على هذا الاحتفال حتى في أثناء وجودهم في مصر. وهذا ما تشير إليه بعض النصوص في سفر الخروج، تخبر أن موسى وهارون دخلا على فرعون وطلبا منه من قبل الرب أن يســـمح للعبرانين بأن ينطلقوا من مصر فيذهبوا « مسيرة ثلاثة أيام في البرية ليعبدوا الرب هناك ويُعيِّدوا له ويقدموا له ذبيحة» (خر 3: 18 و 5: 1-3).فهذا العيد يرجع إلى ما قبل موسى وقبل الارتحال من مصر لكن الخروج هو الذي أعطاه مغزاه النهائي[1].

-عيد الفطير:

هناك أيضا عيدا آخر يعود إلى ما قبل الخروج من مصر وقد دُمج فيما بعد بعيد الفصح وهـــو عيد الفطير. ففيما عيد الفصح مرتبط بحياة البداوة وتربية المواشي، عيد الفطير مرتبط بحـــياة الحضر و الزراعة. ويعود أصل هذا العيد إلى الكنعانيين[*]، وقد تبناه العبرانيون[**] بعد استقرارهم في أرض كنعان. وهذا العيد يحتفل به أيضا في بدء الربيع لدى حصاد الشعير، وفيه تقـــدم لله بواكير الحصاد :«فكانت خبزات من الفطير تصحب باكورة الحصاد »[2]. وكان التخلص من الخمير القديم رتبة طقسية للطهارة والتجديد السنوي. وبعد دمج هذا العيد بعيد الفصـــح، يربط التقليد الإسرائيلي بين هذه المراسم الطقسية وبين الارتحال من مصر، حتى أن

---

[1]-بنيامين باسيلي: الآفخارستيا، ط1، جـــ2، ص 131. (بتصرف).

[*]-الكنعانيون: نسبة إلى أرض كنعان التي تدل منذ القرن (15ق.م) على القسم الأكبر من سورية وفلسطين. حصر بنو إسرائيل هذه التسمية في أرض الآباء وأرض الميعاد، وأخذوا ابتداء من الجلاء يستعملون عبارة "أرض إسرائيل"، وقد أطلق بنو إسرائيل اسم الكنعانيين على جميع الشعوب الوثنية، التي وجدوها في أرض الميعاد.. [معجم الإيمان المسيحي، ص401]

[**]-العبرانيون: اسم أطلقه بنو إسرائيل على أنفسهم نسبة إلى جد يسمون أنفسهم به وهو عابر (تك: 11-14). [معجم الإيمان المسيحي، ص320].

[2]-تث 26: 1، وأح23: 5-14.

العبرانين حملوا معهم عجينهم قبل أن يختمر (خر 12: 34-35). [1]

-الخروج من مصر:

لقد حفظ العبرانيون ذكرا خاصا لحدث هام في تاريخهم وهو حدث خروجهم من مصر على يد موسى، وهذا الحدث تاريخي فسروه تفسيرا إيمانيا، فرأوا فيه تدخُلا خلاصيا من قبل الله لإنقاذ شعبه وإعادته إلى أرض الميعاد التي أقسم لإبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم (تك 26: 3،و ثت 1: 35).

إن هذه الأعياد والتذكارات الثلاثة: عيد الفصح، وعيد الفطير، وذكرى الخروج من مصر، تجمعت على مر الزمن وصارت بعد استقرار العبرانين في أرض كنعان عيدا واحد له مراسم خاصة حددتها الشرائع في أدق تفاصيلها.

فما نقرأه في سفر الخروج (12: 1-20) وفي سفر تثنية الاشتراع (16: 1- 9) عن قصة الخروج من مصر وعن طريقة الاحتفال بعيد الفصح وأكل الحمل الفصحي ليس رواية تاريخية لما جرى على زمن موسى بل رواية ليتورجية تصف ما كان يجري في عيد الفصح في زمن الاستقرار ولاسيما ابتداء من الإصلاح الذي قام به الملك يوشيا[*] في القرن السابع ق.م، (2 أخ 35). [2]

ب-معاني عيد الفصح:

إذا كان تاريخ الفصح في العهد القديم يشوبه بعض الغموض إلى أن معانيه الروحية في نظر الشعب المؤمن- بحسب التعبير المسيحي- واضحة كل الوضوح فهناك نشيد حفظه الترجوم[3] وهو نشيد "الليالي الأربع"، يوضح معاني العيد. والترجوم هو تفسير باللغة الآرامية كان يقام في مجامع فلسطين عدة قرون قبل المسيح ابتداء من الزمن الذي لم يعد فيه معظم

---

[1]-بنيامين باسيلي: الآفخارستيا: الجذور الكتابية والآبائية، ط1، حـ2، ص 135.

-حسين علي حمد: قاموس المذاهب والأديان، ط1، دار الجيل بيروت، 1998، ص241.

[*]-يوشيا: ملك من ملوك بني إسرائيل.

[2]-بنيامين باسيلي: الآفخارستيا: الجذور الكتابية والآبائية، ص 135-137.

[3]-الترجوم: كلمة عبرية تعني الترجمة، فهي ترجمة للكتاب المقدس بالآرامية. أصبحت ضرورية حين لم يعد بنو إسرائيل يفهمون العبرية. ممتاز التراجيم الأولى بأمانته الحرفية. معجم الإيمان المسيحي، ص 142-143.

الشعب يفهم نص الكتاب المقدس العبري.

وهذا النشيد هو تفسير للفقرة 42 من سفر الخروج:« كانت ليلة سهر للرب لإخراجهم من أرض مصر فليلة السهر هذه يحفظها لرب بنو إسرائيل جميعهم مدى أجيالهم»[1].

يقـــول نـــص الترجوم:« إنها ليلة سهر أعدها الله للتحرير باسمه عندما حرر بني إسرائيل وأخرجهم من أرض مصر وهناك ليالي أربع محفوظة في سفر الذكريات:

فالليلة الأولى: هي التي ظهر فيها الله على العالم ليخلقه، فالعالم كان خاويا خاليا وعلى وجه الغمر ظلام وكانت كلمة الله نورا يشع، ودعاها الليلة الأولى.

اللـــيلة الثانية: هي التي ظهر فيها الله لإبراهيم وقد كان له من العمر مائة سنة ولسارة امـــرأته ولها من العمر تسعون سنة، فهل سيلد إبراهيم، وله من العمر مائة سنة وهل ستضع سارة طفلا ولها من العمر 90 سنة، وكان إسحاق سبع وثلاثون سنة فعندما قدم إلى المذبح، فانحنـــت السموات ونزلت وإسحاق رأى كمالاتها وأظلمت عيونه بسبب كمالاتها ودعاها الليلة الثانية.

الليلة الثالثة: هي التي ظهر فيها الله للمصريين في وسط الليل يده تقتل أبكار المصريين ويمينه تمنع أبكار إسرائيل ليتم ما قال الكتاب : إسرائيل ابن البكر ودعاها الليلة الثالثة.

اللـــيلة الـــرابعة: هـــي التي سيصل فيها العالم إلى نهايته ليوم الفداء: حيث يتحطم نير العبودية، وتضمحل الأجيال الفاسدة من وسط الصحراء يصعد موسى ومن العلاء يأتي المسيح الملـــك، إنهـــا للـــيلة الفصح لاسم الله، ليلة محفوظة ومحددة لتحرير إسرائيل كله على مدى أجيالهم[2].

إن عـــيد الفصح هو ذكرى تحرير العبرانين من عبودية المصريين وقد صار ذكرى شاملة لكل أعمال محبة الله وخلاصه منذ خلق العالم حتى نهاية التاريخ. لذلك صار عيد الفصح عند الـــيهود " العـــيد الكـــبير" (متى 26: 5) كما لا يزال يحتفل في الشرق المسيحي حتى اليوم

---

[1]-خر 12: 42.

[2]-بنيامين باسلي: الآفخارستيا: الجذور الكتابية والآبائية، ص 141-143.

-حسين علي حمد: قاموس المذاهب والأديان، ص243.

بذكرى عيد الفصح. وفي تعليق على معاني هذا العيد عند اليهود نقرأ في الميشنا[1]:« إن الله قد أجازنا من العبودية إلى الحرية، ومن الحزن إلى الفرح ومن الحداد إلى يوم العيد ومن الظلمة إلى النور الساطع، ومن العبودية إلى الفداء»[2]. [3].

جـــ–مراســـيم عيد الفصح: تلك هي معاني عيد الفصح عند اليهود أما المراسيم التي كـــانوا يتبعونها في أثناء العشاء الفصحي فتستند إلى ما جاء في وصف الفصح الذي احتفل به العـــبرانيون لـــدى خروجهم من مصر. ثم انتظمت مع الزمن حتى صارت رتبة ليتورجية لها قوانينها وشرائعها وصلواتها.

–الفصح ليلة الخروج من مصر:

يروي سفر الخروج في الإصحاح 12 كيف تناول اليهود الفصح ليلة خروجهم من مصر عـــلى يد موسى:« وكلّم الرب موسى وهارون في أرض مصر قائلا: هذا الشهر يكون لكم رأس الشـــهور، وهو لكم أول شهور السنة...لكل بيت حملا...من الظأن أو المعز تأخذونه، ويبقى محفوظا عندكم إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر...ويأخذون من دمه ويجعلونه على قائمتي الباب وعارضته على البيوت التي يأكلون فيها ويأكلون لحمه في تلك الليلة مشويا على الـــنار، بأرغفة فطير مع أعشاب مُرة...ولاتبقوا شيئا منه إلى الصباح، فإن بقي شيئ منه إلى الصبح فأحرقوه بالنار، هكذا تأكلونه...وتأكلونه على عَجَل فإنه فصح للرب. وأنّا أجتاز في أرض مصـــر في تلك الليلة واضرب كل بكر في أرض مصر ...فيكون الدم لكم علامة على البـــيوت التي أنتم فيها، فأرى الدم وأعبُر من فوقكم ولا تحل بكم ضربة مهلكة، إذا ضربت

---

[1]–الميشـــنا: كلمة عبرية تدل على مجموعة قوانين وقواعد صاغها الربانيون لتطبيق وتكييف شرع الكتاب المقدس، حفظها التقلـــيد الشفهي أولا ثم دُونت في القرن الثاني، ب.م، تقسم إلى ستة مقاطع وتضم 63 مقال. معجم الإيمان المسيحي ص 464.

[2]–فصـــحيات 5: 5. (فصـــحيات: بمعنى الأبصلموديات (Les Psalmodies): تسابيح وتراتيل تتلى أثناء الاحتفال الأســـراري بهذا السر، وهو الذكر الذي يجعلهم حاضرين –بزعمهم– في موت الرب وقيامته. [سليمان نسيم: الطقوس في الكنيسة، ص76].

[3]–أعمـــال المؤتمر السنوي الحادي عشر للدراسات الآبائية سبتمبر 2002: الآفخارستيا والحياة الروحية. الناشر، مؤسسة القديس أنطونيوس، للدراسات الآبائية، القاهرة ص 43-44.

أرض مصر، ويكون هذا اليوم لكم ذكرى، فتعيِّدونه مدى أجيالكم فريضة أبدية»[1]. [2] .

-مراسيم الفصح التقليدي:

تطورت الاحتفالات بالفصح وبالعشاء الفصحي حتى صارت على زمن المسيح تقام على الترتيب الذي نورده استنادا إلى ما توصل إليه معظم مؤرخي الكتاب المقدس.

وسوف نورد في المقارنة ما فعله المسيح في عشائه الأخير مع تلاميذه وفقا لما جاء في الأناجيل المقدسة وفي رسالة بولس إلى أهل كورنيتس[3].

الفصح اليهودي	عشاء المسيح الأخير
1-مراسيم افتتاحية: **أ-الكأس الأولى:** بعد أن يتكئ الجميع، يقوم رب البيت ويتناول كأس من الخمر الممزوج بالماء ويرفعها ويباركها قائلا:« مبارك أنت أيها الرب، إلهنا، الملك الأزلي يا من خلق ثمر الكرمة ويشرب منها ثم يتناولها منه الحضور، ويشربون منها كل بدوره. **ب-غسل الأيدي:** يؤتى بوعاء مملوء ماء فيغسل كل من الحضور اليد التي سيأكل فيها ثم يمسحها بالمنديل.	**أ-الكأس الأولى:** لما أتت الساعة اتكأ يسوع مع الرسل وقال لهم:« لقد اشتهية جدا أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم فإني أقول لكم: إني لن آكله بعد إلى ان يتم بكماله في ملكوت الله. ثم تناول كأس وشكر وقال:« خذو هذا واقتسموا فيما بينكم فإني أقول لكم: إني لن أشرب بعد من ثمرة الكرمة إلى أن يأتي ملكوت الله» (لو 22 : 14-18). **ب-غسل الأرجل:** قام يسوع بنفسه بهذا العمل عوض عن غسل الأيدي، فغسل أرجل تلاميذه (يو 13: 1-17)

---

[1]-أعمال المؤتمر السنوي الحادي عشر للدراسات الآبائية سبتمبر 2002: الآفخارستيا والحياة الروحية. الناشر، مؤسسة القديس أنطونيوس، للدراسات الآبائية، القاهرة ص 43-44.

[2]-خر 12: 1-14.

[3]-الأنبا شنودة الثالث: حول سر الآفخارستيا. الكلية الإكليريكية بالعباسية، ط2، يونيو 2005، القاهرة، ص 17-18-19.

جـ–أكل الأعشاب المرة: في الولائم الإعتيادية بعد غسل الأيدي، كان يؤتى بمقبلات يأكلها الحضور قبل الطعام. في العشاء الفصحي يُستعاض عن المقبلات بأعشاب مرة، وذلك تذكيرا للحياة المرة التي عاشها اليهود في مصر قبل خلاصهم بواسطة الحمل الفصحي.	وأوصاهم بالإقتداء به في الخدمة المتواضعة. **جـ–إعلان خيانة يهودا:** في هذه اللحظة يعلن يسوع خيانة يهودا كما جاء في (متى 26: 20- 25) و(مر 14: 17- 21). و(يو 13: 18-30). لوقا يترك إعلان الخيانة إلى ما بعد العشاء (لو 22: 21-23).
2–تفسير معنى العيد والصلوات: أ–يفسر رب البيت معنى عيد الفصح: الله أنقذنا من أيدي المصريين: –الفصح يعني العبور (خر 12: 17). –الخبز الفطير يرمز إلى العجلة التي أكل فيها اليهود فصحهم الأول. –الحمل الفصحي يرمز إلى الحمل الفصحي الأول الذي تَمَّ بدمه انقاد أولاد العبرانيين. **ب–الصلوات:** يجيب الحضور على هذا التفسير بصلوات يسبح فيها الله (مز 113: في خروج إسرائيل من مصر...). **جـ–الكأس الثانية:**	**2–خطاب يسوع:(راجع يوحنا 14:17)** «أيّها الأب القدوس احفظهم في اسمك الذين أعطيتني ليكونوا واحدا كما نحن.. و لم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب.. أنا قد أعطيتهم كلامك والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم، كما أني أنا لست من العالم...».
3–أكل الخبز الفطير والحمل: **أ–غسل الأيدي:**يغسل كل من الحضور يديه الإتنتين. **ب–الأب يبارك الخبز الفطير:**	**ب–« ثم أخذ خبزا وشكر وكسر وأعطاهم قائلا: هذا هو جسدي الذي يبذل لإجلكم: اصنعوا هذا لذكري» (لو 22: 19) (متى 26) (مر 14:22) (1كو 11: 23-24).**

جـ–أكل الحمل: **د–الكأس الثالثة:** وتدعى كأس البركة.	جـ–لا ذكر لحمل في العشاء السري. **د–الكأس الثالثة:**« وكذلك الكأس من بعد العشاء قائلا: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يهراق من أجلكم» (لو 22:20) (متى 26: 27-29) (مر 14: 23 -25) (1كو 11: 25).
4–نهاية العشاء: أ–القسم الثاني من مزامير التسبيح (مز 114-118). **ب–كأس رابعة ختامية.**	**أ–ثم سبحوا** (أي تلو مزامير التسبيح) **وخرجوا** إلى جبل الزيتون (متى 26: 30) (مر 14: 26).

بعد إجراء هذه المقارنة بين الفصح اليهودي وعشاء المسيح الأخير نأتي الآن إلى:

–خلاصة المقارنة:

إن الفكرة الأساسية التي ينطلق منها هذا السر هي فكرة الشكر والاعتراف لله على كل ما صنعه اتجاه الإنسان، وكما أن القرابين والذبائح التي كانت الأديان القديمة تقدمها لألهتها وكان الشعب اليهودي في العهد القديم يقدمها لله صانع السماء والأرض هي وسائل استخدمها الفكر الديني للتعبير عن شكره لله واعترافه بصنائعه:« أذكر أعمال الرب فإني أتذكر معجزاتك من القديم...وفي أعمالك أتأمل» (مز 77: 12).

إن ذكرى أعمال الرب تعود بنوع خاص في العشاء الفصحي الذي جمع فيه إيمان شعب العهد القديم كل معجزات الله منذ الخلق حتى ظهوره لإبراهيم وتحرير شعبه على يد موسى إلى يوم نهاية العالم القديم وبدء عهد جديد بظهور المسيح الملك–على حد تعبيرهم–.

واليوم أيضا عندما يُحتفل بسر الآفخارستيا أول ما يُبدأ به: قسم الأنافورا، أي قسم تقديمة قرابين وتكريسها وهو الشكر لله الآن على كل ما صنعه منذ الخلق.

مثال ذلك أنافورا القديس يوحنا ذهبي الفم:« واجب وحق أن نسبحك ونبارك

ونشـــكرك..أنت وابنك الوحيد وروحك القدوس...أنعمت علينا بملك الأتي فمن أجل هذا نشـــكرك كمـــا نشكر لك كل ما نلنا من إحساناتك المعروفة والمجهولة... مع أن ألوفا من رؤســـاء الملائكة ماثلون لديك الشروبيم والسيرافيم ذو الأجنحة الستة والعيون الكثيرة محلقين وطائرين..»[1].

[1]-الأنباشنودة الثالث: حول سر الآفخارستيا، ط2، ص 19-21.

المبحث الثاني: رموز(*) الآفخارستيا في العهد القديم.

تمهيد:

ينبغي الرجوع إلى الينابيع الأولى للأفخارستيا، كما كان يباشرها الآباء الرسوليين والكنائس الأولى، حيث كان الآباء يعتمدون في تقديمهم لصور وأمثال العهد القديم -حتى يسهل عليهم شرح وتوضيح أعمال الله في العهد الجديد-، على حقيقة إيمانية ثابتة لدى الكنائس كلها: أن كل عمل الله في الماضي كان بتدبير[1] خاص حتى يكون كأساس مسبق يبني عليه الإنسان رجاءه[2]، فيما هو عتيد أن يعمله الله في مستقبل الزمان من أجل تكميل خلاصه.

وتحتل الأفخارستيا في هذا المضمار مركزا أساسيا في امتداد واستمرار الصلة السرائرية(**) بين العهد القديم والعهد الجديد: فهي كالقلب النابض لكلا العهدين.

المطلب الأول: تقدمة ملكيصادق

الأفخارستيا عند الآباء هي أقدم من العهد القديم ذاته، لأنها موجودة في تقدمة ملكيصادق[3]، الذي بارك إبراهيم وقدم تقدمة من خبز وخمر، لأنه كان كاهنا لله العلي (تك 14: 19-18)، ملكيصادق لم يكن إلا رمزا ومثالا للرب يسوع المسيح: بلا أب، بلا أم،

(*)-رموز: ج.م رمز: صيغة من صيغ تفسير الكتاب المقدس، تقوم على أنّ حقائق العهد القديم الزمنية هي صورة للحقائق الأخيرية الأبدية المعدّة للمسيحيين. [معجم الإيمان، ص238].

(1)-تدبير: هو القصد الإلهي فيما يتعلق بخلاص البشر (أف 3: 5)، فلا يجري تاريخ البشرية وفقا لدوافع قدر أعمى، بل هو نتيجة لإرادة الله: وقد وضع له هدف منذ الأزلية، لهذا الهدف وجهان أساسيان: الخلاص في المسيح وشمولية هذا الخلاص. معجم الإيمان المسيحي، ص141.

(2)-رجاء: في الكتاب المقدس، مفردات الرجاء العبرية هي إلى حد ما مفردات الإيمان، وهذا دليل على أن الواحد منها ضمن الآخر. والرجاء في رسائل بولس هو انتظار الخيرات الموعود بها. والرجاء في اللاهوت: فضيلة لدنية؛ أي صادرة عن عطية من الله أو عن النعمة. معجم الإيمان المسيحي، ص231.

(**)-الصلة السرائرية: بمعنى تعليم مخفي أتى يسوع ليكشفه والعنصر الأساسي في هذا السر هو تدبير الله الخلاصي.. والأفخارستيا من الأسرار المقدسة التي تمثل العمل الطقسي المثالي، والمشاركة الأسرارية..[معجم الإيمان المسيحي،ص260]

(3)-ملكيصادق: ملك شليم "أورشليم" الكنعاني وكاهن العلي. أدى له إبراهيم العشر (تك 14)، شرح الرسالة إلى العبرانيين، اسمه بمعنى "ملك البر"، وتجعل من كهنوته صورة لكهنوت المسيح (عبرا 7: 11-19). معجم الإيمان المسيحي، ص481.

بـــلا نســـب مشبه بابن الله (عبرا 7: 1-3)، حيث نجد عقيدة الكنيسة الأولى واضحة أشد الوضوح في كلام العلامة **كليمندس الإسكندري**[1] (195م)، الذي يربط ربطا مباشرا بين الإفخارســـتيا في الحاضـــر وتقدمـــة ملكيصادق في الماضي البعيد، بقوله: «إن الخبز والخمر المقدسين الذين قدمهما ملكيصادق هما صورة نموذجية Typos للإفخارستيا»[2].

هذه هي عقيدة الآباء الأوائل عموما، وقد طورها **القديس كبريانوس**[3] (210-258 م) إذ يقـــول: «إن ملكيصادق هو قبل كل شيء "مثال"؛ بمعنى صورة نموذجية للمسيح» من ذلـــك مـــا جاء في المزمور 109 «إنك أنت الكاهن إلى الأبد على طقس ملكيصادق»، ثم يواصـــل كبريانوس: «ثم من هو ذلك الكاهن لله العلي أكثر من ربنا يسوع المسيح الذي قدم للآب نفس التقدمة -أي الخبز والخمر- كملكيصادق اللذين هما جسده ودمه»[4].

ثم نجد هذا التقليد عند القديس **أمبروسيوس**[5]، بشيء من الاتساع إذ يضيف إلى نموذج الأفخارســـتيا عـــند ملكيصـــادق، نموذجـــا آخر هاما هو **المنّ** الذي كان معجزة أو سرا (sacramentum) "خبز الخروج"، فيقول متكلما عن إفخارستيا العهد الجديد: «نحن نذكر أن هذه الأسرار قد انحدرت إلينا قبل زمان إبراهيم لأن ملكيصادق "الشخص المقدس" الذي قدم نموذجا كان بلا بداية أيام ولا نهاية أيام»[6].

وهكـــذا يثبـــت أمبروســـيوس أن سر الأفخارستيا الذي يقام الآن،هو من حيث زمانه

---

[1]-كلمـــندس الإســـكندري: ولـــد مـــن أبوين وثنيين، تعلم على يد بنتينوس عميد مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، رأى كليمـــندس أن الأفخارستيا هي الوسيلة التي يسكب بها الله الخلود لبني البشر: الأفخارستيا هي ذبيحة وهي غذاء المؤمنين، يقـــول في كـــتابه المربي: «..العنقود العظيم، الكلمة التي عصروه لأجل خلاصنا، ومعنى أن نشرب دم ياسوع هو أن نصير شـــركاء في خلود الرب، لأن الروح هو حياة الكلمة مثلما الدم هو حياة الجسد، وخليط الاثنين معا: "الشراب والكلمة" يدعى الأفخارستيا نعمة مجيدة. بنيامين مرجان باسيلي: الأفخارستيا: الجذور الكتابية والآبائية، ج2، ص98 بتصرف.

[2]-مىّ المسكين: الأفخارستيا، ط3، مطبعة دير الأنبامقار، القاهرة، 2007، ص52.

[3]-كـــبريانس: (200-258م)، كـــان وثنيا تحول إلى المسيحية، س 246، كانت كتاباته عظيمة من الناحية اللاهوتية حـــول موضـــوعات الكنيسة والخدمة والأسرار، من أهم الرسائل التي كتبها رسالة (وردت تحت رقم 63 في طبعة جامعة أوكسفورد،)، عملية جدا أكثر منها عقائدية: (بنيامين باسلي: الآفخارستيا، ص 106.

[4]-مىّ المسكين: الأفخارستيا، ط3، ص53.

[5]-أمبروسيوس: حوالي (340-397م)، رئيس أساقفة ميلانو (إيطاليا)، من آباء الكنيسة، له أناشيد ومؤلفات كثيرة في تفسير الكتاب المقدس والوعظ والطقوس. معجم الإيمان المسيحي، ص64.

[6]-مىّ المسكين، الأفخارستيا، ط3، ص54.

التاريخي أقدم من عصر الذبائح عند موسى!

وتجـــدر الإشـــارة إلى أن القديس أمبروسيوس، ومن قبلَه من الآباء أخذوا إلهامهم فيما يخـــتص بملكيصادق وعلاقته بالمسيح من رسالة القديس بولس إلى العبرانيين، والتي يقول فيها عـــن ملكيصادق: «بلا أب بلا أم بلا نسب، لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة بل هو مشبه بابن الله» (عبرا 7: 3)[1].

فالمســـيح بتقدمته الخبز والخمر –بحسب الاعتقاد المسيحي–، التي هي تقدمة ملكيصادق يشـــير بصورة سرية رائعة إلى أنه يتجاوز كل التقديمات والذبائح الموسوية، بل واليهودية على الإطلاق، لأن ملكيصادق ملك شاليم لم يكن من نسل اليهود "بلا نسب"!.

ويفحـــص يوسابيوس القيصري[*] العلاقة السرية القائمة بين تقدمة كل من ملكيصادق والمسيح فيقول: «وكما أن ذلك الذي كان محسوبا أنه كاهن الأمم[2] "ملكيصادق" لم يظهر مستخدما الذبائح الجسدية، بل إنه منح البركة لإبراهيم في الخبز والخمر، كذلك وعلى نفس الطريقة صنع الرب يسوع ثم من بعده هؤلاء الذين استمدوا منه كهنوتهم[3]... بحسب قوانين الكنيسة مقدمين الخبز والخمر لاستعلان سر الجسد والدم، هذه التي سبق أن رآها ملكيصادق

---

[1]-متى المسكين، ط3، الأفخارستيا، ص55.

[*]-(264-340م): أسقف ومؤرخ نصراي، لقب بـــ"أب التاريخ الكنسي"، ولد في فلسطين وعاش في مصر، لعب دورا أساسيا في مجمع نيقيا، أين أصبح المستشار الرئيسي لقسطنطين، أهم مؤلفاته: "تاريخ الكنيسة"، "وموسوعة في تاريخ الأديان". E.Royston Pike : Dictionnaire des religions, P125.

[2]-الأمـــم: في الكتاب المقدس لفظ يدل على الشعوب الوثنية، والمسيح أوصى بإعلان البشارة إلى جميع الأمم (متى 28: 19)، وقد حلت شمولية العهد الجديد محل خصوصية العهد القديم وأصبح شعب الله مأخوذا من الأمم (رسل 15: 12)، معجم الإيمان المسيحي، ص 65.

[3]-كهنوت اللاوي: هو كهنوت الشريعة القديمة تميزا له عن كهنوت ملكي صادق وكهنوت الشريعة الجديدة.

والكهنوت: وظيفة من كان لهم امتياز المقدسات أو بعض الصلات العامة بالألوهة. والكهنوت قسمان:

-خدمة العبادة ولاسيما تقريب الذبائح. -خدمة الكلمة بمعنى المحافظة على تقاليد شعب الله.

- كهـــنوت المســـيح: فإن يسوع لم يطلق على نفسه لقبا كهنوتيا في حين نجده وصف رسالته بألفاظ كهنوتيا ، فموته ذبيحة(مر 10: 45) ووظيفته إكمال شريعة موسى (متى 5: 17).

-أما كهنوت المؤمنين: فلم ينسب يسوع الكهنوت لشعبه ولكن بولس وسائر الرسل ينظرون إلى إيمان المؤمنين نظرُهم إلى ذبيحة أو تقدمة (روم 12: 1و عبرا 9: 14).

وهـــناك كهنوت قادة الشعب الكهنوتي: رسل أولا ثم شيوخ وأساقفة وكهنة. معجم الإيمان المسيحي، ص 405، ومعجم اللاهوت الكتابي، ص 680.

بالروح القدس لكي يخدم بالصورة والمثال الحقيقة الآتية»[1].

نستخلص من كلام يوسابيوس القيصري بأن تقدمة ملكيصادق لإبراهيم كانت تقدمة أكثر روحانية من ذبائح اليهود الدموية. وإذا أمنعنا النظر بعمق أكثر ودقة أكبر نجد أن المسيح في سر الأفخارستيا قد جمع في مادتيه السريتين المتحولتين -بحسب الاعتقاد المسيحي- كافة الذبائح بكل قيمها الروحية:

-**أولا**: تقدمة ملكيصادق أي قَدَّم مِثله خبزا وخمرا.

-**ثانيا**:هذه التقدمة كانت في زمن موسوي محدد وهو وقت ذبح خروف الفصح.

-**ثالثا**: يكشف المسيح عن سر جوهر الخبز والخمر اللذين قدمهما باعتبارهما يحملان "ذبيحة نفسه" أي جسد حقيقي مكسور ودم حقيقي مسفوك عن العالم.

وبهذه الاتجاهات الثلاثة يكون المسيح قد جمع كل الأسرار، وكل الذبائح، وكل توسُّط بين الله والناس في كل العصور.

وهذه العلاقة بكل أسرارها العميقة استودعها المسيح في سر الأفخارستيا –بحسب الإيمان المسيحي–، فهو «الكاهن على رتبة ملكيصادق»: [هذه العبارة وردت في مزمور 110: 4 ومشروحة في عبرا 7: 11-19، فهو الكاهن الذي يفوق كهنوته كهنوت اللاويين[2]، ويبقى للأبد، وتطلق هذه العبارة على المسيح، وبالمعنى الواسع على الكهنة الذين يشاركونه في كهنوته] [3].

المطلب الثاني: الأفخارستيا والمن السماوي: "خبز الخروج"

اعتبر الآباء الأوائل أسرار الخروج[4] جسدا متينا يبنون فوقه كل تعاليمهم حول أسرار

---

[1]-مق المسكين، ط3، الأفخارستيا، ص57.

[2]-اللاوي: عضو من أعضاء سبط لاوي المكرس للقيام بشعائر العبادة.

-سبط لاوي: سبط في بني إسرائيل مكرس خاصة للعبادة و لم تكن له أرض خاصة به (مز 16):« ميراثه الرب». معجم الإيمان المسيحي، ص414.

[3]-معجم الإيمان المسيحي، ص481. حسين علي حمد: قاموس المذاهب والأديان، ص209.

[4]-أسرار الخروج: أي أحداث الخروج من أرض العبودية بمصر وعبور صحراء سيناء.

العهد الجديد، وكان المنّ[1] السماوي والماء المتفجر من الصخرة هما المادتين السرائريتين اللتين طالما تصوروا فيهما خبز وخمر الأفخارستيا "التي للعهد الجديد"[2].

وبولس -وهو إمام الرائين لهذه الأمور السرية- في اعتقاد المسيحيين طبعا- حيث يقول: «إن جميعهم شربوا شرابا روحيا واحدا (وذلك بعد أن خرجوا من البحر الأحمر)، وهكذا أنتم أيضا بعدما خرجتم من جرن المعمودية أسرعتم إلى المائدة المقدسة، فكما أكلتم أنتم "الجسد المقدس" أكلوا هم "المنّ" من المائدة العجيبة، وكما شربتم أنتم من الشراب السري، الدم الفادي، كذلك هم أيضا شربوا شرابا عجيبا: تفجر لهم من الصخرة ماء يجري بغزارة من صخرة صلبة وفي مكان قفر ليس به ماء»[3].

ويشير التقليد الإسكندري من كليمندس إلى أوريجانوس[*] إلى أنّ ا"لمنّ" يرمز فقط إلى كلمة الله "اللوغس"[4] ، وأسموه المنّ العقلي آخذين ذلك عن فيلون[5] الفيلسوف اليهودي.

إلاّ أنّ كبريانوس وأمبروسيوس أشارا في تعليمهما بوضوح إلى أنّ المنّ هو المثال أو التصوير النموذجي Typos في العهد القديم للجسد المقدس المأكول في خبز الأفخارستيا في العهد الجديد! [6]

وكما نجح أمبروسيوس في التدليل على أنّ الأفخارستيا هي أقدم من كل أسرار اليهود، مستخدما نموذجها عند ملكيصادق، نجده يتخذ "المنّ" كنموذج آخر للافخارستيا ليثبت به فعالية أسرار المسيحيين أكثر من أسرار اليهود، فيول: «إن المنّ كان معجزة كبيرة عندما أمطره الله من السماء على آبائنا الأولين، لقد تولت السماء تغذية الشعب يوميا بالطعام كما هو

---

[1]-المنّ La Manne: في الكتاب المقدس، طعام أرسلته العناية الإلهية إلى العبرانيين في البرية (خر 16: 14-16) كان من المحصولات النباتية أتت به الريح. ورد في (سفر الخروج 16: 15) أن تفسير اسمه هو السؤال الذي طرحه العبرانيون أمام هذه المادة الخفية (منهو) أي (ما هو؟). معجم الإيمان المسيحي، ص483.

[2]-التي للعهد الجديد: هذا تعبير آبائي ورسلي كما ورد في الأسفار المقدسة (متى 28: 26): «هذا هو دم الذي للعهد الجديد يسفك من أجل كثيرين.

[3]-متى المسكين، الأفخارستيا، ط3، ص59.

[*]-(185-285م): عالم لاهوتي، ومن آباء الكنيسة، أنشأ مدرسة دينية في 232م في فلسطين، له حوالي 6000 كتاب في تفسير الكتاب المقدس. E.Royston Pike : Dictionnaire des religions, P236.

[4]-اللوغس: معناها "الكلمة" باليونانية، وهو الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس. معجم الإيمان المسيحي، ص399.

[5]-فيلون: فيلسوف يهودي الأصل عاصر الجيل المسيحي الأول وقد أثر أسلوبه الرمزي التمثيلي في آباء الكنيسة اليونانية، معجم الإيمان المسيحي، ص 363.

[6]-ملاك لوقا: الأفخارستيا، ص37.

مكـــتوب: «وأكل الإنسان خبز الملائكة»[1] ، ولكن بالرغم من ذلك فكل الذين أكلوا هذا الخـــبز ماتوا، أما "جسد المسيح" فهو الخبز الحقيقي النازل من السماء الذي يمد بجوهر الحياة الأبدية لأنه جسد المسيح[2]!

فكمـــا أن النور أعظم من الظل، والحقيقة أقوى من المثال هكذا جسد الخالق أعظم من المنّ الذي نزل من السماء»[3].

ولكن هذا لا يعني أن المنّ في العهد القديم كان مجرد خبز فاقد لصفة القداسة، بل كان في الحقيقة "سر حقيقيا مقدسا"[4] كما يوضح ذلك أغسطينوس(*): «إنّ المنّ قديما يشير إلى خبز الأفخارســـتيا، والمذبـــح قديما يشير أيضا إلى خبز الأفخارستيا وهذه -أي المنّ ومذبح الله في القديم- كانت في الحقيقة أسرارا... الظهور يختلف ولكن الحقيقة واحدة: هم أكلوا منّا ونحن نأكل شيء آخر، غير أن التغذية الروحية كانت واحدة لهم ولنا»[5].

وقد أوضح ذلك بولس في رسالته الأولى إلى كورنتوس: «جميعهم أكلوا طعاما واحدا روحـــيا وجميعهم شربوا شرابا واحدا روحيا، لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح»[6].

والملاحـــظ في تصريح بولس أن الصخرة التي كانوا يشربون منها كانت صخرة روحية وأنها تابعتهم في تنقلاتهم، ويواصل في كشفه لخفايا أسرار العهد القديم -بزعمه- حينما يقول: «والصخرة كانت المسيح»، مع ملاحظة أنه لم يقل: إن الصخرة كانت تمثل المسيح ولا كانت رمزا للمسيح، بل كانت المسيح! وهذا ما يظهر بغاية الوضوح تكامل مفهوم السر عند بولس فـــيما يـــتعلق بـــالمنّ وبالماء في العهد القديم، وليس الماء فقط محسوبا أنه شراب روحاني [بل والصخرة نفسها التي كان ينبع منها الماء كانت عند بولس تحمل سر حضرة المسيح ووجوده

---

[1]-مز 75: 25.

[2]-ملاك لوقا: الأفخارستيا، ص39.

[3]-مق المسكين، الأفخارستيا، ص60. ملاك لوقا: الأفخارستيا، ص39.

[4]-مق المسكين، الأفخارستيا، ص61.

(*)-(354-430): من أعظم آباء الكنيسة اللاتينية، رسم كاهنا في تاغستا (391)، حارب الهراطقة، أشهر كتبه "مدينة الله" 426، "والاعترافات" 397. E.Royston Pike : Dictionnaire des religions, P81.

[5]-المصدر نفسه، ص61-63.

[6]-1كور 10: 3-4.

الفعلي] [1].

وكما أنّ الذين يأكلون ويشربون من جسد المسيح ودمه بدون استحقاق[2]، يقفون تحت العقاب والدينونة فكذلك يحذر بولس أن الذين أكلوا من المنّ السمائي (الطعام الروحي)، والذين شربوا من الصخرة (الشراب الروحي) باستهتار أو بعدم إيمان أو بغير استعداد للتوبة هلكوا[3]: «لكن بأكثرهم لم يُسر الله لأنهم طرحوا في القفر»[4].

ولكن إذ نستمر في المطابقة بين المنّ السمائي وبين خبز الأفخارستيا نجد أوجه المماثلة تمتد في الكتاب المقدس لتشمل:

أولا: التعميم:

فكل شعب إسرائيل أعطي أن يأكل المنّ ونجد المسيح في سر الأفخارستيا يوضح عمومية هذا السر أيضا على طريقة الأمر والهبة في آن واحد[5]: «خذوا كلوا منه كلكم، خذوا اشربوا منه كلكم» (متى 26: 26-27).

ثانيا: التكرار:

فالمنّ يؤكل كل يوم، والأفخارستيا تقدم باستمرار: «كلما أكلتم...» (1كور 11: 26).

وهنا -بحسب الإيمان المسيحي-: [صفة التكرار لسر الأفخارستيا تأخذ ملامحها السرية من نزول المنّ من السماء كل يوم باعتباره طعاما لقوام الحياة][6].

وهذا ما يميز الأفخارستيا عن المعمودية التي لا تُمنح إلا مرة واحدة في الحياة، كما خرج

---

[1]-متى المسكين، الأفخارستيا، ص67.

[2]-استحقاق: أي أن الله ينعم بما يُلزِم لإدراك الغاية التي يعدّ لها بعطيته وهذا ما أراده أوغسطين بقوله: «إن الله يكلل عطاياه بتكليله استحقاقات قدسيه، فالمكافأة تشبه الزهرة أو الثمرة التي يجمعها البستاني الإلهي انطلاقا من البزرة التي وضعها هو نفسه. معجم الإيمان المسيحي، ص35.

[3]-المصدر نفسه، ص67-69.

[4]-(1كور 10: 5) (عبرا 3: 17-19).

[5]-متى المسكين، الأفخارستيا، ص71.

[6]-المصدر نفسه، ص71-73.

شـــعب إسرائيل من مصر مرة واحدة فقط، وعبروا البحر الأحمر تحت سحابة الله مرة واحدة فقط في حياتهم و لم تتكرر قط[1].

ثالثا: الأخروية أو طعام للمستقبل الدائم:

لقـــد أعطَـــى الـــيهود للمنّ بواسطة الربيين الملهمين صفة الإسكاتوليجية -أي الحياة الأخـــروية[2]-. فـــيقول التـــلموذ: «فكما أن الله أطعم شعبه أثناء الخروج من المنّ كطعام إعجـــازي مدهش، فهو عتيد أيضا أن يطعم الشعب في آخر الأيام في خروجهم العتيد[3] أن يكلموه»[4].

ولقد ظل هذا التعبير الإسكاتولوجي ينسب للمنّ كطعام للحياة المستقبلة[5] كما جاء في (رؤيا يو 6:7): «من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله».

وقد وضع الكتاب المقدس "المنّ" على مستوى شجرة الحياة التي في وسط الفردوس[6].

وهكذا يعتبر المنّ في سفر الرؤيا كطعام للحياة الأبدية.

-أمـــا نحـــن فـــنقول كيف يحدث ومن نفس الشخص (يوحنا) هذا التضاد في الأفكار والتضارب في المعاني، فتارة يقول: (آباءكم أكلوا المنّ في البرية وماتوا...) (يو 6: 49-58)، ويُظهِـــر الأفخارستيا بأنها هي المنّ الحقيقي: الطعام الاسكاتولوجي للحياة المستقبلة، ففي نفس السفر يقول: «الخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم» (يو6: 51) وتـــارة أخـــرى يضفي صفة الأبدية على "المنّ" ويماثله في "رؤياه" بشجرة الحياة ويفسره بأنه طعـــام الحياة الأبدية، فكيف يكون ملهما حينا بشيء ويستعلنه -بحسب التعبير المسيحي- في رؤياه، ثم يذكر عكسه ويعطي تفسيرا آخر "للمادة نفسها" بإلهام آخر طبعا!

---

(1)-شـــنودة الثالـــث: جسد المسيح والجسد السر ي، ط1، الكلية الإكليريكية بالعباسية، مطبعة الأنبا رويس الأوفست، القاهرة، 2003، ص51.

(2)-متى المسكين، الأفخارستيا، ص73.

(3)-العتيد: تعبير مسيحي آبائي للدلالة على القدم والطول في الزمن. متى المسكين، الأفخارستيا، ص76.

(4)-شنودة الثالث: جسد المسيح والجسد السر ي، ص53.

(5)-المستقبلة: تعبير مسيحي آبائي للدلالة على المستقبل بدلا من "مستقبلية".

(6)-متى المسكين، الأفخارستيا، ط3، ص79.

فكـــيف لا يتســـرب الشك إلى العقول السليمة وذلك ما أثبتته دائرة المعارف البريطانية حول صحة الأسفار المقدسة، بعدم نسبة سفر يوحنا إليه، -وهذا الكلام ليس مجال الاستدلال عليه الآن-، ولكن لإظهار التناقض!.

كما نجد الجانب المسيحي (ممثلا في تعاليم الرسل وقوانين الآباء الدسقولية)، يعقب على هذا الجانب ويحاول إيجاد تبريرات لا فائدة منها: بحيث يفسرون ذلك بأن الأفخارستيا هي المنّ الحقـــيقي وطعـــام الحـــياة الدائمـــة أو الأبدية الذي كان المنّ في سيناء مجرد مثال له. وأن الأفخارستيا جاءت وأكملت تحقيقه وكشفت السر المخفي فيه.

وهـــم بهـــذا يقررون أن الإسكاتولوجية -أي صفة الأخروية- التي تلازم كُلاًّ من المنّ والأفخارســـتيا كطعـــام الحياة الآتية جعلت التطابق بينهما شيئا بديعا لا ينتهي![1] -بحسب اعتقادهم طبعا-!

المطلب الثالث: الأفخارستيا و"خروف الفصح":

ماذا نعني بالفصح؟: إن "للفصح" عند الآباء معنيين متقاربين:

-المعنى الأول: "العبور في" (Diabasis) وهو يشرح عبور بني إسرائيل في البحر الأحمر.

-المعـــنى الـــثاني: "العبور على" (Hyperbasis) وهو يفسر عبور الملاك المهلك على البيوت التي وُسِمت بعلامة دم الخروف، دون أن يصيب الابن البكر فيها.

ولذلك سمي الخروف بخروف "الفصح"؛ أي الذي بواسطة دمه يعبر الملاك المهلك.

والمعنى الثاني هو السائد عند الآباء، وهو الأقرب إلى معنى الكلمة الحقيقي[2].

وقد جاء في التقليد بخصوص هذا الموضوع على لسان يوستين الشهيد يقول: «إنّ الذين خُلصـــوا من شعب إسرائيل في مصر، إنما خُلصوا بدم الفصح الذي مسحوا به قوائم أبوابهم وأعتابها لأن الفصح كان المسيح الذي ذبح فيما بعد!

فكما أن دم الفصح خلّص الذين كانوا في مصر هكذا دم المسيح يقي ويحفظ من الموت

---

[1]-مق المسكين، الأفخارستيا، ط3، ص79-81.

[2]-المصدر نفسه، ص83.

الذين يؤمنون به، ولكن هل هذا يعني إذا لم تكن هذه العلامة موجودة على الأبواب كان الله يخطئ في معرفة الذين له؟ كلاّ ولكن هذه العلامة -أي الصليب[1]- كانت استعلانا مسبقا على الخلاص الذي سيتم بدم المسيح الذي به يخلص جميع الخطأة في كل الأمم عندما يقبلون الفصح عن خطاياهم ولا يعودون يخطئون»[2].

والقديس يوستين[3] يريد أن يوضح: أن الذي خلص شعب إسرائيل في مصر وفداهم من ضربة الملاك المهلك هو سر دم المسيح الذي رسم على الأبواب كعلامة الصليب، أما دم الخروف فكان هو الظاهر من هذا السر. وهذا ما يؤكده سفر يوحنا: «لأن الفصح كان المسيح الذي ذبح في مصر» (رؤ 11: 8).

وسار جميع الآباء في الاتجاه السرائري التقليدي وهذا ما يسلمه هيبوليتس أسقف روما بوضوح شديد: «إن دم خروف الفصح عندما مُسح به كعلامة صار هو السر (Mystrion) القائم في ختم دم المسيح.. فالدم كعلامة هو للخلاص كما كانت على البيوت كذلك على النفوس، لأن النفوس بالإيمان وبالروح القدس ما هي إلا بيوت (هياكل) مقدسة، هذا هو سر البصخة (Passage، بالعبرية: Pessah) (Sacrament) (الفصح) العامة للعالم كله»[4].

وقد سمى هيبوليتس[5] ختم الصليب "بدم المسيح" الذي ينطبع على النفس باسم "سر البصخة" أو "أسر الفصحي" (Paschal Mystery) الذي يفيد عبور الهلاك عن النفس

---

[1]-مسح القالمتين والعتبة العليا بدم خروف الفصح يفسره الآباء بأنه برسم الصليب T . متى المسكين، الأفخارستيا، ط3 ، ص83.

[2]-متى المسكين: الأفخارستيا، ص85-87. تادرس يعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، الكلية الإكليريكية بالإسكندرية، دط، مصر، 1980، ص257.

[3]-يوستين: ولد في عائلة وثنية فلسطيني الأصل، تحول إلى الإيمان المسيحي قبل 135م، استقر في روما على عهد الأمبراطور أنطونينس، وأنشأ مدرسة للتعليم المسيحي، من مؤلفاته: الحوار مع تريفون، وهو مؤلف جدلي مع اليهود، وهو أول من وصف في دفاعه عن ممارسة كنيسة روما لسر الأفخارستيا، مات شهيدا بروما عام 165م. معجم الإيمان المسيحي، ص546.

[4]-متى المسكين، الأفخارستيا، ط3، ص87. تادرس يعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، ص159.

[5]-هيبوليتس: كاهن روماني، توفي شهيدا -على حد تعبيرهم- في 235م، مؤلفاته باليونانية تعد مصدرا رئيسيا لمعرفة تاريخ الفكر اللاهوتي والحياة المسيحية في روما في مطلع القرن الثالث ميلادي.. معجم الإيمان المسيحي، ص529.

والذي يسري في العالم كله وفي النفوس المقدسة[1]، فأصبح سر العالم الفصحي[2].

وفي عظة منسوبة للقديس يوحنا ذهبي الفم، نجد الإشارة واضحة إلى فعل الدم الإلهي – بحسب اعتقادهم- تطبيقا لفعل خروف الفصح قديما: «لأنه لا وسيلة لنا أن ننجو من الملاك المهلك إلا بالدم الإلهي الذي بمحبته سكبه من أجلنا وبهذا الدم نحصل على الروح القدس لأن الدم والروح هما على صلة حتى إننا بالدم الذي من طبيعتنا نحصل على الروح الذي ليس من طبيعتنا، وبهذا ينغلق باب الموت بالنسبة لنفوسنا، **هذا هو ختم الدم**»[3].

وبهـــذا القول المركز نجد منهجا منسجما في اللاهوت السرائري[4] فيما يختص بالعماد والأفخارستيا معا، ممثلين في دم خروف الفصح: فكل من يأخذ المسحة المقدسة في المعمودية بعلامـــة الصـــليب على الجبهة يكون قد حصل على ختم الدم الإلهي الذي هو استعلان لسر مسح دم خروف الفصح على أبواب بيوت شعب الله[5]. (مستخلص من الفكر الآبائي).

***أما الآن نأتي إلى موضوع "أكل خروف الفصح" باعتباره "وليمة الفصح" (la fête Pascale)، وما يحمله من معاني تتصل بالأفخارستيا اتصالا وثيقا:**

-إن "أكـــل الفصح" كان يُعتبر عند اليهود قبل زمن المسيح: مثال: Typos الملكوت الآتي، وأنه وليمة المسيّا[6] الآتي!!

---

[1]-مقدسة: مطهرة ومكرسة للعبادة بعد نوال البركة والتطهير. معجم الإيمان المسيحي، ص475.

[2]-متى المسكين، الأفخارستيا، ط3، ص89. تادرس يعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، ص161.

[3]-بنيامين باسيلي، الأفخارستيا: الجذور الكتابية والآبائية، ج2، ص132. تادرس يعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، ص163.

[4]-اللاهـــوت الســـرائري: هو علم المسائل الدينية الخاصة بالأسرار ويقوم أساسا على النصوص المقدسة والتقليد. معجم الإيمان المسيحي، ص412.

والســـر: في نصوص العهد الجديد هو تعليم مخفي أتى يسوع ليكشفه. وهو بشرى الله للناس. وفي رسائل بولس يدل السر عـــلى معـــرفة خفية لا تكشف إلا بالوحي والعنصر الأساسي في السر هو تدبير الله الخلاصي، و"سر الله" هو "سر المسيح" (أف 3: 4). وسر اتحاد المسيحيين بالمسيح في الأفخارستيا. [معجم الإيمان المسيحي، ص260].

[5]-بنـــيامين باسيلي، الأفخارستيا: الجذور الكتابية والآبائية، ج2، ص13. تادرس يعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، ص167.

[6]-المسيّا: هو المسيح المنتظر عند اليهود، وهو المشيح الذي يرجوا مجيئه شعب إسرائيل. معجم الإيمان المسيحي. ص459. وانطلاقا من نبوءة ناثان (2صم 7) ضُمِنّ هذا اللقب رجاء أخيريا هو رجاء رجل يختاره الله ليعيد لإسرائيل مجدها بصفته شعب الله. معجم اللاهوت الكتابي، ص464.

ونجـــد في كلام المسيح ما يشير بوضوح إلى هذه الحقيقة: «شهوة اشتيت أن آكل هذا الفصـــح معكـــم قبل أن أتألم، لأني أقول لكم: إنّي لا آكل منه بعد حتى يكمل في ملكوت أبي»[1].

إذاً "وليمة الفصح" ممتدة إلى "الدهر الآتي" حتى يستكمل استعلانها في ملكوت الله -بحسب الإيمان المسيحي-، ومن هذا يتبين أن الفصح الذي أكله المسيح مع تلاميذه قبل الآلام له أيضا امتداد في وليمة آتية -بزعمهم-: "وليمة المسيا" في ملكوت الآب التي يدعو المسيح إليها خواصه من المؤمنين والقديسين[2].

والأفخارســـتيا تقف كمرحلة تهيئ وتُعد "المؤمنين" ليكونوا من خواصه من لحمه ودمه، ليكونوا من مدعويه في وليمته السمائية في عشاء "عرس الخروف".

إذا فالأفخارســـتيا هـــي -عـــند المسيحيين- سر الفصح الجديد للعالم كله، سر الفداء والخـــلاص الذي "يُؤكل" فيه جسد ودم المخلص والفادي! أما بالنسبة لوليمة المسيح في الدهر الآتي في ملكوت الآب، فالأفخارستيا هي استعلان مسبق لها و"نوال عربون"، والحصول على شركة مع العريس[3] منذ الآن! - بحسب التعبير المسيحي -

كما تجدر الإشارة إلى العلاقة التي تربط الأفخارستيا بفطير الفصح:

حيث كان من ضمن طقس الفصح أن يؤكل مع الخروف فطير أي أرغفة خبز غير مختمر ويظـــل هذا الفطير طعام الشعب كله مدة سبعة أيام بعد يوم الفصح. وقد كان "عيد الفطير" -أصلا- عيدا قائما بذاته يبدأ من 15 نيسان ويستمر 7 أيام (خر 23: 15) (لاويين 23: 6-8) (عدد 28: 17) (تث 16: 1-4).

والـــذي يهمنا من هذا العيد هو "نوع هذا الطعام"، وعلاقته بالفصح، ثم ماذا تبقّى أو "انحدر" -على حدّ تعبيرهم- في العهد الجديد من هذا الطقس؟

---

[1]-لو 22: 15-16.

[2]-متى المسكين، الأفخارستيا، ط3، ص89-91.

[3]-في الكتاب المقدس اسم يطلقه الله على نفسه، (1أش 54: 5). ويكشف نفسه به للبشر. معجم الإيمان المسيحي. ص 325.

فأول من استعلن[1] سر هذا الطعام وعلاقته بالفصح هو بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنـــتس: «ألستم تعلمون أن خميرة صغيرة تخمر العجينة كله، إذا نقوا منكم الخميرة العتيقة لكـــي تكونوا عجينا جديدا.. لأنّ فصحنا المسيح قد ذبح لأجلنا، إذا لنُعيِّد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث، بل بفطير الإخلاص والحق» (1كور 5: 6-8).

وهـــذا يؤكد بولس العلاقة السرية بين أكل الفصح الجديد "جسد المسيح ودمه" وأكل الفطير الخالي من خميرة الشر والخبث؛ هو استعلان السر الذي كان مخفيا في هذا الطقس لكي يعيشـــه المســـيحيون بالروح بعد أن عاشه إسرائيل بالجسد «دون أن ينفتح ذهنهم على معناه العميق»[2] (على حدّ قول بولس).

ومعنى قول بولس أنّ "فطير الفصح" كان سرا من الأسرار الكثيرة التي كانت مكتومة منذ الدهـــور[3] في طقوس وأعياد وحوادث العهد القديم، وأن سر الفطير كما استعلنه بولس هو "الخلـــيقة الجديـــدة": الحـــياة الجديـــدة للبشـــرية الخالية من الخبث والشر المعدة منذ الدهور للاســـتنارة[4]. ولقبول سر المسيح (الأفخارستيا) حتى تكمل حياة الإخلاص والحق -بحسب قوله- ولتكون عجينة واحدة مع المسيح: «فإننا نحن الكثيرين خبزة واحدة، جسد واحد لأننا جميعنا نشترك في الخبزة الواحدة» (1كور 10: 17).

وأول مـــن تكلم عن هذا التقليد هو يوستين الشهيد الذي أضاف معنى جديدا للخميرة الجديدة: «إنما يشير إليه الفطير هو ألا نعمل أعمال الشر التي للخميرة القديمة.. وأن يخمروا لهم خميرة جديدة، وهو بذلك يوجههم إلى الأعمال الجديدة»[5].

---

[1]-اســـتعلن: تعبير مسيحي آبائي بمعنى أظهر. أول استعماله في الدسقولية (Didascalie) قاموس الكتاب المقدس، ص 213.

[2]-متى المسكين، الأفخارستيا، ط3، ص93.

[3]-الدهـــور: جمع دهر: وهو في الكتاب المقدس إما العالم المخلوق وإما مدة معينة، والزمن الآتي الذي يملك فيه الله للأبد عـــلى خليقته الجديدة أو الزمن الحاضر وهو ما بين ظهور المسيح الأول وظهوره الثاني. دهر الدهور: عبارة عبرية يراد بها التعبير عن مدة العالم المخلوق اللامتناهية. معجم الإيمان المسيحي، ص216.

[4]-الاســـتنارة: اســـم قديم للمعمودية: وهي نعمة خاصة بسر المعمودية تمنح علم الإيمان وتجعل من المعمدين أبناء للنور. معجم الإيمان المسيحي، ص35-36.

[5]-بنيامين باسيلي، الأفخارستيا: الجذور الكتابية والآبائية، ج2، ص53. تادرس يعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، ص169.

ويلـــتقي العلم اللاهوتي السرائري للآباء (يوستين، هيبوليتس، كيرلس الإسكندري) مع بولـــس في "فكر الفطير" حتى توضّح العلاقة السرية بين الفطير والأفخارستيا: «إن الكتاب يصف أن اليهود يأكلون الفطير في الفصح، وهذا المثال يعني بالنسبة لنا أن الذين يشتركون في أكل المسيح (الأفخارستيا) عليهم أن يُغَذّوا أرواحهم باشتياقات طاهرة غير مُخمّرة (بالشر) حتى يصبحوا منسجمين مع الحياة المبرّرة الخالية من الخبث»[1].

بهـــذا يتضح وبحسب التقليد الأبائي أن الخميرة الجديدة التي ليست من هذا العالم والتي تتقبلها عجينة البشرية الخالية من خمير الغش والشر، فتصير خبزا[2] سماويا!

وهكذا يرفع التقليد الطقوس القديمة لتأخذ مستواها الروحي عندما يستعلن السر المخفي فيها، والذي ينكشف علانية في العهد الجديد[3].

المطلب الرابع: الأفخارستيا و"وليمة المسيّا"

هـــذه الوليمة التي حددها الناموس[4] لتكون وليمة المستقبل لكل الشعب في هيكل الله، يمكـــن اعتبارها صورة موسعة تذكارية لوليمة موسى ورفاقه الأخصاء على جبل سيناء التي – كمـــا يزعمون– فيها رأوا الله وأكلوا أمامه. (سفر الخروج 24: 9-11): «ثم صعد موسى وهارون... وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل.. فرأوا الله وأكلوا وشربوا».

وكانـــت هـــذه الوليمة هي أول وليمة ذُكِر فيها أن الإنسان أكل أمام الله وكانت بعد استيلام موسى ناموس العهد، فكانت بمثابة "وليمة العهد" حتى أن كلّ وليمة أقيمت بعد ذلك تعدّ تذكارا لها وامتدادا لذلك العهد[5].

---

[1]–متى المسكين، الأفخارستيا، ط3، ص93-95.

[2]–خـــبزا: يرمز الخبز في الكتاب المقدس إلى البركة (أ ش 33: 16). وافتقاده على البؤس (مر 37: 25). وخبز الحياة هي أسماء يدل بها المسيح على نفسه (يو 6: 32-59). خلافا للمنّ الذي لم يكن سوى صورة، فالمسيح غذاء المؤمنين في الأفخارســـتيا بالإيمـــان. و"كســـر الخـــبز" اسم مائدة القربان في الجماعة المسيحية الأولى (رسل 2: 42). معجم الإيمان المسيحي، ص200.

[3]–سليمان نسيم: الطقوس في الكنيسة، ط1، مكتبة المحبة، القاهرة، 1993، ج1، ص28.

[4]–ناموس: شريعة موسى. (Loi)

[5]–عهد: وردت في الكتاب المقدس لوصف العلاقات القائمة بين الله والبشر: كمعاهدات الله مع نوح وإبراهيم وشعب في سيناء والعهد الجديد. معجم الإيمان المسيحي. ص337.

ومن خلال مضمون هذه الوليمة الأولى يمكن اعتبار **الأفخارستيا** التي أكل فيها التلاميذ أمـــام المسيح "**وليمة العهد الجديد**"، حيث جلس على "مائدة الرب" الإثنى عشر الذين كانوا يمثلون الكنيسة أي شعب الله الجديد بدل موسى وهارون والسبعين شيخا، الذين كانوا يمثلون شعب إسرائيل[1].

وقـــد تكلم سليمان النبي في سفر الأمثال عن "وليمة الحكمة"[2]: «الحكمة بنَتْ بيتها.. رتبت مائدتها.. هلموا كلوا طعامي وأشربوا من الخمر التي مزجتها»[3] [4].

فـــإذا جمعنا أوصاف هذه الوليمة كما صورها العهد القديم، إنها وليمة الحكمة في بيت الحكمة لكل الشعوب، لكل من يسمع الرب ويأتي.. وبهذه الأوصاف أسس المسيا وليمة حبه ليلة آلامه –بحسب الإيمان المسيحي طبعا!-.

ويـــرى المسيحيون أن الأفخارستيا هي الإستعلان الواضح والعميق لوليمة المسيا في جميع صُوَرِها التي ركّز عليها العهد القديم في ناموسه وطقوسه ونُبوَّته في كل الأجيال[5].

فلقـــد جاء المسيا –بزعمهم- وصنع وليمته وكان يعتبر نفسه عريسا في وليمة عرس لا صوم فيها و«هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم؟»[6][7].

كما أحب المسيح دائما أن يأكل مع الخطاة حتى عيَّره الفريسيون على ذلك: «لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة؟ (متى 9: 11).

---

[1]-ميناحاد حرجس: واجبات وقوانين في القداس، ص91.

[2]-وليمة الحكمة: لفظة " وليمة" كثيرا ما وردت في الكتاب المقدس للكناية عن الملكوت السماوي. معجم الإيمان المسيحي، ص543.

-وملكوت الله الذي نادى به المسيح يقوم على خضوع القلوب لشريعته لا على إقامة حكم إلهي بوجه منظور. المصدر نفسه، ص481.

-والحكمة في الكتاب المقدس: ما يعطي الإنسان قلبا قادرا على التمييز بين الخير والشر، والحكمة الحقيقية تأتي من الله ومصدرها في كلمة الله وفي الشريعة. المصدر نفسه، ص192.

[3]-أمثال 9: 1-5.

[4]-سيامين ناسيبي: الأفخارستيا، ج2، ص161.

[5]- ندرس يعقوب منطي: أقوال الآباء وكتاباتهم. ص171.

[6]- مر 2: 19.

[7]- ندرس يعقوب منطي: أقوال الآباء وكتاباتهم. ص171.

ولكـــن المسيح كانت مسَرتُه في الأكلِ معهم على مائدتهم، لأن من أهداف رسالته رفع الحواجـــز بين الخطاة والله، وليس من وسيلة إلى ذلك إلا بأن يشاركهم مائدتهم حتى أعطاهم أخيرا –كما يزعمون– جسده ودمه في "وليمة حبه" سِرّهُ الذي كشف عنه في الأفخارستيا[1].

وللقديس أمبروسيوس قول في هذا الموضوع: «المسيح يأكل مع العشارين والخطاة، هذا معـــناه أنـــه لا يـــرفض أن يشـــارك طعاما مع الذين هو مزمع أن يعطيهم الأسرار –جسده ودمه–»[2].

والذي ينبغي التنبيه إليه أنه –بحسب الاعتقاد الآبائي والإيمان المسيحي– فإن المسيح:

–اخـــتار التقدمة على غرار "تقدمة ملكيصادق" تماما لتكون ذات إلهام خاص لتلاميذه وللمســـيحيين على ممر الدهور: وهكذا اختار نفس مواد التقدِمة أي الخبز والخمر إشارة عبر ملكيصادق إلى أزلية المسيح وذبيحته.

–وبزعم الآباء (الرسوليين والمدافعين) فإن المسيح قد اختار **زمن الأفخارستيا** بدقة، فأقامه لـــيلة الفصح ليشير إلى ذبيحة نفسه باعتباره حمل الفصح وإلى العهد الجديد بدمه باعتبار أن الفصح يشكل عهدا مع الله، وليعلن الخلاص الكامل باعتبار أن الفصح هو عبور من العبودية والموت والهلاك معا.

–ثم اخـــتار أن تكون الأفخارستيا على شكل الوليمة الطقسية التي اعتاد اليهود تقديمها ترقبا لمجيء المسيا إشارة إلى اكتمال الزمان وتحقيق النبوات عن سر "وليمة المسيا" التي ظل اليهود ينتظرونها بفارغ صبر.

إذا فالأفخارســـتيا عند المسيحيين هي التحقيق النهائي "لوليمة المسيا" النبوية وإن كانت الأفخارستيا قد جاءت في شكلها وترتيبها بحسب الطقس اليهودي، إلا أنها في كَلِماتها ومعناها ونتائجها مختلفة تماما عن كل ولائم المسيّا التي صنعها اليهود[3].

وهـــذا ما قصده المسيح وأوصله التقليد متواترا عبر الأجيال –بحسب الإيمان المسيحي– طبعا!

---

[1]–بنيامين باسيي: الأفخارستيا، ص163.

[2]–المصدر نفسه، ص165.

[3]–متى المسكين: الأفخ... 3... 101، 107

المطلب الخامس: الأفخارستيا و"مائدة الرب"

إنّ المزمور الثالث والعشرون يحتل مكانة كبيرة في التقليد الكنسي السرائري، بسبب ما يحتويه عن الأفخارستيا والمعمودية من إشارات وتنبؤات على العهدين القديم والجديد.

والقديس كيرلس[1] الأورشليمي يعلق على هذا المزمور[2] قائلا: «لقد هيأتَ مائدة تجاه عينيّ مقابل الذين يضايقونني».

وما ذا يعني بذلك إلا المائدة السرائرية Mystical الروحانية التي أعدها الله لمدعوويه؟ – بزعمهم طبعا–.

حيث يذكر يوسابيوس القيصري كيف تعلّمَ هذا المزمور لأول مرة وهو شماس[3] صغير: «وبعدمـــا تعلمـــنا كيف نقيم تذكار الذبيحة على المائدة بواسطة العلامات السرائرية (الخبز والخمر)، التي للجسد والدم، بحسب مواصفات العهد الجديد، تعلمنا أن نرنم بصوت داود[4] النبي: «لقد أعددت مائدة أمامي تجاه مضايقي، مسحت بالزيت رأسي».

وفي هـــذه الآيات يشير "الكلمة" "المسيح" بوضوح إلى المسحة السرائرية (الميرون) وإلى الذبيحة المقدسة على مائدة الرب [5].

وأهم ما يُبرز المزمور الثالث والعشرين بالنسبة للأفخارستيا هو أنه يجمع معاً "وليمة المسيا"

---

[1]–كيرلس الأورشليمي: ولد حوالي 315م، وأقيم أسقفا على أورشليم في 348م، نفي مرتين بسبب معارضته للأريوسية توفي عام 387م، اشتهر بـــ"التعاليم العمادية" التي ألقاها في أورشاليم حوالي 350م. معجم الإيمان المسيحي، ص407.

[2]–مزمور: عند العبرانيين قصيدة أو ترتيلة دينية كانت تستعمل في طقوس الهيكل Les psaumes.

–مزامير سليمان: مجموعة مزامير منحولة تبنتها الترجمة السبعينية وهي تضم ثمانية عشرة مزمورا أولفت مؤخرا جدا ولها قمة روحية عالية جدا.

ســـفر المزامير: مجموعة مزامير تنقسم إلى خمسة أقسام وتحتوي على معظم المزامير التي وردت في الكتاب المقدس. ألفت في تواريخ مختلفة ومتفاوتة ما بين القرن (10-13) ينسب بعضها إلى داود الملك. معجم الإيمان المسيحي، ص454.

[3]–شماس: في الكنيسة القديمة رجال أقامهم الرسل للتفرغ من الأعمال المادية في الجماعة (رسل 6: 1-6).

وهـــم رجـــال نالوا سلطان إعلان البشارة والتعميد ومساعدة الكاهن على المذبح وحمل القربان المقدس وتوزيعه. المصدر نفسه، ص286.

[4] داود النبي: ابن يسّى، خليفة شاول (أول ملك إسرائيل دام ملكه من حوالي 1010ق.م إلى 970م.

هنـــاك مزامير كثيرة تعبر عن مشاعر هذا النبي والشاعر الديني. قاموس الكتاب المقدس، ص210.

[5] [illegible] 92

الآتي مع وضع المسيا في الوليمة كراع يطعم خرافه ويسقيها، وهو نفسه يقودها ويبذل نفسه عنها كما يوضح ذلك كيرلس الكبير(*) بقوله: «الذين أكلوا بالروح وشبعوا أصبح عليهم أن يعبروا عن شكرهم لقائد نفوسهم الذي يطعمهم طعام الخلاص، يدعونه راعيهم وآباهم، لأنه لم يرسل إليهم قديسا ليقودهم كما أعطى لإسرائيل عبده موسى بل أرسل لهم راعي[1] الراعاة وسيد المعرفة كلها الذي فيه كل كنوز الحكمة والمعرفة»[2].

وهذه الصورة التي يقدمها المزمور 23 للمسيا الآتي: نجدها واضحة جدا في حياة المسيح المعلنة على طول الإنجيل: «أنا هو الراعي الصالح» (يو 10: 11).

ولذلك يُعتبر هذا المزمور -بعد تأملنا السابق في وليمة المسيا- هو التمهيد الأخير لاستعلان المسيح في وظيفتيه السريتين العظيمتين: كراع صالح وحمل مذبوح: كاهن وذبيحة.

فالمسيح -وبحسب الإيمان المسيحي- هو صاحب الأفخارستيا وهو نفسه مائدتها وطعامها وشرابها[3].

و"مائدة الرب" في العهد القديم (حز 44: 16) هي في العهد الجديد مائدة ذات معاني روحية عميقة ومتعددة[4]:

-فهي "مائدة القربان": المذبح: ويسوع نفسه هو مذبح الهيكل الجديد (عبرا 13: 10). والمذبح(**) هو أقدس مكان في الكنيسة يقام عليه سر الأفخارستيا ويرمز إلى

(*) -كيرلس الكبير: هو كيرلس الإسكندري (384-444م): دافع حتى العنف عن ما يعتبره "الإيمان المسيحي القويم" ردا على البدعة النسطورية، كانت القضية الأساسية عنده هو موضوع اتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص الكلمة المتجسد، وكان يسمي "سر الأفخارستيا" "جسد المسيح معطي الحياة"، سيطرت شخصيته على الشرق المسيحي حتى وفاته، وتعتبر تعاليمه هي التجميع لأفضل التقاليد اللاهوتية لآباء الكنيسة الشرقية، فقد وضع "الكريستولوجيا" في أعلى قيمة في كتاباته ضد أريوس ونسطور. [بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ص139-140].

(1) -راعي: شبه الله نفسه في العهد القديم، وشبه المسيح نفسه في الإنجيل بالراعي. (تك 49: 24). (مز 23: وحز 34 ويو 10: 1-30). وأما عبارة الراعي الصالح: فهي لقب من ألقاب المسيح. معجم الإيمان المسيحي، ص228.

(2) -بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ص92.

(3) -متى المسكين: الأفخارستيا، ص109. بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ص93.

(4) -معجم الإيمان المسيحي، ص446.

(**) -المذبح: في هيكل أورشليم، بناء حجري كانت تقرب عليه المحرقات (حز 27: 1-8)، وفي عبادة العهد الجديد ... حية، يسوع نفسه هو مذبح الهيكل الجديد (عب 13 10)، وفي الليتورجية، مائدة حجرية أو خشبية أو حجرية مربعة أو مستطيلة يقام عليها سر الأفخارستيا. [معجم الإيمان المسيحي، ص427].

المسيح[1].

-وهـــي مائدة الكلمة: وفيها تعليم كلمة الله الذي يتغذّى به "المؤمن" بانتظار الجلوس إلى الوليمة الأخيرية[2].

-وهي مائدة محبة: للدلالة على اجتماع المسيحيين الأوّلين، حيث كانوا يتناولون الطعام ويقيمون في أثنائه سر الأفخارستيا[3].

---

[1]-معجم الإيمان المسيحي، ص426. ملاك لوقا: الأفخارستيا، ص103.

[2]-مـــلاك لوقا: المصدر نفسه، ص104. بطرس عبد الملك، إبراهيم مطر: قاموس الكتاب المقدس، ط13، مطبعة الحرية، بيروت، لبنان، ص98.

[3]-ملاك لوقا: المصدر نفسه، ص107. قاموس الكتاب المقدس، ص99.

نتائج الفصل الثاني :

تمخّضَ عن هذا الفصل النتائج التالية :

- إن الأفخارستيا المسيحية إكمال وإتمام لمعاني الفصح الكتابي ورموزه.

والعشـــاء الأخـــير وصلب المسيح وموته وقيامته إنما تمت في إطار الإحتفال بالفصح اليهودي، وإستكمالا له.

لذا كي نتفهم الأفخارستيا المسيحية لابد من العودة إلى الفصح الكتابي ومراسيمه.

- مـــن بـــراهين العهد القديم على الإستحالة : -وبحسب المعتقد المسيحي-ماورد في (أشعيا(*)*6 : 1/8) "حلف الرب بيمينه وبذراع عزته قائلا، إني لا أدفع بعد قمحك مأكلا لأعدائـــك، ولايشـــرب الغرباء خمرك التي تعبت فيها بل يأكله الذين جنوه ويسبحون الرب ويشربه جامعوه في ديار قدسي".

والقـــول أن الخبز يؤكل بالتسبيح والخمر تشرب في ديار الرب —على حد تعبيرهم- إشارة إلى الخبز والخمر اللذان يستعملان في العشاء الرباني لأنهما هما اللذان يتناولهما المؤمنون بالشكر في ملكوت السماء[1].

-يكمـــل ســـر الفصح، بالنسبة للمسيحيين بالموت والقيامة واللقاء مع الرب، حيث يهيئهم الفصح الأرضي لهذا "العبور" الأخير أي لذلك الفصح المرتقب في الآخرة.

- إن الفكرة الأساسية التي ينطلق منها هذا السر هي فكرة الشكر والإعتراف لله على كل ماصنعه اتجاه الإنسان.

(*) - أشعيا أول كبار الأنبياء الأربعة في العهد القديم، عاش في القرن الثامن قبل الميلاد، يشدد أشعيا في أسفاره على قداسة الله والإيمـــان والعـــدل كمـــا يعالج أفكار لاهوتية كثيرة ولرسالته في التعليم المشيحي شأن كبير. (معجم الإيمان المسيحي، ص43).

*مسيحية : هي في العهد القديم إنتظار ورجاء المشيح : وهو من مسح فصار أهلا لقيام بوظيفة "ممثل الرب".

[1] ملاك لوقا : الأفخارستيا مكتبة المحبة دار الكتب المصرية القاهرة 1991 ص 24.

الفصل الثالث:

الإفخارستيا في العهد الجديد: تأسيس المسيح "لذبيحة الشكر"

المبحث الأول: المفهوم اللاهوتي لسر العشاء وتسليمه كعمل إيمان وأساس عقيدة

المبحث الثاني: الأفخارستيا والأغابي

المبحث الثالث: صورة الأفخارستيا في القرن الأول والثاني في الكنيسة

المبحث الرابع: الأفخارستيا وقرارات المجامع.

المبحث الخامس: الأفخارستيا وعلاقتها بالعقائد المسيحية الكبرى

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: المفهوم اللاهوتي لسر العشاء وتسليمه كعمل إيمان وأساس عقيدة

يعتبر سر الأفخارستيا -بحسب الإيمان المسيحي- منذ أول يوم تأسس فيه خلال العشاء الأخير بأنه سر الأجيال القادمة كلها، الذي سيضبط إيمانهم بالله وحياتهم في المسيح، وسلوكهم في الحاضر ورجاءهم[1] في المستقبل[2].

فحياة المسيح لا يمكن فهمها إلا بموته، وموته لا يمكن فهمه إلا بحياته، وحياته وموته لا يمكن إعلانهما إلا بالأفخارستيا، حيث أن الحوادث التي عبرها المسيح إذا نُظرت تاريخيا مثل المحاكمة والصلب والموت وحتى أخبار القيامة، فإن فهم التلاميذ لها من الناحية اللاهوتية كان عسيرا، وهذا ما يتكلم عنه المسيح بعد القيامة لتلميذا عماوس[3]: «أيها الغبيان والبطيئان القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء، أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل مجده؟ ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب»[4].

فمن منظور آبائي، أن الرب كان عالما ببطئ القلوب في الإيمان وثقل الآذان في السمع والفهم على مستوى الأخبار وشرحها، لذلك وضع في تدبيره هذا السر بعمقه الإلهي وأسسه لهم ليلة العشاء الأخير ليكون هو:

-سر الإيمان (Le sacrement de foi) الحي الباقي لهم إلى نهاية الدهور حتى وإن كانوا لم

---

[1]-الرجاء: في الكتاب المقدس، مفردات الرجاء العبرية هي مفردات الإيمان، والرجاء يشير إلى انتظار الخيرات الموعود بها والصبر. وعلى الصعيد اللاهوتي الرجاء من أمهات الفضائل وهو يجعلنا ننظم إلى الله لنوال السعادة الموعود بها وهو فضيلة لدنيّة؛ أي صادرة عن عطية من الله أو عن النعمة (والنعمة هي عطية من الله لخليقته الناطقة، ترفعها إلى حالة التبني والاشتراك في الحياة الإلهية.

والنعمة المقدسة هي حياة الله في نفوسنا تستقر فينا بواسطة سر المعمودية بعد أن تمحو الخطيئة الأصلية، فتجعلنا أبناء الله بالتبني وإخوة المسيح وشركاؤه في الطبيعة الإلهية، وهي ضرورية للخلاص بمقدار أنه يستحيل علينا أن نرضي الله بدون وجودها فينا، وهي قابلة للنمو، تزداد كلما تلى المسيحي صلاة حارة وأتى بعمل صالحا وتزول باقتراف الخطايا وتسترجع بواسطة سر التوبة). بولس إلياس اليسوعي: خلاصة الدين المسيحي، منشورات دار المشرق، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، 1986، ص119.

[2]-بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، الجذور الكتابية والآبائية، ص195.

[3]-عماوس: قرية تقع إلى غرب أورشليم الشمالي، سار يسوع مع تلميذين إليها مساء يوم الفصح وكسر الخبز معهما وغاب عن أعينهما فرجعا من عماوس إلى أورشليم في اليوم نفسه. (لوقا 24). معجم الإيمان المسيحي، ص335.

[4]-(لو 24: 25-27).

يفهموه وقتئذ إلاّ أنهم على مدى الأيام استطاعوا من خلال هذا السر وممارساته أن يشرحوا كل الحـــوادث بل كل الأقوال والأعمال التي قال وصنع! «لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنّك ستفهم فيما بعد...» [1].

وعـــلى نفـــس مـــائدة العشاء السري التي أكلوا عليها مع الرب الوليمة الأخيرة وفي نفس العلـــية[2] جلـــس التلاميذ بعد القيامة[3] وبعد الصعود[4] مرارا وتذاكروا وتذكروا وفهموا كل شيء[5].

فمن خلال سر الأفخارستيا وكلمات العشاء الأخير فتح أعينهم ليدركوا كل أسرار السماء، فبحسب[6]«فلما اتكأ معهما أخذ خبزا وبارك وكسر وناولهما فانفتحت أعينهما».

وهكـــذا إذا أدركوا معنى الصليب[7]، وانعكس نور الجلجثة[8]، إلى الوراء، جلسة العشاء

---

[1]-(يو 13: 8)

[2]-العلية: Cénacle، بيت منفصل عن الأرض ببيت أو نحوه، فيها تم العشاء السري مساء خميس الأسرار، وفيها على الراجح أخذ الرسل يجتمعون بعد صعود المسيح إلى السماء (رسل 1: 12-14). معجم الإيمان المسيحي، ص333.

[3]-القيامة: Résurrection : عودة ميت إلى الحياة، وقيامة المسيح: هي خاتمة الفصح (موت وقيامة)، وعلة الخلاص ونور الإيمان المسيحي، إذ بفضلها ظهر موت المسيح وجميع أعماله في وجهها الحقيقي، وهي موضوع البشارة ومركزها (1كور 15) كما تمثل الروح الذي أفيض بموت المسيح وقيامته وتحقق المواعد وباكورة الأرض الجديدة، بعودة المسيح في آخر الأزمنة. (روم 8: 12). معجم الإيمان المسيحي، ص386.

[4]-الصعود: Ascension: مغادرة الأرض حيث يقيم البشر، والارتفاع إلى السماء حيث يقيم الطوباويون (طوباوي: هو المؤمن الراقد الذي يتمتع بالسعادة الأبدية)، وصعود الرب: خاتمة رسالة المسيح المنظورة على الأرض. لقد صعد المسيح إلى الآب فدخل جسميا في المجد يوم قيامته من بين الأموات (يو 20: 17)، وبعد ذلك بأربعين يوما رآه الرسل يرتفع إلى أن حجبه غمام عن عيونهم. (رسل 1: 3-11)، فكان ذلك نهاية محادثاته مع تلاميذه وخاتمة حضوره المنظور في هذا العالم إلى أن يعود في آخر الأزمنة. معجم الإيمان المسيحي، ص297. قاموس الكتاب المقدس، ص416.

[5]-مبنى المسكين: الأفخارستيا، ط3، ص215.

[6]-(لوقا 24: 30-31)

[7]-الصليب: خشبة تعذيب كان الرومانيون يعلقون عليها بالحبال أو التسمير من حكموا عليهم بالموت. كان شكل الصليبي إما تا يونانية T وإما تا يعلوها قضيب عمودي صغير. ونحن نعلم (لو 24: 39)، بأن المسيح سمر ...

أما درب الصليب: فهو استعراض المسيحي مراحل الطريق الذي سلكه اليسوع من دار الحاكم بيلاطس إلى الجلجثة، وأن يتوقف على كل منها ليتأمل ويصلي. معجم الإيمان المسيحي، ص300.

[8]-الجلجثة أو الجلجلة: كلمة عبرية معناها الجمجمة، وهي عبارة عن تلة صغيرة بشكل جمجمة تقع خارج أورشليم لقرن الأول، وعليها تم صلب المسيح. معجم الإيمان المسيحي، ص175.

الأخير، فأضاء معاني الكلمات التي قالها الرب، فانكشف أمامهم سر الأفخارستيا، سر العهد الجديد بدم المسيح، إذا فالصليب رسالة وطريق لاستعلان ربوبية المسيح وواسطة حتمية للإيمان بالمسيا!

فقد كان لا يمكن بدون سر "عشاء الرب" وتقديم الجسد المكسور والدم المسفوك مسبقا وقبل الصليب أن يدرك بطرس[1] هذا الإدراك العالي والإلهي والأخروي لمفهوم الصليب الإرادي ورسالة الصليب الكرازية للإيمان بالمسيا[2]. (بحسب المعتقدات الآبائية).

فقد ذكر في سفر الأعمال[3] «فليعلم يقينا جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربا ومسيحا».

هكذا خرجت الكنيسة الأولى كارزة بمجد الصليب وبموت الرب الكفاري وعمل الدم للمغفرة والمصالحة والفداء من وراء خلفية قوية صلبة: ألا وهي الأفخارستيا في العشاء الأخير، التي جعلت التلاميذ يدركون عمق فاعلية الدم الذي يسفك على الصليب: (كان يستحيل فهم ذلك بدون الأفخارستيا كما يقول الذهبي الفم)[4]: «عاملا الصلح بدم صليبه»[5]. «لنا الفداء بدمه»[6] ، «غسلنا من خطايانا بدمه»[7].

إن المسيح لم يشرح لتلاميذه الفداء والكفارة بالدم والخلاص بالصليب بالمفهوم اللاهوتي الفلسفي، ولكنه بحسب المعتقد المسيحي الآبائي، قدم لهم الفداء والكفارة بالدم كَسِر وقوة روحية تسري فيهم من خلال الجسد المكسور الذي قدمه لهم في الخبز للاشتراك فيه، كحق يؤكل الآن ويفهم غدا، «لست تعلم الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد»[8].

وبهذا يكون الرب قد ترك لتلاميذه "المنطق الإلهي السري" الذي يمكنهم من شرح نظرية

---

[1] بطرس: أنظر ص 148 من الفصل الثالث من البحث.

[2]-سيامين باسيلي: الأفخارستيا، ص167-169.

[3]-(أع 2: 36)

[4]-الذهبي الفم:

[5]-(كو 1:20)

[6]-(أف 1: 7)

[7]-(رؤ 1: 5)

[8]-(يو13: 7)

الفداء والكفارة والخلاص ومجد الصليب -بحسب التعبير المسيحي- والكنيسة كجسد المسيح السرّي ، وكل ملهمات العهد الجديد! [1].

المطلب الأول: الأعمال التي قام بها المسيح ليلة العشاء الأخير بحسب التقليد المسيحي: الأفعال الأساسية التي ينبني عليها "سر الشكر"

إن الأعمال والأقوال التي تمت في أفخارستيا عشاء الخميس التي أقامها المسيح مع تلاميذه صارت أساسا لكل إفخارستيا، ففي العشاء الأخير أكمل الرب -حسب تعبيرهم- ثلاثة **أعمال أساسية** هامة جدا، **تعتبر الهيكل البنائي العام للأفخارستيا، هذه الأعمال الثلاثة تكون عملا واحدا هو "ذبيحة شكر"**: إفخارستيا:

-العمل الأول: وهو طقسي

وفيه مارس المسيح الطقس التقليدي المتعارف عليه في أيام المسيح في إقامة "وليمة المحبة"[2]. وهو عبارة عن كسر خبز ثم عشاء ثم بركة (شكر) على الكأس ثم تسبيح ثم انصراف[3].

-العمل الثاني: وهو سرائري[4].

وفيه أعلن المسيح بعد البركة على الخبز وكسره وتوزيعه عن تحول هذا الخبز إلى جسده، كذلك بعد أن شكر على الكأس أعلن عن تحول الخمر الممزوج في الكأس إلى دمه. ثم أسلم لتلاميذه الأمر والوصية بأن يصنعوا هذا الفعل السرائري في كل وليمة محبة ليكون "ذكرا له"

---

[1]-بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ج2، ص171.

[2]-وليمة المحبة: المحبة هي أعمق تحديد لله، (1يو 4- 8). وشريعة المحبة هي الشريعة التي أتى بها الإنجيل.
والوليمة: وردت في الكتاب المقدس للكناية عن الملكوت السّماوي: وقد ورد في إنجيل متى للدلالة على ملكوت الله الذي نادى به المسيح. معجم الإمام المسيحي ص481.

[3]-متى المسكين: إفخارستيا قداس الرسل الأول، ط1، مطبعة أنبا مقار، القاهرة، 2000، ص5.

[4]-سرائري: العمل السرائري يكمن في كيفية قبول الحياة الأبدية في نفوس المؤمنين، وكيفية الحصول على سر الخليقة الجديدة، وهذا يضطلع به التقليد السرائري المنحدر -بزعمهم- بالتسليم من الرب نفسه.
وتكون خلقة الإنسان الجديدة للحياة الأبدية بواسطة المعمودية: الميلاد الثاني الذي من فوق أي من السماء، وتستمر هذه الحياة وتتقدس وتثبت في النفس بواسطة الجسد والدم (الأفخارستيا). متى المسكين: التقليد في الكنيسة، ط2، مطبعة أنبا مقار. القاهرة، 1987، 174 بتصرف.

Anamnesis، فاعتبرت هذه الوصية تسليما أبديا لسر المسيح[1].

-العمل الثالث: وهو شرحي

وفيه شرح المسيح لتلاميذه ليلة العشاء السر الجديد القائم في الخبز المكسور المتحول إلى جسده، والكأس الممزوج المتحول إلى دمه لا كمجرد الحديث عن العشاء ولكنه حديث يشرح صميم **السر الذي في عمق معنى** الخبز والكأس!

ويتكفل الإصحاح السادس للقديس يوحنا بشرح عناصر **الأفخارستيا** وهذا **ملخص** لكلمات الجزء المعروف **بالتأسيس**:

«هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت».

«أنا هو الخبز الحي النازل من السماء»: خبز الحياة.

«إن أكل أحد من هذا الخبز يحيى إلى الأبد»: نوال الحياة الأبدية.

«الخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله عن حياة العالم»: الفداء.

«من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير»: الدخول في ملكوت السماء.

«من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فينا وأنا فيه»: الثبات في المسيح.

هذا كلام بحد ذاته ليتورجية وصفية يشرح فيها يوحنا الرسول بفم المسيح -كما يزعمون- **دقائق العمل الإفخارستي الذي تمّ** في العشاء الأخير[2].

هذا الشرح بكل كلماته ومدعما بحلول الروح القدس أصبح في ذهن التلاميذ جزءا لا يتجزأ من طقس إقامة وليمة العشاء بعد ذلك.

من هذا **الشرح التفصيلي لمعنى السر الإلهي**، القائم في الخبز والخمر المحولين إلى جسد المسيح ودمه، وبأوصاف من الرسل أنفسهم مستمدة من المسيح رأسا -كما يزعمون-، ما يجعلنا

---

(1) جي شسكين: إفخارستيا، قداس الرسل الأول، ط1، ص5-7.

(2) -المصدر نفسه، ص7-9.

ننتبه إلى العلاقة الوثيقة بين إنجيل يوحنا والعبارات الإفخارستية المدونة في الديداخي[1] حيث تُثبت الأبحاث التاريخية أن كلا من إنجيل يوحنا ووثيقة الديداخي من عصر زمني واحد ويقول العالم C.h.Dodd أن يوحنا يشرح الديداخي في إنجيله علما أن كتابة الديداخي متقدمة على كتابة يوحنا لإنجيله [2].

من هنا تجد الإشارة إلى الصلة الوثيقة بين الديداخي التي ترى في كأس العشاء سر"كرمة داود"[3] وبين إنجيل يوحنا الذي يثبت الصلة بين "كأس العشاء" وقول المسيح «أنا الكرمة الحقيقية» على العشاء! وأن عن طريق عصير الكرمة يثبُت المؤمنون في المسيح والمسيح فيهم ويثمرون! [4] .

علما بأن أول شرح القول الذي جاء في الديداخي عن كرمة داود المقدسة بأنها كأس الإفخارستيا هو كليمندس الإسكندري[5] .

لكن **كيف التزم التلاميذ بهذه الأعمال الثلاثة عند تسليم سر الآفخارستيا للكنيسة؟** كان ذلك بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين حيث تهيأ التلاميذ ليقيموا وليمة عشاء المحبة "الذكر" المسيح الذي اعتادوا على حضوره بصورة مرئية أثناء كسر الخبز:« الذين أراهم أيضا نفسه حيا ببراهين كثيرة بعدما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوما ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله وفيما

---

[1]-الديداخي:didaché : كلمة يونانية الأصل تعني التعليم، من أقدم وثائق أدب الكنيسة القديمة المسيحي. عثر عليها في 1875 وهي ترقى إلى نهاية القرن الأول. والراجح أنهم كانوا يستعملونها لتعليم الموعوظين. معجم الإيمان المسيحي ص 226.
-موعوظ: catéchuméne: بالغ يرغب في الاعتماد: في "الاستنارة" بحسب تعبير شرقي قديم ويتلقى التعليم المسيحي. معجم الإيمان، ص 490.

[2]-متى المسكين: إفخارستيا قداس الرسل الأول، ط1، ص 11-13.

[3]-كرمة داود: تشير في العهد القديم على سبيل الاستعارة إلى شعب إسرائيل فهو خاصة الله، غرسها الرب بعناية وسهر عليها طول التاريخ فأخرجت ثمرا فاخرا (أش5) أما في العهد الجديد فإن يسوع هو الكرمة الحقيقية (يوحنا 15) وإن ملكوت الله هو الكرمة التي عهد إلى الكنيسة بالاعتناء بها (متى 21: 28-46)، معجم الإيمان المسيحي ص396.

[4]-متى المسكين: أفخارستيا قداس الرسل الأول، ط1، ص 13- 14.

[5]-كليمندس الإسكندري: يرجح أنه ولد في اليونان حوالي 150 واهتدى إلى المسيحية، بين في أهم مؤلفاته كيف أن الفلسفة اليونانية مهدت السبيل إلى المسيحية. مات في قبدوقية (منطقة في أسيا الصغرى كانت مركز حياة مسيحية ناشطة في القرن الثالث و رابع)، معجم الإيمان المسيحي، ص 46.

هو مجتمع[1] معهم أوصاهم...».

« وأعطى أن يصير ظاهرا ليس لجميع الشعب، بل لشهود سبق الله فانتخبهم لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معهم بعد قيامته من الأموات»[2] [3].

أ-كيف أكمل التلاميذ العمل الأول (الطقسي)؟

لم يجد التلاميذ أية صعوبة من جهة الطقس فهو بحسب التقليد القديم الذي استلموه والذي مارسه المسيح أمامهم وبدءوا بإقامته في العلية ثم في البيوت.

ب-كيف أكمل التلاميذ العمل الثاني (السرائري)؟

لقـــد واجه التلاميذ صعوبة بالغة منذ أول افخارستيا من جهة كيفية التعبير عن سرية تحول الخبز المكسور إلى جسد المسيح والخمر الممزوج إلى دم المسيح لأن هذا التحول تَمَ "بكلمة الرب" نفسه أو بالأصح تَمَ "مع كلمة الرب".

بدون صلاة، بدون دعاء، بدون تعليل، لكيفية حدوث ذلك السر العميق حيث تَمَ بسلطان المسيح الخاص: **قالَ فكانَ!** [4]

هنا أصبح من المحتم على التلاميذ بعد أن يكملوا كلمات الطقس أن يتوسلوا بصلاة خاصة مـــن عـــندهم[5]:« لحضـــور المسيح»، هكذا يتم (أي هذا التحول:Transsubstantiaton) بسلطانه الخاص حسب وعده أيضا[6].

-ويعتبر الاستدعاء:(Epiclesis:invocation) هذه اللحظة التي يحل فيها المسيح إنْ ظاهرا

---

[1]-جاءت كلمة " مجتمع معهم" في طبعة بيروت في الهامش هكذا:« فيما يأكل معهم»، كما جاءت في الإنجيل الفرنسي LA bible de Jerusalem ما ترجمته: «أثناء عشاء كان يشترك فيه معهم».

[2]-(أع 10: 40-41)

[3]-متى المسكين: آفخارستيا، قداس الرسل الأول، ط1، ص 13-14 -15.

[4]-المصدر نفسه، ص 15.

[5]-من عندهم: ولنا في هذا تعليق: فكيف للتلاميذ أن يأتوا من "عندهم" بصلاة استدعاء لحضور" الرب" بحسب تعبيرهم ثم يزعمون أن الروح القدس يظللهم والمسيح لم يترك قولا ولا صلاة لاستدعائه، ويجعلونه ذبيحة والحق من أفواههم- حجة عليهم - حيث جاء في أسفارهم« والرب يمقت الذبائح البشرية» (تث 12: 31و 18: 10).

[6]-وعده أيضا: بمعنى تحقيقا لوعده: «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (متى 18: 20) ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله» (يو 14: 13).

(كما حدث مع تلميذا عيماوس)، أو سرا، لحظة رهيبة وحاسمة من جهة تقديس[1] الأفخارستيا حيث ظل السجود والخوف مقترنيني بصلاة الدعاء هذه، في التقليد المتوارث على ممر مئات السنين حتى اليوم.

فبحسب القداس[2] يهتف الشعب بأجمعه:

"نسبحك ،نباركك، نخدمك، نسجد لك: القداس الباسيلي".

أما في القداس الغريغوري القبطي فيقول الشماس:«اسجدوا للحمل كلمة الله» معلنا صدق الإيمان بحضور الرب في هذه اللحظة –بحسب اعتقادهم طبعا-.

وهنا يأتي "كسر الخبز" كطقس هام جدا حيث استطاع أن ينقل التلاميذ وأجيال المؤمنين من بعدهم ، مرة واحدة وبصورة فائقة من عالم الحواس إلى عالم الروح[3].

جـ–كيف أكمل التلاميذ العمل الثالث، أي كيف نجحوا في شرح الإفخارستيا من داخل الطقس؟

واجه التلاميذ صعوبة تقديم شرح مناسب للشعب أثناء العشاء وذلك بسبب انفصال الآفخارستيا عن وليمة الاغابي (كما سيأتي تفصيل ذلك) حيث أخذت الأفخارستيا وضعا سريا

---

(1)–تقديس: الحصول على الكمال الباطني في الاتحاد بالله عن طريق المحبة، معجم الإيمان المسيحي، ص 150. وهو مصدر لكلمة قدس: بمعنى كرّس أي تفرغ لتسبيح وتطهير النفس بالتأمل والصلاة، معجم الإيمان المسيحي، ص 376.

(2)–قداس: عند الكاثوليك والأرثودكس، ذبيحة جسد المسيح ودمه، تُقرب على يد الكاهن بصفتها تأوينا أسراريا لذبيحة الصليب لمجد الله وخلاص البشر.

والقداس قسمان: –خدمة الكلمة: الصلوات والأواشي.

–خدمة القرابين وهي التقدمة.

وقد أطلق على القداس في الماضي عدة أسماء: كسر الخبز في القرن الأول والآفخارستيا في القرن الثاني والقربان في القرن الثالث و تحمل من القرن الرابع إلى السابع أما اليوم فله أسماء أخرى: كالذبيحة الإلهية والليثورجية الإلهية. معجم الإيمان المسيحيين ص 371، ومعجم اللاهوت الكتابي، ص 483.

(3)–الروح: في الكتاب المقدس، كان العبرانيون الأقدمون يرون في الريح ونسمة الحياة والنفس، نسمة تنبثق من الله. فالحياة هي إذن الحصول من عند الله على جزء من نسمة الحياة والموت يعني أن الله استرد نفسه.

في الكتاب المقدس: روح القدس هو الذي يوله نفوسنا ولأنه مرسل من قبل الله والمسيح فهو ينبثق من الله ويشركنا في الطبيعة ... معجم الإيمان المسيحي، ص 240، قاموس الكتاب المقدس، ص 517.

خالصا مستقلا [1].

-كذلك واجهوا صعوبة أخرى بسبب انتقال الآفخارستيا من ممارستها في المساء في جو عائلي يمكن فيه الشرح والتوضيح إلى الصباح بسبب اتساع خدمة[2] الصباح جدا مع دخول أفواج كبيرة من المؤمنين من الأمم[3] والنساء والأطفال فلم تعد الآفخارستيا وليمة لعدد محدود من الأخصاء تقام مساءا في جو عائلي -كما سبق الذكر بل أصبحت داخل خدمة الصباح في وسط جمهور كبير لا يعلمون شيئا عن التقليد القديم مما اضطر التلاميذ إلى وضع صيغة جديدة للأفخارستيا تشرح الطقس حركة حركة حسب التقليد، شرحا وصفيا ليسمع الشعب ويفهم ما يتم أمام عيونهم[4].

كذلك بدأوا يضعون الجمل التي تشرح ملابسات وزمن العشاء السري على نحو:« لأنه في الليلة التي أسلم فيها...» وواضح أن هذه الأوصاف والشروحات لم تكن موجودة قط في الطقس الأصلي لسر عشاء الخميس الذي أجراه المسيح -بحسب الإيمان المسيحي-.

ولكن هذه الظروف التي حتمت على الرسل وضع إفخارستيا مشروحة وموصوفة ليفهم الشعب الأممي ما تَمَّ ليلة العشاء الأخير وما يتم أمامهم الآن.

هذه الظروف لم تأتي مرة واحدة ولا في كرازة رسول واحد بل جاءت على مراحل إنما في أزمنة متقاربة في أيام الرسل، كلا في مكان بشارته في أورشليم ومصر وأنطاكية وروما فجاءت على نماذج أفخارستية متعددة كل منه يحمل طابع البيئة والظروف التي نشأت فيها مع احتفاظها بوحدة الأصل التي انبثقت منه أي:«..سر العشاء الأخير» كما تحتفظ بوحدة الهدف التي تهدف إليه: وهو توصيل التقليد السرائري للعشاء.

---

[1]-متى المسكين، آفخارستيا قداس الرسل الأول، ط1، ص 19-21.

[2]-خدمة: يترتب على كل عضو من أعضاء جسد المسيح أن يحي إيمانه ويشهد له فيدعوا جميع الناس إلى التصالح مع الله وبينهم، إذن فالخدمة هي كل وظيفة تمارس في شعب الله لخدمة الجماعة. والتبشير والرسالة والخدمة هم من متطلبات الحياة المسيحية. معجم الإيمان المسيحين ص 201.

[3]-الأمم: يدل هذا اللفظ في الكتاب المقدس على الشعوب الوثنية، لقد حلت شمولية العهد الجديد محل خصوصية العهد القديم حيث أن المسيح أوصى بالبشارة لجميع الأمم. (متى 28: 19)، معجم الإيمان المسيحي ص 65.

[4]- متى المسكين، إفخارستيا قداس الرسل الأول، ط1، ص 23.

وبذلك صارت الأفخارستية الجديدة الرسولية[1] عبارة عن تسجيل وصفي تاريخي مشروح لما أتمه المسيح في العشاء الأخير مع احتفاظها لكل العناصر الأساسية و الضرورية للأفخارستيا[2].

-فما هي الأفعال الأساسية التي تحدد شكل الأفخارستيا؟

تماما كما وردت في النصوص التأسيسية حتى نستطيع أن نفرق بينها وبين وليمة الأغابي التي تذكر دائما معها.

-الحدود الأساسية التي تحدد شكل الأفخارستيا:

حيـــنما نتتبع الأفخارستيا كما وردت في الأناجيل وفي رسالة بولس إلى أهل كورنيتس نجد أن المسيح أكملها في سبعة أفعال متتالية:

« **أخذ** خبزا **وبارك** **وكسر** **وأعطى** وقال»..ثم بعد العشاء
١ ٢ ٣ ٤

«**أخذ** كأسا **وبارك** **وشكر** **وأعطى** وقال»..« ثم سبّحوا وخرجوا».
٥ ٦ ٧

فلما انفصلت الأغابي عن الأفخارستيا في الكنيسة-وهذا بدأ يحدث منذ الأفخارستيا الأولى بعد العشاء السري الأخير- انضمت أفعال البركة على الخبز وعلى الكأس معا ، وكذلك انضم أخـــذ الخبز مع أخذ الكأس معا في تقديم واحدا متتال، **فصارت الإفخارستيا بعد تحررها نهائيا من الأغابي تشتمل على أربعة أفعال أساسية واضحة جدا ومختصرة**[3]:

1-التقديم (التقدمة كما سبق شرحها offrande): **أخذ** خبزا، أخذ كأسا.

2-الصلوات والشكر على الخبز والخمر (التقديس consécration): **بارك وشكر**.

3-القسمة:"**وكسر**"(la Fraction)

---

[1]-الإفخارستية الجديدة الرسولية: سميت كذلك لكي تميز الكنيسة الأفخارستيا الوصفية عن أفخارستيا العشاء الأخير حيث أعطت الكنيسة للأفخارستيا الوصفية أسماء الرسل الذين صاغوها بحسب حاجة بيئة بلادهم. وهذا هو سبب تسمية الأفخارستيا بأسماء القديسين يعقوب، ومرقس وبعد ذلك أعاد صيغتها الأساقفة فسميت بأسمائهم: كيرلوس الأورشليمي وكيرلوس الإسكندري ويوحنا ذهبي الفم الأنطاكي وهكذا.

أما إفخارستيا "عشاء الرب" فظلت كما هي، إجراءا صامتا بحسب التقليد، ليس فيها شرح أو تعليق قط.

[2]-متى المسكين: إفخارستيا قداس الرسل الأول، ط1، ص 23-24.

[3]- متى المسكين: الأفخارستيا عشاء الرب، ط3، مصعة دير أنبا مقار، القاهرة 2007، ص 372.

4-الإشتراك: **وأعطى.** (La Communion)

هـــذه **الأفعال الأربعة الرئيسية في الأفخارستيا** ، هي لازمة وضرورية وهي تشكل الحدود الرئيسية لكل أفخارستيا عُرفت حتى الآن في جميع أنحاء العالم ومنذ البدء وكل من حاول أن يغير فيها أو يختزل منها حرمته الكنيسة[1] .

المطلب الثاني: رواية العشاء الأخير في نصوص العهد الجديد.

أ-في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنيتس:

بحســـب الدراســـات التاريخية ودراسات علم الآثار فإن رسالة كورنيتس الأولى هي أقدم كتابات العهد الجديد، فقد كتب بولس هذه الرسالة ما بين عامي 54 و 55 م، أي قبل سنوات قليلة من كتابة أقدم الأناجيل "مرقس"[2] .

وقد عرف عن الرسالة على ممر السنين أنه تحوي عقل وفكر رسول الأمم العظيم (the very pectus paulinum) وأنها تحفظ للكنيسة أقوى دفاع عن حقيقة الأحداث التاريخية للإيمان المسيحي.

يقـــدم بولـــس في هذه الرسالة شهادة على أعلى مستوى، عن إيمان الكنيسة الأولى في سر الأفخارســـتيا وهي في نفس الوقت أقدم الشهادات والصور التي تشرح إيمان الكنيسة وممارستها لسر الأفخارستيا[3].

-والجديـــر بالملاحظـــة: أن أقـــدم وأعظم شهادة مكتوبة عن إيمان وممارسة الكنيسة لسر الأفخارستيا تأتي من إنسان لم يتعرف على يسوع قبل صليبه وقيامته-المزعومين- بل بعد صعوده إلى السماء[4]بعد أن تحول من مُضطهِد للكنيسة إلى رسول الأمم العظيم!.

---

[1] متى المسكين، الأفخارستيا عشاء الرب، ط3، ص 373.

[2] مرقس أحد اوائل تلاميذ الرسل، يهودي الأصل ابن مسيحية تسمى مريم كان لها في أورشليم دار تجتمع فيها الجماعة المسيحية القديمة (رسل 12: 12)رافق بولس وبرنابا ثم انفصل عنهما (رسل13: 13). وإنجيل مرقس: يقول التقليد أنه خلاصة تبشير بطرس. موضوعه الرئيسي هو ظهور المشيح المصلوب، ابن الله، معجم الإيمان المسيحي 451-452.

[3] - سيامين باسلي: الأفخارستيا، الجذور الكتابية والآبائية،ص 166-167.

[4] - (5 :9

-والآن نستعرض ما قاله بولس بخصوص سر الأفخارستيا في هذه الرسالة:

1-« فـــإني لســـت أريد أيها الإخوة أن تجهلوا أن آبائنا جميعهم كانوا تحت السحابة.. احتازوا في البحر وجميعهم اعتمدوا لموسى..أكلوا طعام واحدا روحيا وشربوا شرابا واحد روحيا لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية..والصخرة كانت المسيح»[1].

لم ترد في هذه الآيات إشارة صريحة عن الأفخارستيا ولكننا نلاحظ ما يلي:

-كتبها بولس كمقدمة للكلام عن سر الأفخارستيا.

-يقـــول بولـــس أن حوادث عبور البحر الأحمر والأكل من المنّ والشرب من الصخرة كتبتْ لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور[2].

-كما يربط بولس بين عبور الشعب وسط البحر الذي يعتبره بمثابة معمودية وبين الأكل مـــن الطعام الروحي والشراب الروحي وهما: المن والماء النابع من الصخرة إشارة واضحة يقدمها بولـــس لربط بين المعمودية والأفخارستيا كممارسة ليتورجية في الكنيسة الأولى وهو ماعبر عنه يوحنا في إنجيله الإصحاح السادس ومن بعده يوستين الشهيد[3].

-وكـــلمة "روحـــي" عند بولس لا تعني غياب الأبعاد المادية، فالماء والمنّ كانا حقيقين ولكنهما روحيين من عند الله بواسطة وعمل الروح القدس: إنه طعام حقيقي مقدم من الله بالروح القدس! إذن بولس يذكُر المنّ كرمز للخبز السرائري والماء كرمز للخمر السرائري واللذان يصيران -بزعمه- بالروح القدس جسد يسوع ودمه الأقدسين تماما مثلما يصير المنّ والماء بالروح القدس طعاما روحيا وشرابا روحيا[4].

2-ثم يذكر بولس في فقرات أخرى من رسالته[5].

«لأني تســـلمت من الرب ما سلمتكم أيضا أن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خـــبز وشـــكر فكســـر وقـــال خـــذوا كلـــوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم اصنعوا هذا

---

(1)-(1 كور 10: 1-4)

(2)-(1كور 10: 11)

(3)-(أنظر يوحنا 6: 30 -59)

(4)-بنيامين باسيلي، الأفخارستيا ،ص 96-70-71.

(5)-(1 كور 11: 23 -29)

-كرتي..فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذا الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء..لأن -تي يأكل ويشرب بدون استحقاق يكون مجرما..يأكل ويشرب دينونة[1] لنفسه..» [2].

ونلاحظ من هذه الفقرات ما يلي:

-أن الوقت الذي تأسست فيه الأفخارستيا هو ليلة آلام المسيح وصليبه (الليلة التي أسلم فيها) وهو مايتفق مع رواية الإنجيلين: (متى 26: 20-30)، (مر 14: 17-26)، (لو 22: 7 -23).

-كما يلاحظ ربط بولس بين هذه الليلة وبين الأفخارستيا ليس فقط ربط زمنيا بل ربط لاهـــوتي: فبولس يربط بين الممارسة وبين الحدث نفسه، أي بين ممارسة سر الأفخارستيا وحادثة موت المسيح!

-كمـــا يتضـــح مصدر وسلطان سر الأفخارستيا، إذ أن الذي أسس ذلك بأخذه الخبز و لكأس هو "الرب يسوع" نفسه -بحسب التعبير المسيحي-.

-كمـــا يـــتبن أن قصـــة التأسيس هنا، هي النموذج للممارسة الليتورجية: الخبز أولا ثم لكـــأس، ويؤكد بولس أن المسيح أوصى بأن تكون الأفخارستيا احتفالا مقدسا" لذكرى الرب" كما يؤكد على معنى الذكر Anamnesis.

-"والذكرى" من الناحية اللاهوتية هي التي تعطي الأفخارستيا معناها وفاعليتها، فالكلمة يونانـــية "آنامنيسيس" تعبر عن عمل له طابع إلاهي فهي ليست تذكارا عقليا لحدث ماض وإنما هي عمل يجعل الحادثة التي تمت حاضرة معنا وآنية[3] .

-كما أن عبارة تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء لها معنى أقوى بكثير من المعنى الزمني وهو

---

1 دينونة: فيها يكشف يسوع عند مجيئه الأخير مصير جميع الناس الأبدي وفي العهد الجديد توافق بين آخر الأزمة وظهور مسيح والقيامة العامة والدينونة الشاملة وتحد الأرض والسماء (متى 25: 31-46). معجم الإيمان المسيحي،ص 219.

2 1كور 11: 23-29)

3 تي: من الفعل أوّن: استرجاع حدث قديم (بقراءته أو ممارسته) في ضوء الزمن الذي يذكر أو يمثل أو يستعمل فيه.فالذين يذكرون خروج من مصر مثلا يستطيعون أن يعدوا أنفسهم مشتركين فيه، وفي الليتورجيا الأفخارستية: تأوين سر الخلاص حتى تم بالفداء مرة واحدة actualisation du sacrement ، معجم الإيمان المسيحي، ص 82. قاموس الكتاب ... ص 113 ... مقدس

انتظار المجيء الثاني[1]، للدينونة بحيث **أن "مجيء الرب" هو الهدف النهائي للاجتماع الأفخارستي**.

فالكنيسة- وبحسب بولس- باستمرار تعيش هذا "المجيء" وهذا الظهور المتوقع وحضوره الآني في القداس[2]، كما ورد في رؤيا يوحنا «أنا آتي سريعا، آمين[3] تعالى أيها الرب يسوع»[4].

3-أما الإعلان الذي ختم به بولس رسالته إلى أهل كورنيتس قائلا:«**ماران أثا**»[5][6]، فله معاني لاهوتية يوضحها بولس كمايلي:

-أن الأفخارستيا تعلن مجيء الرب وسط شعبه في حضور حقيقي وهذا ما تعلنه صلوات القداس الإلهي حين يصلي الكاهن:« **ففيما نحن أيضا نصنع ذكرى آلامه المقدسة وقيامته من بين الأموات وصعوده إلى السموات وجلوسه عن يمينك أيها الآب**[7] **وظهوره الثاني الآتي من السموات المخوف المملوء مجدا**[8] نقرب لك قرابينك من الذي لك[9] » (القداس الإلهي).

---

[1]-المجيء الثاني: L'avènement: تستعمل للدلالة على مجيء المسيح إلى هذا العالم، وتستعمل في العهد الجديد للدلالة على عودة يسوع في آخر الأزمنة لإجراء الدينونة الأخيرة (متى 24: 3) ويسمى أيضا المجيء الأخير أو المجيد علما بأن المجيء الأول هو التجسد، معجم الإيمان المسيحي، ص 439.

[2]-بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ص 28-31.

[3]-آمين: كلمة عبرية تدل على التأييد لما قيل، أو خاتمة لصلاة أو لمجدلة (مز 40: 41) وفي العهد الجديد: هُتاف طقسي يدل على تأييد ما قيل (1كور 14: 16)، وقد وردت هذه الكلمة على لسان يسوع تشديدا على صحة أقواله (متى6: 2) وكاسم ليسوع بصفته الشاهد الأمين الحقيقي للآب، معجم الإيمان المسيحي، ص 66.

[4]-يوحنا 22: 20

[5]-مارن أثا: Maranatha عبارة طقسية آرامية وردت مرتين في العهد الجديد (1كور 16: 22)و (رؤيا 22: 20)، ومرة في الذيداخية (10:6) وهي تقرأ على وجهين "ماراناثا" :«تعال أيها الرب»، وماران أثا، (الرب يأتي)، والأفضلية للقراءة الأولى، على كل حال عبرت هذه الصيغة عن انتظار عودة المسيح عن ذلك الشعور الذي ينعش الجماعات المسيحية الأولى. معجم الإيمان المسيحي، ص 424.

[6]-(1كور16: 22)

[7]-الآب: تسمية عربية للدلالة على الله الآب، وهو اسم سمى به يسوع الله الذي أرسله «أبي وأبيكم»(متى 7: 21) (لو 2: 29). معجم الإيمان المسيحي، ص 1-2.

[8]-مجد: يسطع مجد الله خاصة في المسيح «شعاع مجده» (عبرا 1: 3)، ولاسيما في صليبه وقيامته وصعوده (لو24: 26)، (يو 17: 24)، وهو يتلألأ في المسحيين الحقيقيين (يو 12: 24).

يظهر الله نفسه في الإنسان المؤمن لقول إيرناوس« مجد الله هو الإنسان الحي» فالمسيحي هو شعاع مجد الله. معجم الإيمان المسيحي، ص 434.

[9]-"من الذي لكَ": وهو المسيح الحاضر وسط شعبه المقدسين بدمه (بنيامين باسيلي: الأفخارستيا ، ج1، ط1،مطبعة شركة صنعة مصرية، القاهرة، 1992. ص 21.

-كما حدد بولس **شروط الاشتراك في المائدة الأفخارستية** كالأتي:

*الإيمان الكامل بحقيقة أن الخبز والخمر هما جسد ودم المسيح نفسه.

*يجب على المتناول أن يمتحن نفسه قبل التناول[1] وهو ما يربط سر التوبة والاعتراف بالاشتراك في الأفخارستيا.

*ويؤكد بولس على أن الذي يشترك في الأفخارستيا يجب أن يكون مستحقا لذلك وإلا يصير مجرما ويأخذ دينونة لنفسه« واما المقدم للأفخارستيا في إيمان يعطى الإستحقاق»[2] .

4-ويشدد بولس على أنه لا يجب أن يشترك الإنسان في الأفخارستيا بعد وليمة شرهة من الأكل العادي وشرب الخمر[3].

-كما نهى أن يُعامَل خبز الأفخارستيا على أنه خبز عادي وإلا يقع المشترِك تحت العقاب أو الضرر «من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون»[4] [5].

-ويلاحظ أيضا: أن الكأس: هي العهد الجديد بدم المسيح، أي هي تحقيق ذبيحة عهد المسيح: العهد الجديد. لقد تم العهد الأول بين الله وشعبه بدم الذبيحة في العهد القديم « وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم..» [6].

ثم قطع الرب عهدا مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام:« يقول الرب اجعل شريعتي في داخلهم واكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلها وهم يكونون لي شعبا»[7].

وهذا حققه الرب -بحسب بولس- حين مزج الكأس وقدمها لتلاميذه قائلا:«هذه الكأس

---

[1]-التناول هو الاشتراك في ذبيحة الرب الفصحية (1كور 11: 26) والاشتراك بفضلها في الخيرات الإلهية وهو يمهد للتمتع الأبدي بالله، إنه وليمة الملكوت (لو 22: 30).

والتناول هو الاشتراك في سر القربان، معجم الإيمان المسيحي، ص 155-156.

[2]-سيامين باسيلي: الأفخارستيا، ص 30.

[3] 1كور 11: 17-22.

[4] 1كور 11: 29-30.

[5] يُتمّم الشماس على الكاهن وهو يناول الشعب أن يقول:« جسد حقيقي ليسوع المسيح إلهنا، دم حقيقي ليسوع المسيح إلهنا. فيرد المتناولون: آمين ». (المصدر نفسه، ص 31).

[6] خر 24: 6-8.

[7] إر 31: 31-33.

هي العهد الجديد بدمي»[1].

أخـــيرا نقول أن بولس يقدم كل هذه التعاليم الخاصة بسر الأفخارستيا، ليس كمن يقدم تعلـــيما جديدا ولكنه يتحدث عن تقليد أقدم منه هو شخصيا، وجدَه في الكنيسة إيمانا وممارسةً حـــين دخل هو الإيمان وتعمَّد، -كما يذكر الأباء- لذلك نجده يقول:«إني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضا » هكذا يأتي أول تقرير عن تأسيس "سر الأفخارستيا" وممارسة الكنيسة لها من فم إنســـان لم يكـــن حاضـــرا وقـــت العشاء الأخير، لكنه تسلم كل ذلك من الرب، من داخل الكنيسة[2]-بزعمه-.

ننـــتقل بعـــد ذلـــك للتعرف على تقليد آخر فيما يتعلق بالأفخارستيا هو تقليد مرقس الإنجيلي:

ب-رواية العشاء الأخير بحسب إنجيل مرقس:

من المعروف تاريخا أن إنجيل مرقس هو أول الأناجيل كُتبَ قبل الأناجيل الثلاثة الأخرى (متى، لوقا، يوحنا).

-وقـــد جـــاء في مرقس عن الأفخارستيا ما يلي:« وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزا وبـــارك وكســـر وأعطاهم وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منها كلهم وقال لهم هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين»[3].

«ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون»[4].

-نلاحظ في هذه الفقرات مايلي:

-إنها اكثر النصوص الخاصة بالأفخارستيا اختصارا وهي تنقل التقليد الأفخارستي الذي كان يمارس أيام مرقس الرسول وفي كنيسته.

-لا يوجـــد خـــط فاصـــل بين الأفخارستيا وعشاء الفصح إذ يقول مرقس:« فيما هم

---

[1]-بنيامين باسيلي: الأفخارستيا: الجذور الكتابية والآبائية، ص 32.

[2]-المصدر نفسه، ص 34-35.

[3]-مرقس 14: 22-24.

[4]-مر 14: 26.

يأكلون أخذ يسوع خبزا وبارك وكسر..» هكذا يتبع الفعلان بعضهما وهو ما عُبِّرَ عنه بعد ذلك بارتباط الأفخارستيا بموائد الأغابي[1].

-كذلك من أهم الأمور عند مرقس أن "الكأس" هي العهد الجديد بدمه[2] الذي يسفك عن كثرين.

فـــالعهد الجديد هنا يأخذ قوته وفاعليته من قوة الدم المسفوك وعبارة "دمي الذي للعهد الجديد.." تعود بنا إلى دم العهد[3] وإلى موت المسيح الكفاري[4].

« وأخـــذ موسى الدم ورش على الشعب وقال هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم (خر 24: 8).«..من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصي مع أثمة (اللصان) وهو حمل خطيئة كثيرين وشفع في المذنبين»[5].

-كمـــا يلاحظ أن عبارة "كثرين" "πολλῶν" هنا معناها "الكل" فالكلمة تتعلق بعمل المســـيح الكفـــاري، فالمسيح مات لأجل الكل، لأجل مصالحة العالم مع الله أبيه[6].-بحسب اعتقادهم-.

-وأخيرا، الإشارة الليثورجية في الفقرة 26: « ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون» إذ انه أثناء توزيع الأسرار المقدسة على الشعب ترتل الكنيسة كلها في تسبيح[7] مستمر إلى أن ينتهي التوزيع[8].«سبحوا الله في جميع قديسيه ..»[9] (مز 150).

---

[1]-بنيامين باسيلي: الأفخارستيا: الجذور الكتابية والآبائية، ص 35-37.

[2]-دم: دم العهد الجديد: ذبيحة المسيح وهي تختلف عن ذبائح العهد القديم (روحيا ولاهوتيا). معجم الإيمان المسيحي، ص 214.

[3]-خر 24 :8.

[4]-أش 53: 12.

[5]-أش 53: 12.

[6]-2كو 5: 18-19.

[7]-تسبيح: هو الاعتراف والهتاف بعطف أو بعظمة إنسان ولاسيما بالله، معجم الإيمان المسيحي، ص 145.

[8]-التوزيع: تقسيم على المتناولين.

[9]-بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ص 37-39.

ج–رواية العشاء الأخير بحسب إنجيل متى:

« وفـــيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا أشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثرين لمغفرة الخطايا»[1].

يتبين من هذه الفقرة نقاط التوافق والاختلاف مع فقرات القديس مرقس في الملاحظات الأتية:

–اســـتبدل متى الجملة الخبرية التي كتبها مرقس «فشربوا منها كلهم»، بالأمر الشخصي الذي قاله يسوع «اشربوا منها كلكم».

–كذلـــك جـــاءت عبارة «لمغفرة الخطايا» عند متى لتشير إلى قوة "دم" يسوع المسيح الكفارية. وهو ما يؤكد عليه الكاهن في صلاة الاعتراف[2] قائلا[3]:« يعطي عنا خلاصا وغفرانا للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه ».

–كمـــا نلاحظ أن عن كل من مرقس ومتى تحوُّل موت المسيح إلى "تقدمة ذبيحة"[4] فهكذا –بحسب متى–حين قبل التلاميذ الخبز والخمر من يدي السيد، قبلوا معها استعداده ونيته بل وحقيقة تقدمه ذاته ذبيحة، اشتركوا فيها وتناولوا منها![5].

د– رواية العشاء الأخير بحسب لوقا:

تعتبر النصوص التي أوردها لوقا[6] بخصوص الأفخارستيا من أقوى النصوص وأهمها رغم

---

[1]–متى 26: 26-28.

[2]–صلاة الاعتراف: الصلاة هي كل اتصال للروح بالله، لالتماس الخير أو للتسبيح أو لشكر والتواضع أمامه. والصلاة مشتركة أو خاصة شفاهية أو عقلية: للتأمل وذكر الفضائل الإلهية، معجم الإيمان المسيحي، ص 298.

– الاعتراف: هو الإقرار بالخطايا للكاهن بسر التوبة، معجم الإيمان المسيحي، ص 46.

[3]–بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ص 40-41.

[4]–أنظر الفصل الثاني، ص

[5]–بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ص 41-43.

[6]–لوقا: كاتب الإنجيل الثالث وسفر أعمال الرسل. كان طبيبا (كول4:14) ورافق بولس في رحالاته الرسولية، يعكس تعليمه تعليم بولس، هناك أساطير جعلت منه رساما وقد يعود ذلك إلى صفاته التلوينية في فن الرواية. معجم الإيمان المسيحي، ص 420.

أنـــه من الناحية التاريخية يعد أخر رواية كتبت في الأناجيل عن تأسيس الأفخارستيا (فقد كتب لوقا إنجيله حوالي سنة 80م).

ومـــا يُكسب كلامه عن الأفخارستيا هذه الأهمية القصوى هو أن لوقا لم يكتفي بسرد حـــياة يسوع بكل أحداثها: صليبه، موته، وقيامته، بل يأخذنا في الجزء الثاني من كتاباته "سفر أعمال الرسل" إلى تاريخ الكنيسة الأولى، عبادتها وكرازتها وحياتها: والمحور الأساسي الذي تدور حوله شهادة لوقا " أن الله يحقق قصده في الكنيسة وبحسب الخطة الإلهية (تدبير الله الخلاصي[1]) فهو يقدم لنا: تاريخ وحياة الخلاص.

ويذكر لنا، كيف عاشت الكنيسة "الذّكرى" التي صنعها يسوع وطلب من الكنيسة أن تصـــنعها بستمرار. وقد تتبع -كما ثبت من المصادر المسيحية- كل شيء إلى المصدر الأصلي له فـــيكون بذلـــك قد كتب بناءا على التقليد الشفاهي والبحث التاريخي[2].لذلك يكتب في بداية إنجيله :« إذا كان كثيرون قد اخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كـــانوا مـــنذ البدء معاينين وخداماً للكليمت، رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعتُ كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي ...» [3].

والآن ننظر إلى أهم ما أورده لوقا بخصوص الأفخارستيا:

1-«ولما كانت الساعة إتكأ والإثنا عشر رسولا معه وقال لهم شهوة اشتهيتها أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم لأنّي أقول لكم إني لا آكل منه بعد حتى يكمل في مملكوت الله، ثم تناول كأسا وشكر.. لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله، وأخذ خبزا وشكر وكسر وأعطاهم قائلا: هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم اصنعوا هذا لذكري.

وكذلـــك الكـــأس أيضا بعد العشاء، قائلا: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي

---

(1)-تدبير الله الخلاصي: هو القصد الإلهي فيما يعود إلى خلاص البشر (أف3: 5)، حيث لا يجري تاريخ البشرية وفقا لدوافع قدر أعمى بل هو نتيجة لإرادة الله، وهو يسير وفقا لهدف حدده الله منذ الأزلية، ولهذا الهدف وجهان أساسيان: الخلاص في المسيح وشمولية هذا الخلاص. معجم الإيمان المسيحي، ص141.

(2)-بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ص43.

(3)-لو 1: 1-3.

يسفك عنكم»[1].

-والملاحظ أن لوقا يقدم وصفا للأفخارستيا يقترب كثيرا من الوصف الذي قدمه بولس.

-لوقا يتحدث كذلك، عن كأسين كأس الوجبة الفصحية (الكأس الاول) والتي أتت بعدها مباشرة عبارة المسيح: «إن **أقول لكم لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله**». والعبارة هذه في محلها تماما، حيث تشير إلى **الكأس الأولى "كأس الفصح" هذه الكأس** لم يقل عنها المسيح شيئا سوى أنه أعطاها للتلاميذ ليقتسموها بينهم.

أما "الكأس الأخرى" والتي جاءت **مرتبطة بالخبز، فهي "كأس الأفخارستيا"** التي قال عنها يسوع: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي **الذي يسفك عنكم**».

ونلاحظ عبارة "الذي يبذل عنكم" بعد عبارة "هذا هو جسدي" وهي مميزة لوصف لوقا حيث تختلف عن ما ذكره بولس بقوله: «المكسور لأجلكم»[2].

2-كمـــا يذكر لوقا في إنجيله حادثة مهمة وهي: "ظهور المسيح لاثنين من التلاميذ في طريقهما إلى قرية عماوس بعد قيامته"[3].

ولوقـــا لم يورد أي ذكر مباشر عن الأفخارستيا في هذه القصة إلا أن علماء الليتورجية وقفوا عند عبارة: «فلما اتكأ معهما أخذ خبزا وبارك وكسر وناولهما فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختـــفى عـــنهما»[4]. فكـــيف استنار هذان التلمذان وانفتحت أعينهما، مع العلم أن هذين التلميذين لم يكونا ضمن الاثني عشر تلميذا، وبالتالي لم يحضرا العشاء الأخير!

فكـــيف إذا عـــلما ما يشير إليه ويحققه كسر الخبز؟ فهل هو مجرد تذكر ما حدث ليلة العشاء؟ أم أنّ عمل المسيح هذا هو تحقيق الذكرى التي أمر هو نفسه بها؟

والجواب ما يذكره لوقا: «فقال بعضهما لبعض: ألم يكن قلبنا ملتهبا فينا إذ كان يكلمنا في الطريق ويوضح لنا الكتب[5].

---

[1]-لو 22: 14-20.

[2]-ينسامين باسيلي: الأفخارستيا، ص44-45.

[3]-لو24: 13-35.

[4] -لو 24: 30-31.

[5]-لو 23 :32.

لقد آمن التلميذان في الحال بأن كسر الخبز قد آثار فيهما رد فعل محدد هو الإيمان[1].

-كما نلاحظ أيضا في إنجيل لوقا أن: الأفخارستيا هي العلامة العظيمة للمسيحيين على قيامة المسيح: العلامة التي بها يدركون أن "الرب" حي وحاضر معهم[2].

هـ-رواية العشاء الأخير في سفر أعمال الرسل:

يلخص لوقا في سفر أعمال الرسل ما يميز حياة الكنيسة الجديدة، بعد يوم العنصرة فيقول: «...فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا: وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات»[3].

هذه العناصر الأربعة الرئيسية تمثل كنيسة العهد الجديد، وقد استخدم بولس كلمة "الشركة" حين تحدّث عن التناول من جسد المسيح ودمه -كما سبق وذكرنا-[4]. والمفهوم من كلمة لوقا -طبعا-، وسيرا على خطى أستاذه بولس: أن محتوى العبادة الليتورجية هو اجتماع المؤمنين الأسبوعي للتعليم والصلاة، حيث "تتم الشركة في جسد الرب ودمه" -بحسب تعبيرهم- ، ولذلك نجد لوقا يوضح في موضع آخر أن هذا الاجتماع الأفخارستيي كان يتم أول الأسبوع: «وفي أول الأسبوع إذ كان التلاميذ مجتمعين ليسكروا خبزا خاطبهم بولس وهو مزمع أن يمضي في الغد وأطال الكلام إلى نصف الليل»[5] ، إلى أن ينتهي بقوله: «ثم صعد وكسر خبزا وأكل وتكلم كثيرا إلى الفجر وهكذا خرج»[6] (في كلام لوقا عن بولس طبعا)[7].

---

[1]-الإيمان: هو جواب الإنسان إلى دعوة الله، وهو مصدر الحياة المسيحية بأسرها. وهناك قطبان في الإيمان: إيمان القبول أو إيمان الثقة، وإيمان المعرفة أو الاستنارة، وهو الذي يأتي النفس بالمعرفة والنور في كلمة الله ووعده. في الرسالة إلى العبرانيين (6: 7) يسمى المؤمنون «من استطابوا كلمة الله الحسنة»، ويسمى الإيمان: «ضمان الخيرات التي ترجى وبرهان الحقائق التي لا ترى» (عبرا 11: 1). وموضوع الإيمان هو: الله نفسه بصفته الحق الأول المتجلي للإنسان، فالله هو من نصدقه ومن نؤمن به. والقضايا الإيمانية، هي قضايا تصوغها المجامع عادة وهي تحدد إيمان الكنيسة. معجم الإيمان المسيحي، ص88.

[2]-بنسامين باسيلي: الأفخارستيا، ص45.

[3]-أع2: 42.

[4]-1كو 10: 16-17.

[5]-أع 20: 7.

[6]-أع 20: 11.

[7]-بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ص46.

و-رواية العشاء الأخير بحسب إنجيل يوحنا:

الحقـــيقة أن كثيرا من علماء الكتاب المقدس يعتبرون أن إنجيل يوحنا[1]، بكامله يعكس الحـــياة الســـرائرية لكنيسة المسيح، أي أنهم يجدون في كل أحداثه إشارات ليتورجية إلى أسرار الكنيسة!

إذا يقول العالم أوسكار كولمان "Oscar Cullmamn": «إن اهتمام يوحنا الرئيسي، هو أن يوضـــح الخـــط الذي يربط بين حياة يسوع ومسيح الكنيسة... ولأنّ مسيح الكنيسة حاضر بطـــريقة خاصة في الأسرار فهذا الخط يقودنا في كثير من الأحداث إن لم يكن كلها -في إنجيل يوحنا- إلى الأسرار»[2].

فـــالقديس يوحنا لم يذكر قصة التأسيس كما فعل الإنجيليون[3] الثلاثة لكنه -وبحسب التفســـيرات الآبائـــية- أورد مكانها تعليما طويلا شمل الإصحاحات 13-17.وبدلا عن مكان وزمان تأسيس الأفخارستيا قدم يوحنا مايلي:

-حادثة غسل الأرجل (يو13: 3-10).

-وصيّة المسيح الجديدة "المحبة"[4] (يو 13: 34).

-المسيح هو الطريق الوحيد للآب (يو14:6).

-محبة المسيح الحقيقية هي حفظ الوصية قائلا «هذا هو دم العهد الذي **أوصاكم** الله»[5].

-إرسال المسيح بالروح القدس (يو14: 15) (يو15: 26) (يو16: 13).

---

[1]-يوحنا: البشير: من الرسل الاثنى عشر، أخو يعقوب الأكبر الملقب "بالتلميذ الحبيب"، وإنجيل يوحنا أشد صبغة لاهوتية من الأناجيل الإزائية الثلاثة، أما رؤيا يوحنا: فهو مؤلف يروي شدائد كنيسة المسيح ومستقبلها المجيد. معجم الإيمان المسيحي، ص 552. والبشير: كل من أصحاب الأناجيل القانونية الأربعة التي تنقل سيرة يسوع كما عرضها تعليم الرسل في كنيسة القرن الأول. وهو لقب يطلب بوجه خاص على يوحنا الرسول للتمييز بينه وبين يوحنا المعمدان. المرجع نفسه، ص107.

[2]-فاصل سيداوس: تكوين الأناجيل، معهد الدراسات اللاهوتية، السكاكيني، ط2، دار الشرق، بيروت، 1982، ص73.

[3]-إنجيلي: نسبة إلى الإنجيل والحياة الإنجيلية: حياة فقر وإيمان بالمسيح على مثال ما جاء في متى 5-7. «طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون، طوبى للرحماء لأنهم يرحمون». معجم الإيمان المسيحي، ص68.

[4]-المحبة: هي "عمق تحديد لله، (1 يو 4: 8)، وشريعة المحبة هي الشريعة الجديدة التي أتى بها الإنجيل. المصدر نفسه،ص441.

[5]-يو 14 :15، 21، 23، 24.

-إتحادنا بالمسيح وحياتنا فيه مثل إتحاد الأغصان بالكرمة (يو15: 1-19).

فكل هذه التعليمات -بحسيب الآباء- تلقي ضوءا صادعا على وصية يسوع[1] (اصنعوا هذا لذكري) (لو22: 19) (1كو11: 24-25).

نعـــود الآن إلى الإصحاح السادس الذي أورد فيه يوحنا تعليم المسيح الواضح والصريح عن جسده ودمه:

-جاء في الإصحاح أن المسيح هو خبز الحياة النازل من السماء وتدريجيا تقدم الكلام عن الجسد حتى أصبح إصرارا على أنه جسد حقيقي يؤكل للحياة الأبدية.

تدرج الكلام على أربع مراحل: وكل مرحلة كانت تنتهي بشقاق بين السامعين:

1-«فكان اليهود يدمرون عليه لأنه قال أنا هو الخبز الذي نزل من السماء» (يو 6: 41).

2-«فخاصم اليهود بعضهم بعضا قائلين كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل»(يو6: 52).
فكانت نهاية المرحلة الأولى تدمرا ونهاية المرحلة الثانية مخاصمة.

3-ثم مرحلة التحدي الذي بلغ أقصاه حين تكلم المسيح عن جسده أنه يؤكل فعلا وأن دمه شراب حقيقي.

وبحسب يوحنا لو كان الكلام معنويا لما حدث هذا التحدي: «لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق» (يو6: 55).

4-وفي نهاية المرحلة الثالثة، وصلت التدمر إلى التلاميذ أنفسهم، فقال كثيرون منهم: إن هذا الكلام صعب ولا يستطيع الناس أن يسمعوه! [2].

«من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء و لم يعودوا يمشون معه»[3].

ونحـــن نقـــول كيف يرفض العقل والمنطق السليم أكل الجسد وشرب الدم مع الإصرار بأنهما حقيقيان -كما جاء في الإصحاح السادس- ويصل الرفض إلى التلاميذ وهم أنصار المسيح

---

1 ..... ص75.

..... ص79.

..... ص66.

-بحســـب يوحنا دائما- وكيف يقول "الرب" مثل هذا الكلام وهو المكمل لناموس موسى الذي نجـــد مكتوب فيه «والربّ يمقت الذبائح البشرية»[1]. فالحق ينطق بالحق ولا تعليق على ذلك! وبالرغم من هذا، فإن يوحنا في موضع آخر يجد تبريرا لما لا يستصيغه عقل ولا تقبله طبيعة بشرية فيفسر غامضا بغامض بإدخاله الروح القدس التي يجدون بها المخرج لكل مآزقهم، حيث يقول في الفقـــرات 60 إلى 69 مـــن الإصحاح السادس: أن الرب لم يشرح و لم يجيب عن الصعوبات الناشئة في الفهم العقلي لهذه الأمور بل ترك روح القدس يعلن ويوضح!!

ي-رواية العشاء الأخير كما في سفر الرؤيا والرسالة إلى العبرانيين:

توجد في رسالة العبرانيين بعض الإشارات عن الأفخارستيا: «لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه»[2].

والملاحظ أن رسالة العبرانيين تنقل مركز العبادة المسيحية من الأرض إلى السماء، وهذا يمهـــد الطـــريق لسفر الرؤيا «فلنقدم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح[3] أي ثمرة شفاه معترفة باسمه»[4]..

أما فيما يخص سفر الرؤيا، نرى في الإصحاحين الرابع والخامس من السفر: انعاكاسات وصـــدى لإيمان وممارسات الكنيسة الليتورجية بعد أن استقرت وثبتت وقت كتابة السفر! علما بـــأن سفر الرؤيا هو آخر ما كتب من أسفار العهد الجديد وبهذا نكون قد وصلنا إلى نهاية القرن الأول الميلادي[5].

---

[1]-(ت 12: 31، و18: 109

[2]-عب 13: 10.

[3]-ذبيحة التسبيح: يسمى سر القربان ذبيحة، لأنه ليس مجرد شكر أو تسبيح يرفع إلى الله: إنها ذبيحة العهد الجديد، ذبيحة الشكر للآب، أسسها المسيح في العشاء السري عشية آلامه. (لو 22: 19-20)، وهي ذبيحة مصالحة تلغى بها جميع ذبائح العهد القديم. معجم الإيمان المسيحي، ص224.

[4]-عب 13: 15.

[5]-بنيامين ياسيلي: الأفخارستيا، ج2، ص53.

-فاصل سيداوس: تكوين الأناجيل، ص81.

المطلـــب الثالـــث: معنى العشاء الأخير: هل كان فصحيا؟ أو ما علاقة العشاء الرباني بالفصح اليهودي؟

أ-هل كان العشاء الأخير عشاء فصحيا؟

إن العشاء الأخير هو بالنسبة للأناجيل الإزائية عشاء فصحي، فنقرأ في مرقص: «في اليوم الأول مـــن الفطـــير الـــذي فيه يذبح الفصح قال التلاميذ ليسوع: أين تريد أن نمضي فنعد لك الفصـــح؟»[1] ، أمـــا بحسب يوحنا فالفصح لم يجر الاحتفال به في تلك السنة إلا مساء الجمعة: «وكانت تهيئة الفصح..» [2]. «وإذا كان يوم التهيئة فلئلا تبقى الأجساد على الصليب في السبت لأن يوم ذلك السبت كان عظيما، سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويذهب بهم»[3].

حـــاول المفســـرون تفسير هذا الاختلاف، فقال بعضهم إن تأخير يوحنا لموعد الفصح اليهودي إلى مساء الجمعة يهدف إلى تحقيق المقارنة التامة بين المسيح والحمل الفصحي[4].

فموت المسيحي قد حدث في الساعة الثالثة بعد ظهر الجمعة وهي الساعة التي تذبح فيها الحملان الفصحية في الهيكل، فيسوع هو الحمل الفصحي الحقيقي، لذلك فقد جاء الجند وكسروا ساقي اللصين اللذين صلبا معه «وأما ياسوع فلما انتهوا إليه ورأوه قد مات لم يكسروا ساقيه... ولقد جرى ذلك ليتم الكتاب: إنه لا يكسر له عظم»[5] ، والحمل الفصحي -حسب الناموس اليهودي- «لا يكسر له عظم»[6] ، ثم أن ياسوع وهو يعلم بأنه سيموت في وقت الفصح بالذات استحضـــر في عشائه الأخير طقس الفصح بصورة يمكنه معها أن يدمج فيه طقسه الجديد، الذي

---

[1]-(مر 14: 12)، (متى 26: 17) (لوقا 22: 7).

[2]-يو 19: 14.

[3]-يو 19: 31.

[4]-الفصحي: وردت هذه الكلمة للمرة الأولى في سفر الخروج (12: 11) في إطار الخروج من مصر، لكن معناها الصحيح وأصلها لا يزالا مجهولين، ثم استعملت لتلخيص أحداث الخروج من مصر، وكان الفصح يحتفل به كل سنة، وهذا الاحتفال يتضمن عشاء طقسيا يأكلون في أثنائه الفصح. وفي العهد الجديد أصبحت رمزية التحرر من العبودية في مصر حقيقة في موت المسيح وقيامته: «لقد ذبح المسيح فصحنا» (1 كو: 5-7)، إنه حمل الفصح الحقيقي الذي يحرر الإنسان من عبودية الخطيئة والموت، وفيه ينتقل المسيحي من الموت إلى الحياة، وبه يغذي نفسه في عشاء الفصح وقد أصبح مائدة القربان. معجم الإيمان المسيحي، ص355. قاموس الكتاب المقدس، ص475.

[5]-يو 19: 33-35.

[6]-خر 12: 46.

سيصـــير طقس الفصح في العهد الجديد، وهذا الحلّ يحترم ترتيب يوحنا الزمني للأحداث ويقيم اعتبارا كافيا لأسلوب العرض في الأناجيل الإزائية[1].

اســـتنادا إلى هذا الحل، نقول أن ياسوع قد قُبض عليه في الليلة التي سبقت ليلة الفصح اليهودي، وصُلب في الساعات التي تسبق البدء باحتفالات الفصح. -بحسب الإعتقاد المسيحي -

أما العشاء الأخير الذي تناوله مع تلاميذه، فلم يكن عشاء فصحيا حسب تقليد الفصح الـــيهودي، بـــل كان عشاء وداع في جو عيد الفصح، ترك فيه المسيح لتلاميذه وصيته الأخيرة، حســـب إنجيل يوحنا (فصل 13-17)، ورسم السر الذي يوضح معنى موته وطلب من تلاميذه "أن يصنعوا هذا لذكراه".

ب-عمل نبوي يوضح معنى موت ياسوع على الصليب:

إنمـــا صـــنعه المسيح أثناء العشاء الأخير كان استباقا وتوضيحا لما تم في اليوم التالي على الصليب. «خذوا كلوا هذا هو جسدي... اشربوا من هذا كلكم، هذا هو دمي دم العهد الذي يهراق عن كثيرين لمغفرة الخطايا». هذا الكلام على الخبز والخمر أوضح معان موته على الصليب، فالخـــبز هو جسده الذي يبذل لأجلنا والخمر هو دمه الذي يهراق عن خطايانا. فكما أن الخبز يكسر ويوزع على الأصدقاء علامة لصدقاتهم ومحبتهم المتبادلة، هكذا سيكسر جسد ياسوع على الصـــليب علامة لمحبته، إذ «ليس لأحد حب أعظم من أن يبذل الحياة عن أصدقائه»[2] ، وعلامة محبة الآب للعالم: «فلقد أحب الله العالم حتى إنه بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك من يؤمن به، بل تكـــون له الحـــياة الأبدية» (يو 3: 16)، وكما أن ذم الذبائح يسكب على الهيكل تكفيرا عن الخطايا، هكذا سيسكب دم يسوع على الصليب تكفيرا عن خطايا العالم أجمع.

إن عمـــل يســـوع أثناء العشاء الفصحي هو عمل نبوي، به ينبئ يسوع بموته القريب، ويحـــدد معانـــيه وأبعاده الشاملة: فاشعيا[3] مشى في أورشاليم عاريا حافيا لينبئ بما سيفعله ملك

---

[1]- أعمال المؤتمر السنوي الحادي عشر للدراسات الآبائية: الأفخارستيا والحياة الروحية، مؤسسة القديس أنطونيوس، القاهرة، 2002، ص99-101.

[2]-يو 15: 13.

[3]- إشعياء أو كما الأسماء بالعبرية يشعيا هو نبي عبراني عاش في القرن الثامن قبل الميلاد ينتمي إشعيا على قداسة الله والإيمان بالله في نصوصه معجمه لآباء مسيحي ص43.

أشور «إذ يسوق الصبيان والشيوخ عراة حفاة»[1] وإرميا[2] يكسر جرة على مرأى من الشعب قائلا: «هكذا قال رب الجنود: كذلك أكسر هذا الشعب وهذه المدينة، كما يكسر إيناء الخزاف الذي لا يمكن أن يجبر بعد»[3].

وحزقيال[4] يمثل أمام الشعب رواية السبي إلى بابل (حز 12: 1-10). كل هذه الأعمال النبوية في التقليد الإسرائيلي تشير إلى أن الله هو سيد التاريخ، لذلك يستطيع أن ينبئ عن المستقبل، كذلك يسوع بإنبائه عن موته القريب يعلن لتلاميذه أنه يختار الموت بملء حريته: «إن أبي يحبني لأني أبذل حياتي لكي استرجعها أيضا لا ينتزعها أحدا مني إنما أنا أبذلها باختياري، فلي سلطان أن أبذلها ولي سلطان أن استرجعها أيضا»[5].

جـ-العهد الجديد بدم المسيح

إن قول المسيح "إن هذا هو دمي دم العهد" في متى ومرقس يذكر بما قاله موسى لدى عقد العهد مع الله على جبل سيناء: «هذا هو دم العهد الذي قطعه الله معكم...» [6]. وما جاء في رواية لوقا وبولس: «هذا الكأس هي العهد الجديد بدمي»، يذكرنا بما قاله إرميا النبي عن العهد الجديد: «ها إنها تأتي أيام يقول الرب أقطع فيها مع آل إسرائيل وآل يهوذا عهدا جديدا، لا كالعهد الذي قطعته مع أبائهم يوم أخذت بأيديهم لأخرجهم من مصر لأنهم نقضوا عهدي..، ولكن هذا العهد الذي أقطعه مع آل إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب، هو أني أجعل شريعتي في ضمائرهم، وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلها وهم يكونون لي شعبا ...لأن جميعهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم، يقول الرب: لأني سأغفر آثامهم ولن أذكر خطاياهم من

---

[1]-إش 20: 1-6.

[2]-إرميا: أحد كبار أنبياء العهد القديم الأربعة في القرن السابع، شاهد نهاية مملكة يهودا وخراب أورشليم في 587ق.م. معجم الكتاب المسيحي، ص31.

[3]-إر 19: 11.

[4]-حزقيال: ثالث كبار الأنبياء في العهد القديم، نفاه نبوكد نصر إلى بابل في القرن السابع، وسفر حزقيال: مجموعة أقواله أثناء وجوده في بابل وهو عسير التفسير أحيانا بسبب غزارة رموزه، لكن قيمته اللاهوتية كبرى في الدين اليهودي، خاصة في الفترة اللاحقة للجلاء. وفي تعليم العهد الجديد بخصوص الروح المحيي. معجم الإيمان المسيحي، ص189.

[5]-أعمال المؤتمر السنوي الحادي عشر للدراسات الآبائية: الأفخارستية والحياة الروحية، ص101-103.

[6]-خر 10: 17-18.

[7]-خر 24: 8.

بعد»[1].

كذلك يتنبأ أشعيا عن المسيح الذي يفيض الله عليه روحه، ويجعله "عهدا للشعب ونورا للأمم"[2]. وفي فصل آخر يصل أشعيا آلام المسيح التي بها سيحمل خطايا الكثيرين: «لقد أخذ عاهاتنا وحمل أوجاعنا... ولم يفتح فاه، كشاة سيق إلى الذبح وكحمل صامت أمام الذين يجزونه... وهو يحمل آثامهم، فلذلك أجعل الكثيرين نصيبا له لأنه أفاض نفسه للموت وحمل خطايا الكثيرين وشفع في العصاة»[3].

إن ذبيحة المسيح هي ذبيحة عن خطايا "الكثيرين" ولفظة "الكثيرين" لفظة آرامية تعني الجماعة الكثيرة، أي الجميع فالمسيح هو "حمل الله الذي يحمل خطيئة العالم"[4].

وفي نصوص العشاء الأخير الأربعة إشارة إلى هذا الفداء: «فدم العهد يهراق عن الكثيرين» (متى ومرقس)، «لمغرفة الخطايا» (متى) «يهراق من أجلكم» (لوقا)، وكذلك يقول عن الخبز: «هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم» وفي بولس «هذا هو جسدي الذي هو لأجلكم».

لقد رأى المسيحيون الأولون في موت يسوع على الصليب تحقيق كل النبوات القديمة، وعبورا من العهد القديم الذي تم بدم الذبائح إلى العهد الجديد الذي تم بتقدمة جسد ودم يسوع نفسه، وهذا ما تفسره الرسالة إلى العبرانيين التي تقارن بين "العهد الأول" (عبرا 8: 7، 9: 1)، "والعهد الثاني" (عبرا 8 :7) أو "العهد الجديد" (عبرا 8: 8-13).

فوحي الله النهائي لم يتم على جبل سيناء بل في يسوع المسيح الذي هو "وسيط عهد جديد، فإنه بموته لفداء المعاصي المقترفة في العهد الأول ينال المدعوون تمام الموعد، والميراث الأبدي" (عبرا 9: 159).

إن العهد الجديد قد بدأ في تجسد كلمة الله، فيسوع الإله والإنسان -بزعمهم- قد وحد في شخصه بين الله والبشر، لذلك هو الوسيط الوحيد الذي تستطيع به البشرية الوصول إلى الآب. وبلغ هذا العهد كماله في ذبيحة الصليب التي بها افتدى يسوع البشر من الخطيئة وصالحهم

---

(1) إر 31: 31-34.

(2) إش 42: 6.

(3) إش 53: 4-13.

(4) يو 1: 29.

مـــع الآب «إن الله -كمـــا يقول بولس- هو الذي صالح في المسيح العالم مع نفسه ولم يحسب عليهم زلاتهم، وأودعنا كلمة المصالحة»[1]. وفي المسيح ارتضى الله «أن يحل الملء كله. وأن يصالح بـــه لنفســـه كل ما على الأرض وفي السماوات بإقراره السلام بدم صليبه»[2] -بحسب الاعتقاد المسيحي ضمنا-![3].

المطلب الرابع: أسماء السر ومعانيها والمعنى العميق لكلمات المسيح وقت العشاء

أ-أسماء السر ومعانيها

-المعنى العميق للأفخارستيا

إن المعـــنى العميق لكلمة "أفخارستيا" اليونانية الأصل ، Εὐχαριστία هو الشكر، والشكر يُقدَّم لله إما بالكلام فقط، ويسمى تسبيحا وتمجيدا وإما يقدم على مستوى التقدمة (وقد ســـبق شـــرحها في الفصل الثاني)، كتقدمة الخبز والخمر في وليمة العشاء الرباني، ويسمى"تقدمة آنافورا" تقدمة الشكر أو "ذبيحة الشكر" التي اصطلح عليها كناسيا بكلمة "أفخارستيا".

فإذا كان الشكر المقدم لله؛ أي الأفخارستيا، يرافقه أيضا تسبيح وتمجيد وتقديس لاسم الله، مـــثل "التسبحة الشاروبيمية" حينئذ تسمى الأفخارستيا بالقداس، ويمكن للقداس أن يكون حاليا من تقدمة الأفخارستيا (بالخبز والخمر) مثل: قداس اللقان، حيث التسبيح والشكر وتقديس الله يكـــون عـــلى لقـــان المـــاء، حينئذ يسمى "بقداس اللقان"، لذلك يلزم دائما توضيح اسم الأفخارستيا إذا كانت بتقديم الخبز والخمر فتسمى "بقداس الأفخارستيا" لتمييزها عن قداس الماء الذي هو اللقان[4].

ومن أسماء السر: أسماءه كثيرة ومتعددة نذكر أهمها من القرن الأول وحتى يومنا هذا.

أولا: معنى كلمة سر:

لا تظهر كلمة سر في العهد القديم إلا في أسفاره الأخيرة (ابن سيراخ ودانيال

---

(1)-2كور 5: 19.

(2)-1كو 19: 20.

(3)-أعمال المؤتمر السنوي الحادي عشر للدراسات الآبوية: الأفخارستيا والحياة الروحية. ص107-113.

(4)-متى المسكين: الأفخارستيا، ط3، ص124.

الحكمة). وتَرِد بمعاني مختلفة (سر الله، ورتبة خفية.. الخ).

أمـــا في العهد الجديد فإن الكلمة تظهر في الأناجيل الإزائية بمعنى تعليم مخفي أتى يسوع ليكشـــفه وهـــو بشرى الله للناس. وفي رسائل بولس يدل السر على معرفة خفية لا تكتشف إلا بالوحي[1].

والعنصـــر الأساســـي في السر هو تدبير الله الخلاصي؛ أي أن اختيارنا منذ الأزل يؤدي بفضل فداء المسيح إلى تبنينا من قبل الله في عمل الروح القدس (أف 1: 3-14)[2].

إذن فالأسرار هي إشارات حسية أو أعمال ترى لها معنى وفعل لا يرى، وضعها المسيح الـــذي كان هو نفسه علامة حسية لوجود الله بين البشر. «من رآني فقد رأى الآب»[3]. ومعنى إشارات حسية، أنها تقع تحت الحواس كالنظر والسمع واللمس، وترمز إلى حقيقة باطنية يستدل العقـــل إلى معرفـــتها، هكذا الدخان مثلا يدل على وجود النار، وإحناء الرأس دليل الاحترام، والدمـــوع على شدة الانفعال.. وهكذا، فالإشارات المحسوسة التي نراها في الأسرار تبين لنا أن نعمة[4] الله الداخلية تحل في النفس وتستقر فيها، كما يرمز الماء في المعمودية إلى النظافة والتطهير وغسل نفس المعمد من خطيئته.

فالأســـرار هي بمثابة قنوات تأتي بواسطتها نِعَم الفداء التي استحقها المسيح -لمن آمن به

---

[1]-الوحي: عمل يكشف به الله للبشر تدبيره الخلاصي ويعرفهم نفسه، فقد أظهر الله نفسه أولا في تاريخ شعب إسرائيل كله بأحداث وعلامات قام الأنبياء بشرح معناها وأقوال ألهمها الله وبلغها الأنبياء، وبعد ذلك وأخيرا، أظهر الله نفسه في ابنه يسوع المسيح، في موته وقيامته، شرح معناها في تعليم يسوع وأقوال الرسل الذين تكلموا بإلهام من روح الله، وبمنح هذا المعنى لجميع المسيحيين في الروح نفسه، وهو الذي يحيي الكنيسة. معجم الإيمان المسيحي، ص536.

[2]-المصدر نفسه، ص260.

[3]-يو 14: 9.

[4]-نعمة الله: هي حياة الله في نفس المؤمن، -بحسب اعتقادهم- تستقر في النفس بواسطة سر المعمودية بعد أن تمحو الخطيئة الأصلية، وهي ضرورية للخلاص، بحيث يستحيل إرضاء الله بدون وجودها، وهي تنمو وتزداد بالعمل الصالح والصلوات، وتزول بالخطايا، ولكنها تسترجع بواسطة سر التوبة. وقد تكلم المسيح عن النعمة لما شبه نفسه بالكرمة وشبه المؤمنين به بالأغصان «...أنا الكرمة وأنتم الأغصان من يثبت فيا وأنا فيه فهو يأتي بثمر كثير لأنكم بدوني لا تستطيعون أن تعملو شيئا...» (يو 15: 1-9). بولس إلياس السيوعي: خلاصة الدين المسيحي، منشورات دار الشرق، بيروت. لبنان. ص119-120 بتصرف.

وتبعه- بموته على الصليب! [1].

1-سر الشكر: لأن الرب في تأسيس السر شكر، وبارك وكسر لذلك الأفخارستيا تعني الشكر. لا يستعمل العهد القديم هذه الكلمة إلا نادرا، بل يعبر عنها بلفظ بركة (هي لإيلوجيا ومن معانيها الخبز المقدم في الذبيحة الإلهية، وقد تليت عليه البركة فيرسله الأساقفة أو الجماعات المسيحية إلى بعضهم شهادة صداقة أو اتحاد في الإيمان والمحبة، وعند بولس وبعض الآباء فالبركة أو الأولوجيا هي الأفخارستيا نفسها. والبركة هي صلاة يراد بها استنزال نعمة الله على شخص أو شيء). أما في العهد الجديد فالشكر هو وجه من وجوه الصلاة، تستهل به الرسائل وتقلب إلى "مجدلة" يهنئ بها الله على نعمه[2].

2-سر الأسرار: لأنه هدف الأسرار جميعها، وبه الثبات[3] في المسيح "Le saint sacrement".

3-سر القربان: حيث تتحول القرابين إلى جسد الرب ودمه الأقدسين استمرارا لذبيحة الصليب "Oblation"، هو تقدمة ذات طابع ديني والكتاب المقدس يميز بين "قربان التقدمة" وهي تقدمة غير دموية والذبائح الدموية (أح2 و6: 7-16). ومن معاني هذه الكلمة أيضا: الخبز المبارك الذي يوزع بعد القداس على الذين لم يتناولوا جسد الرب -بحسب تعبيرهم- ودمه ويسمى بـ"القربان المثالي".

والقربان المقدس هما: الخبز والخمر اللذان تم تقديسهما وحفظا ليمنحى للمرضى والمحتضرين وليتسنى للمؤمنين أن يسجدوا لهما[4].

4-سر التناول: "La communion"، تناول المؤمنين من السر... اشتراكهم في الجسد والدم، وهو الاشتراك في ذبيحة الرب الفصحية (1كو 11: 26). والاشتراك بفضلها في الخيرات الإلهية التي ورثها المسيح ويمهد للتمتع الأبدي بالله، إنه وليمة الملكوت (لو 22: 30).

---

[1]-بولس إلياس اليسوعي: المصدر نفسه، ص120.

[2]-معجم الإيمان المسيحي، ص102. ومعجم اللاهوت الكتابي، ص203.

[3]-الثبات: استعداد باطني يجعل الإنسان ينتظر أن يأتي الخير المرغوب فيه ولو في ظروف شاقة، وعند بولس ولوقا خاصة يصبح هذا الانتظار فعالا بقوة الروح القدس، فهو ذلك الوقت الخصيب الذي تستغرقه الحبة لتنمو، ومما أنه دليل على الأمانة فهو يثمر رجاء ملكوت الله (لوقا 9: 15) (روم 5: 3-4).

[4]-معجم الإيمان المسيحي، ص377. معجم اللاهوت الكتابي، ص513.

والتناول هو الاشتراك في سر القربان[1].

5-العشـــاء الرباني أو السري "Le repaS du seigneur" (La cène): فهو عشاء الرب الـــذي منح فيه من خلاله للتلاميذ جسده ودمه، وهو سرائري، وهو العشاء الأخير الذي تناوله المسيح مع رسله عشية آلامه في العلية. فبعد أن احتفل المسيح بالفصح اليهودي أنشأ سر الأفخارستيا[2].

6-المـــائدة المقدسة او الذبيحة المقدسة "Le saintsacrifice": لأنه طعام الحياة الأبدية ويرمز إلى المائدة السماوية، في العهد القديم أثاث من خشب السنط يوضع عليه الخبز المقدس (خر 25: 23) وأحـــيانا يسمى المذبح نفسه (مائدة الرب) (حز 44: 16)، وفي العهد الجديد هناك مائدتان: مائدة القربان: المذبح، ومائدة الكلمة: تعليم كلمة الله التي يتغذى بها المؤمن.

وتسمى مائدة الذبيحة: مائدة صغيرة توضع وراء المذبح إلى اليمين تقام عليها رتبة تهيئة القرابين.

والمـــائدة أصلها لتقاسم الخبز بين الجلساء فتنشئ رابطة وجود ومحبة وإذا كان جلوسا إلى مائدة مقدسة، يصبح مقاسمة حياة الله، فالتلاميذ والمؤمنون بالمسيح مدعوون لمقاسمة مائدة المسيح، بانـــتظار الجلوس إلى الوليمة الأخيرية، كما كان اجتماع المسيحيين الأوليين، حيث كانوا يتناولون الطعام ويقيمون في أثنائه سر الأفخارستيا[3].

7-الذكـــرى "Anamnèse" (Mémorial): ورد في روايـــة تأسيس سر القربان أن المسيح أوصـــى رسله بأن «اعملوا هذا لذكري» (لو22: 19)، فالكاهن يذكر هذه الوصية بعد تقديس "Sanctification" الخبز والخمر، ويذكر جميع مراحل أعمال المسيح الخلاصية التي صنعها من أجل البشر: أي أن حدث الصليب حدث مرة واحدة ولكنه ممتد، ومعنى "ممتد" بأنه لم يحدث في لحظة معينة وانتهى في لحظة معينة، فهو انتهى كحدث لكن تأثيره وفاعليته ممـــتدة ولذلك فحدث الصليب ممتد من خلال القداس وحدث القيامة كذلك ممتد (لا يحده زمـــن فهـــو فوق الزمن) من خلال القداس، لذلك نعتبر القداس امتدادا حقيقيا للأحداث

---

[1]-معجم الإيمان المسيحي، ص155.

[2]-المصدر نفسه، ص326.

[3]-المصدر نفسه، ص426-427. معجم اللاهوت الكتابي، ص612. قاموس الكتاب المقدس، ص326.

الخلاصية التي تممها المسيح ولذلك سمي السر بالذكرى[1].

8-القـــداس: عـــند الكاثوليك والأرثوذكس: ذبيحة جسد المسيح ودمه تقرب على يد الكاهن بصفتها تأوينا (قراءة نص أو حدث قديم في ضوء الزمن الذي يذكر أو يستعمل فيه، فالذين يـــتذكرون الخروج من مصر مثلا يستطيعوا عدّ أنفسهم مشتركين فيه، وفي الليتورجيا ولا سيما في الأفخارستيا يؤون سر الخلاص الذي تم مرة واحدة) [2] أسراريا لذبيحة الصليب، والقـــداس قســـمان رئيسيان: خدمة الكلمة: وهو قداس الموعوظين يُقبلُون ثم ينصرفون. وخدمـــة القـــرابين: وهو قداس المؤمنين الذي كان مقصورا على المعمدين وكانوا وحدهم يستطيعون أن يتناولوا[3].

9-كسر الخبز: وهو اسم مائدة القربان في الجماعة المسيحية الأولى (رسل 2: 42).

10-المحفل: تسمية شائعة من القرن الرابع إلى القرن السابع عند اليونانيين، وهو الجماعة المسيحية بصفتها مدعوة ومجتمعة للصلاة والقراءة والاحتفال بالافخارستيا Congrégation[4].

11-الليتيرجيا الإلهية: تسمية حالية للأفخارستيا، وهي كما يصفها آباء الكنيسة «هي بحق رحلة إلى السماء ننعم بها في صحبة ربنا يسوع المسيح خلال اتحادنا به». والتسبحة والخدمة الإلهية هما إعداد لهذه الرحلة ودعوة موجهة للعالم كله المنظور وغير المنظور لكي يدخل الجميع في حـــياة التسبيح لله الخالق، ويمثل "الصليب" أو ذبيحة "المسيا" مركز التسبيح إذ هو -بحسب تعـــبيرهم-: موضـــوع ترنُم السمائيين والأرضيين، وهكذا قبلما تبدأ الصلوات الليتورجية يسبح الكاهن مع الشعب المُخلّص ويناجيه[5].

12-ذبـــيحة القـــداس: وتسمى أيضا الذبيحة الإلهية، وهي عمل تقديسي يتم بنقل الإنسان أو الحيوان أو الشيء إلى ملكية الله، إكراما وسجودا له، وفي الشريعة القديمة الذبائح هي أعظم تعـــبير عن حياة إسرائيل القومية، وفي الكتاب المقدس ما يُذكَر به الأنبياء هو تقدمة "قلب"

---

[1]-معجم الإيمان المسيحي، ص225.

[2]-المصدر نفسه، ص82.

[3]-المصدر نفسه، ص371.

[4]-المصدر نفسه، ص442.

[5]-ملاك لوقا: الأفخارستيا، مكتبة المحبة، دار الكتب المصرية، 1991، ص64.

-القمص تادرس يعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، ج4، الكلية الإكليريكية، بالإسكندرية، ص224.

الذين يقربون الذبائح، وبدون هذا المعنى الباطني لا قيمة للذبيحة (مي6: 8).

أما ذبيحة الصليب، فإن يسوع ينبئ بموته بألفاظ خاصة بذبيحة عبد الله التكفيرية (أش53)، والتي تدل على محبة المسيح وقد ورد في عبرانيين (إصحاح 9) أن ذبيحة الصليب تتجاوز أو تلغي جميع ذبائح العهد القديم، و لم تكن سوى صورة لها: إنها محرقة وتقدمة تكفيرية وذبيحة مصالحة وستكون بالأفخارستيا ذبيحة اتحاد.

وذبيحة القداس، هي ذبيحة أسرارية أو علامة أسرارية لذبيحة الصليب، إنها ذبيحة العهد الجديد، ذبيحة الشكر للآب أسسها المسيح في العشاء السري عشية آلامه (لو22: 19-20)، وبفضلها يستطيع المسيحيون أن يقدموا للآب، خبز ذبيحة المسيح ودمه علامة على اتحادهم بالمسيح من خلال تناول سر جسد المسيح ودمه[1].

13-تقدمة الحمل: حمل العهد الجديد هو يسوع المسيح، في سفر الرؤيا: يُصَوِّر المسيح القائم من الموت بصورة حمل مذبوح، لكنه حي ومجيد.. نظر إلى المسيح تارة كإلى الحمل الفصحي الذي افتدى البشر بدمه، وتارة كإلى الصورة النبوية القديمة للحمل الصامت الذي يساق إلى الذبح، ترتبط هذه الصورة بالتقليد الرؤيوي للحمل المنتصر، وبتقليد إسيني للمشيح الذي يطهر العالم من خطيئته[2].

14-الأنافورا: هي كما يصفها الآباء في أقوالهم:

-هي دخول ملكوت السموات الذي نادى به المسيح.

-هي حلول الروح القدس الذي يؤله النفس (يشركها في الطبيعة الإلهية لأن الروح مرسل من قبل الله والمسيح). ويفتتح الأزمنة الأخيرة.

-هي اتحاد مع يسوع، اتحادا يحصل بالثبات (والثبات هو الاستعداد الباطني الذي يجعل الإنسان ينتظر الخير ولو في ظروف شاقة ويصبح هذا الانتظار فعالا بعون الروح القدس).

---

(1)-معجم الإيمان المسيحي، ص224. قاموس الكتاب المقدس، ص276.

(2)-معجم الإيمان المسيحي، ص194. E.Royston Pike: Dictionnaire des religions, presse universitaire de France, Paris, 1954, P7.

وهي انتعاش روحي يتناول الجسد والدم الأقدسين[1].

ب-المعاني العميقة والخفية لكلمات المسيح وقت العشاء

1-«حتى يكمل في ملكوت الله»: و«اشربه معكم جديدا في ملكوت أبي»[2]:.

يقطـــع المسيح عهدا: «الحق أقول لكم إني لا أشرب بعد... حتى ينبه إلى أهمية وخطورة العمل القادم الذي سيكمله مع الآب، مؤكدا أن الفصح الجديد (الأفخارستيا) هو موضوع عمله الأعظم لدى الآب، وأنه من خلال الأفخارستيا سيعلن ويعطي ملكوت الآب «أشربه معكم في ملكـــوت أبي»، وهكـــذا -وبحسب الاعتقاد الآبائي- فإن بالأفخارستيا سيتلاقى بالنهاية الزمن الخلاصي بالملكوت «من الآن.. إلى ذلك اليوم.. في ملكوت الله» (متى 26: 29). فالأفخارستيا إذا هي الطريق إلى الملكوت[3].

2-الرب يستبدل الحضور المنظور بحضور سري:

حينما يقول المسيح «شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم» (لو 22: 15)، كـــان يرمز إلى الآلام التي سيعبرها حتى يبلغ النهاية التي من أجلها خُلق الإنسان: هو أن يكـــون مع الآب! فالأفخارستيا هي جسر العبور إلى الملكوت. فاشتهى المسيح بحسب الاقتناع المسيحي أن يحقق للعالم عبورا إلى الآب معه! إذا بالأفخارستيا يكون "إعلان إتيان ملكوت الله": أي حضور الآب والابن والروح القدس عاملين معا للعبور من الموت إلى الحياة، ومن هذا العالم إلى ملكوت الله، حيث فصح المسيح حاضر في الافخارستيا مع أبيه والروح القدس! فما هو دور الـــروح القـــدس في استعلان "الدهر الآتي" الذي هو إعلان زمن الخلاص وملكوت الله بالقيامة وحلول روح القدس[4]. إذا فما معنى الزمن وملئ الزمن؟

3-معنى الزمن و"ملئ الزمن":

أ-عـــند اليهود: فبينما أغلق اليونان التاريخ إذ جعلوه على صورة دوائر متكررة بلا نهاية ولا معـــنى، بناء على علوم فلكية تقسم السماء إلى دورات تعود فيها النجوم إلى مواقعها الأولى

---

[1]-ملاك لوقا: الافخارستيا، ص68.

[2]-(لوقا 22: 16) (متى 26: 29).

[3]-متى المسكين: إفخارستيا قداس الرسل الأول، ط1، ص53.

[4]-المصدر نفسه، ص55.

حيث يبدأ العالم بعد كل دورة حركته التاريخية من جديد، بنفس حوادثها ومن هنا لا يزال المثل السائد "التاريخ يعيد نفسه" يشير إلى هذا المعتقد[1].

أما اليهود، فبناء على أسس الثوراة، جعلوا التاريخ على صورة خط وإن كان غير مستقيم (لأجل ما عانوه)، ولكنه خط له بداية وهي خلق الله للعالم، بإرادته ومشيئته وحده حيث بدأ الزمن ومعه التاريخ (في سفر التكوين) أما النهاية فهي ما ذكره العهد القديم دائما باسم "يوم الرب"[2]، حيث فيه وعنده ينتهي الزمن والتاريخ[3].

ب-أما الزمن و"ملئ الزمن" في المفهوم المسيحي:

بمجيء المسيح وبموته وقيامته إستعلن -في المسيح- فكر الله وتدبيره عبر كل التاريخ والزمن (أف 1: 10):« لتدبير ملئ الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك».

أي أن المسيح هو نفسه استعلان ومعرفة وشرح لكل حركات التاريخ والزمن على الأرض كما في السماء! فعندما عبر المسيح من الموت إلى القيامة ثم أكمل القيامة بالصعود ودخل إلى مجد أبيه بدأت دهور الله أو الزمن الآخر Eschaton وبدأ عهد المصالحة مع الله بواسطة المسيح[4].

4-عمل الروح القدس في استعلان أواخر الدهور "يوم الرب":

أرسل المسيح الروح القدس ليحقق "حكم الله" أي ملكوته الروحي على مستوى التاريخ وإلى أبد الأبدين -بحسب التعبير المسيحي-حيث جاء في يوحنا« وأنا أطلب من الآب فيعطيكم

---

[1]-ول ديورانت: قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود، عبد الحميد يونس، محمد بدران، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1965، ج18، ص62-63.

[2]-يوم الرب: عبارة كثيرا ما وردت على لسان الأنبياء ولاسيما ابتداءا من عموس (5: 18-20) تدل على تدخل الله في التاريخ لمعاقبة الخطيئة وتحقيق قصده (بارسال الفادي): تشير هذه العبارة إلى العصر المسيحي أو إلى الدينونة الأخيرة أي إلى تدخلات الله الأخيرة. وفي العهد الجديد (رسل 2: 20) تشير إلى مجيء المسيح الثاني وهناك عبارات "كاليوم" (لو 21: 34) "وبعد قيامة يسوع" إشارة إلى أول يوم من الأسبوع، بعد السبت وهو "يوم الرب". معجم الإيمان المسيحي ص 560 ومعجم اللاهوت الكتابي ص 880-882

[3]-الأنبا متاؤس: روحانية طقس القداس، ط2، دار الجيل للطباعة، القاهرة 1993م، ص 71.

[4]-المرجع نفسه، ص 73.

معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد»[1].

إنّ علاقة الروح القدس بيوم الرب "Eschaton" علاقة صميمة يعبر عنها بطرس الرسول: «...يقول الله ويكون في الآيام الأخيرة (إسخاتايس إيميرايس) أني أسكب من روحي على كل بشر»[2].

فلما أكمل المسيح ذبيحته عن العالم بموته وفدائه، حيث ختم على الظهور السالفة الخالية من الخلاص والتجديد والأبدية- ثم بقيامته وصعوده ودخوله إلى مجد الآب بدأ "اليوم الآخر": -بإعلان زمن الخلاص وملكوت الله وحلول الروح القدس- فيولدون من جديد من جسد المسيح -من فوق- بالمعمودية وبالأفخارستيا يصيرون معه وفيه بعمل المعزى روح القدس![3].

يرى بولس أن الأفخارستيا هي "يوم الرب" وهي قبل أن تكون غفرانا وصفحا ومصالحة فهي قضاء ومحاكمة ووقوف أمام ديان الأرض كلها، واشتراك في ذبيحة إلهية من يدخلها دون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه «...لأننا لو كنّا حكما على أنفسنا (دينونة الذات والاعتراف بالخطيئة وتوبة) لما حُكم علينا»[4].

إذا فالأفخارستيا هي دخول "ملكوت الله" عبر "محاكمة" وبعمل الروح القدس قبل عبور التاريخ والزمن إلى الدهر الآخر وحياة الأبدية[5].

5-هذا جسدي.. هذا دمي:

فالمسيح -في اعتقاد المسيحيين- يؤكد بالقول الصريح في رسالة بولس إلى الكورنتيين "هذا جسدي.. هذا دمي"[6] أن الأفخارستيا ذبيحة! فإذا «فخبز الأفخارستيا بعد البركة هو جسد إلهي للمسيح وقول المسيح في لو آخر هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، هو تقرير حالة

---

(1)-يو 14: 16.

(2)-أع 2: 16-17.

(3)-متى المسكين: أفخارستيا قداس الرسل الأول، ط1، ص57.

-الأنبا متاؤس: روحانية طقس القداس، ط2، دار الجيل للطباعة، القاهرة، 1993، ص75.

(4)-1 كو 11: 29-31.

(5)-الأنبا متاؤس: المرجع نفسه، ص76.

(6)-1كو 11: 23-24.

حقيقية واقعة -بحسب الإيمان المسيحي واعتقادات الآباء-.

وهـــذا مـــا يؤكده بولس في رسالته إلى أهل كورنتوس: أنّ الأكل من الخبز والشرب والكأس في سر الأفخارستيا هما اشتراك فعلي في جسد ودم المسيح، حيث يقول: «كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دك المسيح؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح»، يقـــول ذهـــبي الفم: «أن عملية الاشتراك في ذبيحة المسيح قصدها الرب أن تكون كاملة جسدا ودما.. حتى تتم شركة كاملة في المسيح كذبيحة، في حياته وموته! وقد سبق الرب وأنذر أن كل مـــن لا يـــأكل جسد الرب ويشرب دمه لا تكون له حياة في ذاته، نحن ليس لنا حياة أبدية في ذواتنا، بل المسيح أعطانا حياته التي في جسده ودمه»[1].

6-يسفك "عن" (من أجل) كثيرين والآرامي "على" كثيرين:

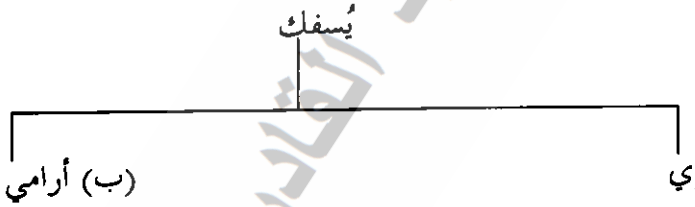

قـــول المسيح -بحسب الآباء- أن دمه يسفك "من أجل كثيرين" يكشف أنه يتكلم عن ذبيحة نفسه ثم يعطيها صفتها أنها "ذبيحة كفارية" "من أجل كثيرين" وهي "كهنوتية": مقدمة لله إذا فهي لها كل صفات المقدسات فالجسد مقدس والدم مقدس وكلاهما مقدم على مذبح[2] الله السمائي!

إذا فدم الكأس هو ذبيحة كفارية لمغفرة الخطايا التي هي سبب الموات والتطهير والتقديس وإعطاء "روح" الحياة الجديدة لانّ هذا هو عمل الدم ووظيفته في الذبيحة[3].

---

[1]-مق المسيحيين: أفخارستيا قداس الرسل الأول، ط1، ص61.

-ملاك لوقا: الأفخارستيا، ص69.

[2]-المذبح: في العهد الجديد يسوع هو مذبح الهيكل الجديد (عبرا 13: 10)، وفي الليتورجيا مائدة يقام عليها سر الأفخارستيا، والمذبح هو أقصد مكان في الكنيسة ويرمز إلى المسيح. معجم الإيمان المسيحي، ص447.

[3]-ملاك لوقا: الأفخارستيا، ص71.

7-وقول "الرب": «اشربوا منها كلكم» إشارة إلى هذا الشمول عبر كل العالم وكل الدهور[1].

8-وبارك وقال.. هذا هو العهد الجديد بدمي

كانت البركات في العهد القديم تدور حول الأرض المشتهاة، أرض فلسطين "الوفيرة الخيرات" بحسب صلوات "البراخوث" وحول مملكة بيت داود للتسلط على كل الأمم وإخضاع الشعوب، ولكن المسيح لم يذكر شيئا من هذه البركات في العهد الجديد، بل قال: بركته على الخبز والخمر فصارت جسد مكسور ودم مسفوك!

وصارت البركة[2] على أرض الموعد المشتهاة، بل في يسوع مشتهى كل الأمم الذي قدم جسده ودمه ذبيحة فيداء لأجل حياة العالم كلّه، إذا لقد صارت البركة لا في عهد يربط الإنسان بالأرض بل في عهد جديد (بالروح القدس) يربط الإنسان بالسماء.

إذا لقد صارت البركة لا في مملكة بيت داود للتسلط على كل الشعوب، بل في ملكوت الله لخلاص كل الشعوب.

وبحسب الإيمان الآبائي فبركات العهد الجديد التي فقدها الإنسان بسقوطه في العصيان هي «استعادة نور الله في وجه يسوع المسيح الذي أعطى جسده ودمه "عربون" التواجد الدائم مع الله في ملكوته»[3].

9-«اصنعوا هذا لذكري»:

إن فهم هذا النص الأفخارستي بليتورجياته عملا أو فعلا محققا لأمر المسيح، لأن هذه الوصية "اصنعوا هذا لذكري" جعلت للأفخارستيا، سر دينمومة وجوهر بقاء على مدى الدهور، وحضورا "للرب" -بحسب التعبير المسيحي- في كل حين.

---

[1]-الأنبا متاؤس: كيف نستفيد من القداس الإلهي، ط4، مطبعة دار الجيل الفحالة، مصر، 1993، ص149.

[2]-البركة: من معاني هذه الكلمة: أولا: الخبز الذي يقدمه المؤمنون ليستعمل في الذبيحة الإلهية ويسمى أيضا قربانا. ثانيا: خبز تلبت عليه البركة (وهي صلاة لاستنزال نعمة الله)، كان الأساقفة يرسلونه إلى بعضهم كشهادة صداقة واتحاد في الإيمان والمحبة. أما المعنى الثالث كما ورد في نصوص بولس (1كو 110: 16)، وعند آباء الكنيسة، أن البركة هي الأفخارستيا نفسها. معجم الإيمان المسيحي، ص102.

[3]-ملاك لوقا: الأفخارستيا، ص74. الأنبا متاؤس: كيف نستفيد من القداس الإلهي، ، ص151.

أما في العهد القديم فإن طقس ليتورجيا "الذكر" كان تلاوة أعمال الله وشكرا وتسبيحا معا تقوم به فرق اللاويين[1] والكهنة[2] «ويكون لك علامة على يدك وتذكارا بين عينيك لكي تكون شريعة الرب في فمك لأنه بيد قوية أخرجك الرب من مصر»[3].

وفي العهد الجديد "الذكرى" هو فصح المسيح "الحي" الذي يتلاقى معه المسيحيين كلما أكلوا من الجسد وشربوا من الدم الأقدسين، تلاقي تُحقّقُه الأفخارستيا عبر الموت والقيامة في خلاص مجدد ومستمر![4].

ويقول يوحنا ذهبي الفم «إن عبارة اصنعوا هذا لذكري: وصية من هو ذاهب ليموت ولكن الربّ قالها "فكانت"، والسماء والأرض تزولان "وذكر" المسيح الرب بالأفخارستيا لن يزول»[5].

وكل ذكر للمسيح بالأفخارستيا يقابله عدم ذكر للخطايا: إذا هو للفصح ومغفرة الخطايا كما وردت في نبوات العهد القديم: «أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد»[6].

كما أن كل "ذكر" المسيح بالأفخارستيا هو ليتورجيا شكر واعتراف وشركة[7] مع القديسين[8].

---

[1]-لاوي: هو عضو من أعضاء سبط لاوي (سبط في إسرائيل مكرس للعبادة يختار من صفوفه الكهنة ومساعدوهم لإقامة شعائر العبادة وخدمة هيكل الرب) المكرس للقيام بشعائر العبادة. معجم الإيمان المسيحي، ص414.

[2]-الكاهن: في العهد الجديد يحمل المسيح وحده لقب " كاهن"في شعب الله الجديد، وأعضاء جسده "المؤمنون به" يشتركون بالإيمان والمعمودية في كهنوته (والكهنوت هو خدمة العبادة...). المصدر نفسه، ص391-405.

[3]-خر 13: 9.

[4]-الأنبامتاؤس: كيف نستفيد من القداس الإلهي؟، ص152.

[5]-القمص تادرس يعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، ج4، ص258.

[6]-إر31: 34.

[7]-شركة (انظر مشاركة): في الكتاب المقدس هي الاشتراك في الحياة الإلهية والاتحاد بالآب في إبنه يسوع المسيح (1يو : 1-3). وفي الروح القدس (2 كو 13: 13)، وبولس يرى بأنها المشاركة في آلام المسيح.وفي العهد الجديد:العلاقات الأخوية بين المسيحين المبنية على اتحادهم المشترك مع الله في المسيح والروح القس (1يو 1- 3). وهو اشتراكهم في أفخارستيا واحدة حيث أن الكنيسة هي مشاركة في الإيمان والحياة الأسرارية. وأما "مشاركة القدسيين":« وهم المسحيين الذين قدستهم النعمة والأسرار». والأقداس: هي الخيرات الروحية أي الأسرار التي يهبها الله للبشر في المسيح إذا فالكنيسة هي مشاركة "القدسيين" في "الأقداس". معجم الإيمان المسيحي ص 462.

[8]-القمص تادرس يعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، ج4، ص 259.

10-«تُخبرون بموتي إلى أن أجيء»:

هـــذا يعني ذكر موت المسيح كحقيقة واقعة -بزعمهم- لها صلة وعلاقة صميمة بما هو آت، بمســـتقبل النهاية (Eschaton) التي بدأت بموت " الرب" والتي تكمل بانتهاء الكرازة بموته: **فالعهد الجديد بدأ بموت "الرب" ولا يبلغ غايته إلا بمجيء الرب!**

هذا المعنى -أي طلب مجيء الرب من داخل الأفخارستيا- تشرحه وتوضحه "الديداخي" وباختصـــار شـــديد نـــورد هـــذه الصلاة: بعد تقديس الخبز والخمر في (الفصل 10: 6 من الديداخي): « اذكر يا رب كنيستك، نجيها من كل شر وكملها في محبتك...لأن لك القوة والمجد إلى الأبد، ليست النعمة تأتي وليست هذا العالم ينتهي، خلصنا إله داود فمن كان طاهرا فليتقدم وإذا لم يكن أحدا كذلك فليتب "ماران آثا"[1]: تعالى أيها الربّ يسوع أمين...».

11-«ثمّ سبّحوا وخرجوا» (مر 14: 26)

التســـبيح[2] جزء "أساسي في ذبيحة الإفخارستيا، فبعد الشكر والتناول من كأس البركة الأخير، تبدأ التسبحة مباشرة وتشمل هذه التسبحة تلاوة المزامير، فبحسب التقليد أن المسيح كان يتقن حفظ المزامير وكان يتلوا المزمور -بحسبهم- والتلاميذ يجاوبون "هلليلويا"[3].

ثم بـــدأ التســـبيح يـــأخذ مـــن هـــذه المناسبة الفصحية في زمن المسيح طابعا أخرويا (إســـخاتولوجي) نـــبوي، ويتضح هذا من عناوين بعد هذه المزامير كما جاءت في "المدراش"[4] وتلمود أروشليم:

-عنوان تسبحة المزمور 113: 2 تسبيح الرب في الدهر الآتي.

---

[1]-"ماران أثا": كلمة آرامية معناها "تعال يا ربنا" وقد ظلت تقال "كما هي" باعتبارها من التعاليم السرية المستخدمة في الأفخارستيا استخداما قويا وحارا، فلم تترجم إلى معناها بالغات الأخرى حتى يظل معناها السري خاصا وهي من مقطعين: "ماران"أي ربنا أو سيدنا، "وأثا" أي تعال(من فعل أتى). متى المسكين، الأفخارستيا: عشاء الرب، ط3، ص 230.

[2]-التسبيح: هو الاعتراف والهتاف بعطف أو بعظمة إنسان آخر ولاسيما الله، معجم الإيمان المسيحي، ص 145.

[3]-هلليلويا: كلمة عبرية معناها "سبحوا لله" وهي هتاف استعملته الليتورجية اليهودية وتبنته جميع الطقوس المسيحية للتعبير عن الفرح والتسبيح، معجم الإيمان المسيحي، ص 526.

[4]-مدراش: كلمة عبرية تعني شرح الربانين للكتاب المقدس وهم يميلون إلى تأويل النص المقدس بحيث تستخلص منه تطبيقات عملية (كمدراش الخروج من مصر) ومعظم المداريش وضعت ما بين القرن السادس والثاني عر بعد الميلاد، معجم الإيمان المسيحي، ص 445-446.

-عنوان تسبحة المزمور 115 : 1 الآلام في أيام المسيّا

-عنوان تسبحة المزمور 116: 4 خلاص نفوس الأتقياء من جهن

-عنوان تسبحة المزمور 116: 9 قيامة الأموات ووليمة الدهر الآتي.

-عنوان تسبحة المزمور 118: 7 الدينونة الأخيرة.

-عنوان تسبحة المزمور 118: 27 الله نور أزمنة الخلاص.

لذلـــك تعتبر صلاة التسبحة[1] التي سبح بها المسيح مع التلاميذ -على أساس هذه المعاني المعروفة جدا أنذاك- كأنها صورة طبق الأصل من الواقع[2].

وهـــذا يعـــيدنا لأصل التقليد[3] -فبحسب المسحيين- أن المسيح بعد العشاء سبح بهذا المـــزمور وهـــتف[4] التلاميذ "بأوصنا" بأسلوب ليتورجي: هتاف الرجاء[5] الذي يحقق الخلاص بالأفخارستيا.

وبهـــذا يتضـــح لماذ حرص "الرب"[6] -في اعتقادهم وبحسب ألفاظهم- بأن يقيم طقس

---

[1]-التسبيحة: هي صلاة التسبيح.

[2]-تادرس يعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، ج4، ص 261.

-مينا جاد جرجس: واجبات وقوانين في القداس، ص 85.

[3]-التقليد: هو تناقل الإيمان وحياة الكنيسة وبالتالي تناقل صلب العقيدة المسيحية. والكاثوليك والأرثودكس يقولون بأن هذا التناقل بقي في جوهره سليما متواصلا بفضل عون الروح القدس الدائم للكنيسة أما كنائس الإصلاح فهي أيضا تطلق كلمة تقليد على ما وصلنا من آباء الكنيسة من مؤلفات ومواعظ وقرارات..

ولكن البروتستانت لا يجعلون للتقليد دخلا بأمور الإيمان الحاسمة بل يرون أن دور التقليد هو شرح وتطبيق الكتاب المقدس الذي هو وحده معصوم. معجم الإيمان المسيحي، ص 151. ومعجم اللاهوت الكتابي، ص 191.

[4]-هتاف: هي هتفات طقسية: صرخات فرح وتأيد تطلق في أثناء الليتورجية كـــآمين و"هليلويا". معجم الإيمان المسيحي. ص 525.

[5]-الرجاء: في الكتاب المقدس، نجد أن مفردات الرجاء العبرية هي نفسها مفردات الإيمان، والرجاء يشير إلى انتظار الخيرات الأخيرية الموعود بها. وعلى الصعيد اللاهوتي فالرجاء من أمهات الفضائل التي تجعل المسيحي ينظّم إلى الله لينال بعونه السعادة الموعود بها. كما أن الرجاء هو فضيلة "لدُنية"أي صادر عن عطية الله أو عن النعمة، معجم الإيمان المسيحي، ص 231-232 (بتصرف).

[6]-الرب: إن العهد الجديد يعترف ليسوع المسيح بما في لقب الرب من قيمة مزدوجة ملكية وإلهية، والكنيسة تستند إلى المزمور 110 لتعترف "بسيادة" يسوع الفصحية، وقد جلس عن يمين الله. وتهتف ليتورجيتها أنه نال من الأب الاسم الذي يفوق جميع الأسماء. معجم الإيمان المسيحي، ص230.

هذه التسبيحة" في ختم توزيع كأس البركة باعتبار أن "التسبحة" «هي جزء أساسي في سر العشاء وتأكيد الخلاص وتأكيد المجيء الثاني الذي هو جزء لا يتجزأ من سر أفخارستيا كمال كل الدهور»: [بمعنى الاشتراك في وليمة عرس الخروف (الوليمة الأبدية) [1] التي تكمُل بها كل الأزمنة والدهور] [2].

المطلب الخامس: ما هي اللغة التي قدس بها المسيح على سر العشاء الأخير آرامية كانت أم عبرية؟

إنّ الكلمات التي وردت في الأناجيل وبحسب أبحاث التراجم تقرر أن المسيح كان يتكلم بالآرامية والعبرية.

فمثلا عبارة "أبانا الذي في السماوات.. ترجع في أصولها إلى الآرمية:لأن فيها يُعبَّر عن الخطيئة بمفهوم الدَّيْن: حوبا "Hopa" بالآرامية في "اغفر لنا ما علينا"، وهو معنى آرامي وليس عبري.

في حين أن العّلامة دالمان "Dalmann" وبعد ترجمته لكل الأفخارستية إلى اللغة الآرامية يعتقد في نهاية أعماله أن البركة التي قالها الرب: (السيد) على الخبز والكأس يحتمل أنها بالعبرية، باعتبارها "لغة الأسرار" أو اللغة المقدسة "Linga Sacra" وهناك اصطلحات عديدة تثبت عبرية الألفاظ[3]:

1-شهوة اشتهيت: هنا إضافة المصدر للفعل للتأكيد هو أسلوب عبري محض لا تعرفه اللغة الآرامية.

2-كذلك الاصطلاحات "ملىء" و"يكمل" في ملكوت الله هي عبرانية محضة وغير معروفة في الآرامية لأن المقابل لـ"يكمل" بالآرامية هو "إتقيام" "Itkayyam" بمعنى "قيام الساعة".

---

[1]-الوليمة الأبدية: وردت في الكتاب المقدس للكناية عن الملكوت السماوي (ملكوت الله الذي نادى به المسيح). معجم الإيمان المسيحي، ص543.

[2]-تادرس يعقو ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، ص263.

[3]-Joachim Jeremias: Theologie dunoveau testament (la prédication de Jesus), traduction de: J.Azin et A.Leifooghe, Paris, Les éditions du cerf, 1975, P207.

3-أمّا كلمتا "جسدي" و"دمي" فهما متقاربتان في النطق في كل من العبرية والآرامية. فباللغة العبرية تنطق "زه بيصاري زه دامي" "Zeh Besari, Zeh dami".

وباللغة الآرامية تنطق "دن بيصري دن إدمي" "Den Bisri Den Idmi". .

وهكذا ملخص الأبحاث أن الألفاظ العادية قالها الرب بالآرامية (اللغة الدّارِجة) أما التقديس: أي البركة وشرح السر وكلمات العهد فقد قالها بالعبرية باعتبارها اللغة المقدسة.

ويقدّم العالم يواكيم إرميا "Joachim Jeremias" شهادة بعد أبحاثه الطويلة على كلمات الأفخارستيا في أصولها اليونانية[1] والعبرانية[2] والآرامية[3] فيقول: [نحن عندنا كل الأسباب لكي نقرر أن صميم التقليد الأفخارستي كما جاء في عشاء الرب بكل ما قاله الرب يسوع على العشاء الأخير قد حفظ كاملا ووصل إلينا بشكل يُعتمد عليه اعتمادا جوهريا][4].

---

(1)-اليونانية: هلنستية: وهي لغة يهود الشتات. وكتابية: اللغة التي كتب فيها العهد الجديد وبعض أسفار العهد القديم، وكانت اللغة الشائعة في محيط البحر المتوسط في عهد الرومان والمتأثرة بالآرامية. معجم الإيمان المسيحي، ص561.

(2)-العبرانية: لغة سامية غربية تكلمها بنو إسرائيل بعد الجلاء. حلت الأرامية محلها إلى حد بعيد، فقتصرت على العبادة... المصدر نفسه، ص321.

(3)-الآرامية: لغة سامية عمت بلاد ما بين النهرين وإيران، وظلت لغة فلسطين حتى في عهد المسيح، عرفت لهجات متعددة منها السريانية والكلدانية ومنها اللهجة التي تنطق بها حتى اليوم قرى جبل القلمون في سورية. المصدر نفسه، ص26.

(4)-Joachim Jeremias: Theologie dunoveau testament (la prédication de Jesus), P217.

المبحث الثاني: علاقة الأغابي بسر الأفخارستيا

المطلب الأول: كيف تمّ الانفصال بين الأفخارستيا والأغابي وتأثير ذلك على النص الأفخارستي

لقد استلمت الكنيسة من الرسل طقس "عشاء الرب" كاملا كوليمة محبة (أغابي) تبدأ وتنتهي بالسر المقدس (الإفخارستيا) أي تبدأ بسر كسر الخبز وتنتهي بسر كأس البركة، ويتخللها عشاء أو غذاء عادي من جميع الأطعمة والأشربة يشترك فيه جميع الحاضرين.

ولكن لم يدم هذا الطقس طويلا، حيث انفصلت في معظم الكنائس وليمة الأغابي كغذاء عادي عن الأفخارستيا، وذلك مبكرا جدا ربما قبل سنة 70م كما في كورنتوش (1كور 11: 20-22).

إن وليمة الأغابي بحسب الديداخي تجمع كل مقومات الشكر التقليدي، إلا أن خلو هذا الشكر من ذكر الجسد والدم وموت الرب كتذكار (وهو أساسي في مفهوم عشاء الرب السري) هذا كله يحتم بوضع هذه النصوص تحت طقس الأغابي وليس الإفخارستيا.

وقد جمعت الديداخي مقومات الشكر على الأغابي في فصليها التاسع والعاشر، والملاحظ أن وليمة الأغابي أو المحبة هي وليمة بركة وهي نفسها إفخارستيا، لأنها شكر. فمن كلمة "بركة" العبرية القديمة إلى أفخارستيا أو "أولوجيا" اليونانية، وقد تأتي بهذا المعنى أو ذاك ولا يفرق الاثنين إلا نوع الصلوات، أي التقديس[1] والاستدعاء[2]،[3].

-ويلاحظ أيضا أن بولس كان يستخدم كلمة "يشكر" باليونانية "إفخارستين" كفعل على الطعام العادي الذي يشترى من السوق، وفي نفس الوقت يستخدم كلمة "أولوجيا" في سر الجسد والدم، أما أصل الكلمتين في الليتورجيا العبرية فهي كلمة واحدة فقط "بيرك" "Berak"

---

[1]-التقديس: هو الحصول على الكمال الباطني بالاتحاد بالله عن طريق المحبة، والتقديس بالمعنى الحصري هو تحويل الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح الأقدسين. معجم الإيمان المسيحي، ص150-151.

[2]-الاستدعاء: Invocation/Epiclèce. عبارات يتهل بها إلى الله لكي يرسل الروح القدس إلى ما يقرب إليه من أسرار، ولا سيما الأفخارستيا والمتناولين. المصدر نفسه، ص35.

[3]-الأنبا متاؤس: كيف نستفيد من القداس الإلهي، ص149. ملاك لوقا: الأفخارستيا، ص91.

بمعنى "يبارك"[1].

-والحقيقة أن الديداخي تريد أن تحدد طقسين واضحين ومتميزين جدا عن بعضهما:

*فالأول بدون ليتورجيا وبعد أكلٍ وامتلاءٍ وعشاء (أغابي).

*والثاني بليتورجيا: (أي خدمة قراءة وتسبيح ووعظ) بعد اجتماع واعتراف ومصالحة وتطهير (أفخارستيا).

*الأول في أي يوم.

*والثاني في يوم الأحد.

كما أنّ الذي جعل الفصل بين نصوص الأغابي ونصوص الأفخارستيا شاقا ومربكا للعقل عند العلماء، هو اختلاط الاصطلاحات والتعبيرات بين الآغابي والأفخارستيا في العصور الأولى[2].

فكلمة "أفخارستيا" كانت تطلق على كلا الاثنين، وكذلك "طعام روحي" و"شراب روحي" كذلك اعتبار الأغابي والأفخارستيا معا ذبيحة مقدمة لله على مستوى الذبائح غير الدموية وخبز الوجوه[3].

وهكذا إذا أصبح الذي يفرق بين الأغابي والأفخارستيا ليس مجرد الاصطلاحات أو الصلوات، ولكن: القصد الأساسي في التقديم، والأشخاص المقدمين، ومكان التقديم، والاستعداد للتقديم، وحالة التقديم، ومادة التقديم ونظام التقديم[4]:

---

[1]-الأنبامتاؤس: كيف نستفيد من القداس الإلهي، ص151. بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ج2، ص57.

[2]-الأنبامتاؤس: المصدر نفسه، ص152. بنيامين باسيلي: المصدر نفسه، ج2، ص61.

[3]-خبز الوجوه: في العهد القديم: خبز لا يحل أكله إلا للكهنة على مائدة خاصة اسمها "مائدة خبز الوجوه" ساخن وحي دائما. قاموس الكتاب المقدس، ص107.

[4]-الانباء متاؤس: كيف نستفيد من القداس الإلهي؟، ص157.

الأغابي	الإفخارستيا
طعام كثير وأطباق	خبز وخمر ممزوج فقط
وليمة غذائية محدودة لأشخاص محدودين	وليمة روحية للشعب جميعه
يمكن أن يرأسها شماس أو رب الأسرة	لا يرأسها إلا رسول أو نبي أو أسقف أو كاهن
مكان خاص	مكان عام
لا يشترط في المتقدمين إلا العماد	يشترط العماد والصلح والاعتراف
لا يسبقها أي ليتورجية (خدمة روحية)	تسبقها ليتورجية مطولة وصلوات
مقدمة بدافع المحبة لتغذية الأحباء أو لترابط المحبين أو لتذكار الأحباء.	مقدمة لله كذبيحة وعن الشعب للخلاص.

– والملاحظ أنه بالرغم من أن تلاوة كلمات كثيرة على الخبز والخمر بصفة صيغة التأسيس بدأت تطمس معالم "الشكر" في حد ذاته، إلا أن مفهوم الشكر كان من القوة الكافية في القرن الثاني حتى صبغ كل الطقس على اسمه: "الافخارستيا".

–كما ينبغي أن نوضح أن بقايا صلوات الشكر (الأغابي) المقحمة داخل الاستدعاء وإن كانت قد زحمتها عبارات طلب تقديس الخبز والخمر، إلا أنها تشير إلى أنها بقايا طقس مختصر قديم[1]. (وهو طقس الأغابي).

المطلب الثاني: ملخص تاريخ الأغابي والمراحل التي عبرت عليها

1–بنهاية القرن الأول توقفت الأغابي عن أن تكون أفخارستيا، والأفخارستيا عن أن تكون أغابي، أي لم يمارس طقس العشاء السري بوضعه الذي أكمله المسيح في معظم كنائس العالم، وفي بعضها بدأ مبكرا جدا كما في كورنيتوس سنة 70م.

2–منذ أول أفخارستيا أقامها الرسل وسط الشعب، والأغابي تأخذ وضعا منفصلا في نفس الوليمة، إما في البداية أو النهاية (أغابي– أفخارستيا).

3–بنهاية القرن الثاني سنة 200م، كانت كلمة "أغابي" قد أصبحت اصطلاحا كنسي

[1]–الانباء متاؤس: كيف نستفيد من القداس الإلهي؟، ص157.

يعبر عن وليمة "عشاء الرب"، منفصلا تماما عن سر الأفخارستيا. وظهر هذا في كتبات ترتليان[1] في الغـــرب، وكليمـــندس الإسكندري[2] في الشرق، كما أخذت الأفخارستيا وضعها الكنسي كاصطلاح طقسي ليتورجي يحمل معنى ومضمون العهد الجديد لجسد ودم الرب تقيمه الكنيسة منفصلا عن "عشاء الرب".

4-أول ذكر "للأفخارستيا" كطقس كنسي منفرد بذاته جاء في كتابات أغناطيوس الذي استشهد سنة 110م، حينما أوصى أهل سميرنا (أزمير الآن) بتحديد قانوني (**أن لا أفخارستيا ولا أغـــابي تقـــام بـــدون الأسقف**)، وبذلك حدد وجود طقسين متماثلين في الكنيسة حيث تظهر "الأغـــابي" -كمـــا قلنا سابقا- طقس كنسيا هاما لا يقل في أهميته الطقسية من الأفخارستيا من حيث التدبير الكنسي على الأقل.

ولكن لا يمكن أن يكون القديس أغناطيوس هو الذي حدد وقطع في هذا الأمر، فالطقس يـــبدو مـــن كلام أغناطيوس الأنطاكي أنه كان مستقرا على هذا الوضع منذ زمن بعيد: أي أن الأغابي كانت طقسا قائما بذاته قبل سنة 100م.

5-أول صورة لمحاولة فصل الأغابي عن الأفخارستيا تظهر في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنيتس سنة 54م.

6-أول تاريخ لانفصال الأفخارستيا عن الأغابي انفصالا كاملا يعتبر هو نفسه أول تاريخ لتحديد شكل الأفخارستيا واسمها، حيث تختصر الليتورجيا إلى الأفعال الأربعة الرئيسية التي سبق أن وصفناها.

وهذا التاريخ يبدأ منذ رسالة كورنيتوس الأولى أي من منتصف القرن الأول ويستمر في الظهور حتى يبدو قويا واضحا في نهاية القرن الثاني.

---

[1]-ترتليان: من الكتاب المسحيين من القرن الثاني، من مؤلفاته: الدفاع عن الإيمان المسيحي، ردا على اليهود، قيل أنه ولد سنة 160م في قرطاجة واهتدى إلى المسيحية، يحتل مكانة مرموقة في تاريخ علم اللاهوت، ولا سيما في لاهوت التالوت والمسيحانية. E.Royston Pike: Dictionnaire des religions, P115.

[2]-كليمندس الإسكندري: يرجح أنه ولد في اليونان حوالي 150م، واهتدى إلى الدين المسيحي، فجاء إلى الإسكندرية وأكمل فيها تعليمه، مات في قبدوقية (منطقة من المناطق الوسطى في آسيا الصغرى، كانت مركز حياة مسيحية نشطة في القرنين الثالث والرابع). ولا يعرف تاريخ وفاته. بيّن في أهم مؤلفاته كيف أن الفلسفة اليونانية مهدت السبيل بعناية الله - لنفسه- إلى المسيحية. معجم الإيمان المسيحي، ص55.

7-انفصال الإفخارستيا عن الأغابي بدا عملا لازما وحتميا بين الأمم[1] وخصوصا بلاد اليونان منذ أول يوم سنة 40-60م بسبب العادات الوثنية التي كانت تشمل موائد مشابهة وكانت تجري فيها أعمال انحلالية، بعكس اليهود الذين كانوا قد نشأوا على اعتبار أن كل أكل وكل شرب هو عمل مقدس ينبغي أن لا يقترب إليه إلابأيد مغسولة، كناية عن التطهير، ولا يبدأ الأكل والشرب إلا بصلوات كثيرة ولا يختم إلا بالشكر.

8-إن فصل الأفخارستيا عن الأغابي كانت عملية حساسة جدا ودقيقة للغاية بسبب ضرورة فصل"التقليد السرائري"عن بقية العشاء غير السرائري، فالأفخارستيا تبدأ بجزء مشترك نوعا ما مع الأغابي أيضا وهو كسر الخبز، ثم تنتهي بالشكر على الكأس، حيث الشكر يشمل الشكر على الوليمة كلها، فهو شكر على الطعام وعلى الأمور الروحية معا.

لذلك لزم فصل شكر الإفخارستيا عن شكر الأغابي، هذا العمل الطقسي السرائري الذي صار أساسا لسر الأفخارستيا التزم أن يقوم به الرسل أنفسهم مع بولس في بداية كرازتهم، أي لا يمكن أن يكون قد تأخر عن سنة 70م.

9-أما تحديد شكل الأفخارستيا بالأفعال الأربعة الرئيسية فقُبِل قبولا شاملا بلا معارضة في كافة الكنائس في كافة بقاع الأرض، مما يدل على أنه تم جماعيا بسلطان الرسل وقوانينهم المعروفة باسمهم.

10-عندما بدأ مرقس ومتى يكتبان إنجيليهما (65-80م) كانت الأغابي قد انفصلت عن الأفخارستيا في ممارسة الكنيسة حسب الطقس الكنسي المستقر وقتها، لذلك اكتفى كل منهما بتسجيل ما تم وقت عشاء الرب في حدود سر الأفخارستيا فقط (وفيما هم يأكلون أخذ ياسوع خبزا وبارك وكسر وأعطاهم...)، هنا قوله «وفيما هم يأكلون» إشارة عابرة للأغابي لم يذكر شيئا عنها أو كيف بدأت.

كذلك حينما بدأ لوقا يكتب إنجيله، ذكر ضمنا كأس الأغابي الذي يؤخذ قبل كسر الخبز ولكنه أوضح أنه ليس هو كأس البركة (كأس الأفخارستيا)، إذ عاد فذكر كسر الخبز بعد

---

[1]-الأمم: يدل هذا اللفظ في الكتاب المقدس على الشعوب الوثنية (خلافا لإسرائيل الشعب المختار)، فقد حلت شمولية العهد الجديد محل خصوصية العهد القديم.. حيث أوصى المسيح بإعلان البشارة لجميع الأمم (متى 28: 19)، وأصبح شعب الله مأخوذا من الأمم (رسل 12/15).

ذلـــك ثم كأس البركة التي أدخلها " الرب" في دائرة السر الإلهي، بأن جعلها كأس العهد الجديد بدمه، والملاحظ أنه لم يكن تركيز من الإنجيليين على الأغابي، والأمر الخطير الذي يجدر التنبيه إليه هـــو أن كأس الأغابي المشار إليها في لوقا إنما هي كأس الماء (التي سيأتي تفصيل عنها في الفصل الأخير).

11-أول ذكر لكلمة أفخارستيا، مع تحديد واضح لطقس ليتورجيتها وترتيبها ونظامها يأتيـــنا من كليمندس الروماني[1] (92-101م)، كممثل لكنيسة روما وثالث أسقف لها، وهو المعـــروف أنه رأى الرسل والقدسين وتشاور معهم، وهو الذي يقول في رسالته إلى كورنيتس: «ليس كل واحد منكم، أيها الإخوة يقدم الأفخارستيا لله كلا في طقسه»[2].

المطلب الثالث: المراحل التي مرت بها الأفخارستيا حتى استقلت تماما عن الأغابي

1-بحســـب الديداخي تنفصل الأغابي وتصير عشاء مستقلا تماما، ولكنها تبقى متلازمة لسر الأفخارستيا من حيث المكان (في البيوت) والزمان (في المساء فقط) وذلك ليبقى هذا الترابط معا على مفهوم وروح (العشاء السري) كعشاء محبة وسر مقدس.

2-انفصال الأغابي لم يفقدها صفاتها الأصلية كوليمة روحية تؤكل للملء والشبع ولكن في حضـــرة الرب -بحسب تعبيرهم-، حيث الطعام كله يُحسب طعاماً روحيا بجواز أنه جسدي، وكذلك الخبز، وذلك بسبب الصلاة على الأكل ثم الشكر عليها، غير أن الخبز والخمر في الأغابي لا يرتقيان إلى وضع التقديس، بمعنى أنهما لا يصيران جسد ودم المسيح.

3-انفصال الأغابي بمفردها واقتصار بعض الحاضرين على الأكل منها حتى النهاية بدون الاشتراك في سر الأفخارستيا اللاحق عليها، أرغم الطقس على أن يُستحدث فيه:

أ-صـــلاة لكســـر الخـــبز "خاصة" غير صلاة التقديس السري الأصلية التي انتقلت إلى الأفخارستيا.

---

[1]-كليمندس الروماني: بابا روما من (90-100م) على وجه التقريب، صاحب رسالة إلى أهل كورنيتس كتبها في حوالي 96م، ليضع حدا للانشقاقات في جماعة كورنيتش المسيحية.

E.Royston Pike: Dictionnaire des religions, P86.

[2]-ملاك لوقا: الأفخارستيا، ص94. تادرس يعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، ج4، ص275. متى المسكين: الأفخارستيا، ط3، ص370.

ب-صلاة شكر خاصة تتناسب مع وليمة الأغابي عوض صلاة الأفخارستيا الرسمية السرية التي كانت تقال على العشاء السري كله في النهاية.

جـــ-هكذا أصبح عشاء الرب السري مكونا من فترتين زمنيتين، كل واحدة بطعامها وطقسها: الأولى عادية مع احتفاظها بالمعالم الروحية للعشاء، والثانية سرية وعلى أعلى ما تكون الســـرية. في الأولى يكـــون الأكـــل والشرب "بالمحبة" في حضرة "الرب" والثانية يكون الأكل والشرب "بالسر" من جسد المسيح المقدس ودمه الكريم -بحسب اعتقادهم وتعبيرهم-[1].

[1]-ملاك لوقا: الأفخارستيا، ص95. تادرس يعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، ج4، ص275. متى المسكين: الأفخارستيا، ط3، ص371-372.

المبحث الثالث: صورة الأفخارستيا في القرن الأول والثاني في الكنيسة

أولا: تمهيد

الشـــيء المؤكـــد أن الآباء لم يقتربوا من الأفخارستيا بطريقة عقلية تحليلية، وإنما اقتربوا بحياتهم وقلوبهم بفهم وتقوى خلاصي[1] -بحسب الإيمان الأبائي-.

فالأفخارستيا عند الأباء هي "سر"، سر التقوى[2]، هكذا كان تعليمهم عن الافخارستيا، لم يكن تعليما عقليا مجردا في فراغ، وإنما تعليما روحيا داخل نطاق خبرة الحياة المسيحية. لم يسأل الآباء: كيف يتم تحول الخبز والخمر إلى جسد ودم يسوع المسيح، وإنما كان سؤالهم: لماذا يتم هذا التحول؟ وكانت الإجابة عندهم واضحة: إن هذا التحول يتم لأجل التقديس للنفوس واتحادها، وبهذا الآباء على الجانب الروحي لممارسة سر الأفخارستيا، بمعنى أن التحول أمر خلاصي -وليس أمـــرا ســـحريا- (بحســـب اعـــتقادهم طبعا)، بحيث أن الاتحاد بالفادي من خلال "التناول"يغير حياتهم...

المطلب الأول: الأفخارستيا في الديداخي

-الديداخة سنة (80-100م)، تعتبر الديداخية أهم وثيقة من عصر ما بعد الرسل، وهي أقـــدم مصـــدر للقانون الكنسي، يعود تاريخها إلى ما قبل سنة 100م، وكانت هذه الوثيقة غير معـــروفة حـــتى سنة 1883م، حتى قام بنشرها مطران نيقوميدية اليوناني "فيلوثيؤس بينيوس" في بطريركية أورشليم، ومنذ ذلك الحين أغنت هذه الوثيقة وعمقت بطريقة مدهشة معرفة الكنيسة الأولى[3].

-وما زال الدارسون منكبين على محتوياتها الثمينة، وما زالت هذه الوثيقة الصغيرة مصدر إلهام واستنارة لكل الدارسين.

-تنقسم هذه الوثيقة إلى 16 فصلا، الفصول من 1 إلى 10 تحتوي وصايا خاصة بالحياة

---

[1]-تادرس يعقوب ملطي: أقوال الأباء وكتاباتهم، ج4، ص298.

[2]-سر التقوى: ما لا يدك بالحواس بل بالإيمان، وهو السيد المسيح نفسه. وسر الإيمان: هو سر الخلاص وهو قلب الوحي والمعتقد المسيحي (1 تيماطاوس 3: 9). معجم الإيمان المسيحي، ص260.

[3]-بنيامين باسيلي: الأفخارستيا الجذور الكتابية والآبائية، ص81-83.

الليتورجية والفصول من 11 إلى 16 تشتمل على وصايا وقوانين روحية.

-أهم الفصول التي تعنينا هنا هي الفصول (9 و10) فيما يتعلق بسر الأفخارستيا، حيث أنها تحتوي على أقدم صلاة أفخارستية مسجلة على الإطلاق.

-سنعرض أهم المقاطع الخاصة بسر الأفخارستيا كما جاءت في هذه الوثيقة الهامة.

"أما عن سر الشكر (الأفخارستيا) فاشكروا هكذا":

*أولا عـــلى الكأس: «نشكرك يا أبانا لأجل الكرمة المقدسة... والتي أعلنتها لنا وعرفتنا بابنك يسوع المسيح لك المجد إلى كل الظهور».

*وبخصـــوص الخـــبز: «نشكرك يا أبانا من أجل الحياة والمعرفة.. وكما كان هذا الخبز المكسور مبعثر عل الهضاب ثم جمع وصار خبزة واحدة، هكذا فالتجمع كنيستك من كل أطراف المسكونة إلى ملكوتك.. بيسوع المسيح إلى كل الدهور» (الفصل التاسع).

ومن الفصل العاشر: «أعطيت الطعام والشراب لبني البشر، لتتمتع لكي يشكروك ولكن أعطيت لنا طعاما روحيا وشرابا روحيا للحياة الأبدية ليسوع المسيح ابنك، لأجل ذلك نشكرك، أنت ضابط الكل، لك المجد إلى كمال الظهور».

-كذلك أتت بعض الأجزاء الخاصة بالاحتفال بالأفخارستيا في موضع آخر من الديداخية هكذا.

«أمـــا يـــوم الرب الذي هو يوم الأحد، فهو للرب وحده، اجتمعوا فيه لتكسروا الخبز وتحتفلوا بالأفخارستيا، بعدما تعترفون بخطاياكم أولا، لتكون ذبيحتكم طاهرة لا تسمحوا لمن هو على خلاف مع أخيه أن يشترك معكم حتى يتصالحا معا، كي لا تتنجس ذبيحتكم..» [1].

ونلاحظ في نصوص الديداخية مايلي:

-ارتباط الاحتفال بالأفخارستيا بيوم الرب "يوم الأحد".

-الاحتفال بالأفخارستيا هو الذي يُميَز بالاجتماع العام للكنيسة.

-لا بد أن يسبق الاشتراك في الأفخارستيا الاعتراف بالخطية.

---

[1] -ملاحي 1: 11 14.

-لا يمكن الاشتراك في الأفخارستيا إلا بعد المصالحة وتجديد المحبة.

-كما نلاحظ هنا الإشارة إلى الأفخارستيا على أنها "ذبيحة" (θυσία αἰνέσεως ٢٤).

-تدعى الأفخارستيا وبكل وضوح: طعاما روحيا وشرابا روحيا. (الفصل العاشر)

-نلاحظ حفاظ الكنيسة على أصالة التقليد بتعليمها للمسيحيين أن يتمموا سر التوبة والاعتراف قبل أن يتقدم أحد للتناول، وأن لا يكون في خلاف مع أحد آخر، وهذا ما يذكره الشماس في قوله (قبلوا بعضكم بقبلة[1] مقدسة)، وهي قبلة المصالحة[2].

والديداخي، مكتوبة لتكون كتابا لإرشاد الشعب خاصة، وذلك عن كيفية العبادة وما يلتزم أن يقوم به ولكن لا توجه فيه تعليمات للإكليروس[3] أو المسؤولين عن الصلوات، لذلك تكتفي الديداخي في ترتيب طقس الأفخارستيا بإعطاء الإرشادات التي من اختصاص الشعب فقط، ونلخصها كالآتي:

-ارتباط الأفخارستيا بـ"يوم الرب".

-ارتباط الأفخارستيا بالاجتماع العام (الاجتماع الكنسي).

-الاعتراف بالخطايا.

-مصالحة كاملة قبل التناول[4].

أما طقس الديداخي من جهة شرحها للأفخارستيا فهو كالآتي: تنبه ذهن الشعب إلى أن:

1-الذبيحة طاهرة ولكن للأطهار فقط (الذين يعترفون بخطاياهم ويكونون في مصالحة مع جميع الناس).

---

(1)-القبلة المقدسة: في الليتورجيا هي عدة قبلات، منها تقبيل المذبح وتقبيل كتاب الإنجيل، وهناك قبلة السلام، وهي معانقة أو مصافحة يتبادلها المحتفل بالذبيحة الإلهية وسائر معاونيه، وكافة الحاضرين، دلالة على الاتحاد الأخوي والتصافح (متى 5: 23 - 24) قبل الاشتراك في سر القربان. معجم الإيمان المسيحي، ص371.

(2)-ملاك لوقا: الأفخارستيا، أنبا متاؤس القداس الإلهي، مطبعة دار الجيل الفحالة، مصر، القاهرة، 1993، ص231.

(3)-الإكليروس: مجموعة الإكليريكيين أي غير العلمانيين، وهناك الإكليروس القانوني الذي أعضاءه رهبان، والإكليروس العلماني الذي لا ينتمي إلى مؤسسة رهبانية.

والإكليريكي: هو من اختار المهنة الكنسية واضطلع بخدمة من خدمات الكنيسة.

راهب: عضو جمعية يرتبط أعضاءها بنذور الفقر والطاعة والعفة. معجم الإيمان المسيحي، ص57، 229.

(4)-بنسامين باسيني: الأفخارستيا الجذور الكتابية والآبائية، ص87.

2-تقـــام يـــوم "الـــرب"، والـــذي دعي "يوم الرب" خاصة بسبب هذه الأفخارستيا "كيرياكين كيريو"[1].

3-الاعتراف قبل الإفخارستيا حتمي بالنسبة للمتناولين من الذبيحة.

4-الصلح[2] قبل إقامة الأفخارستيا أمر حتمي ويقع تحت مسؤولية مباشرة من الكنيسة كلها.

5-كســـر الخـــبز قـــبل كأس الأفخارستيا وهذا عكس ما ورد في فصلي 9 و10 عن الأغابي، فهنا إفخارستية واضحة ومجيء "كسر الخبز" قبل كأس الشكر" يوضح اختلاف ما ورد هنا عما ورد في فصلي 9 و10 تماما[3].

والجديـــر بالملاحظة أن الحدود الفاصلة بين وليمة الأغابي وطقس الأفخارستيا في حالة تتباعهما معا في نفس المكان والزمان هي مذكورة بكل عناية ووضوح، إذ في نهاية وليمة الأغابي -بحســـب الديداخي- «حينما يمتلئوا الآكلون ويشبعون ويقدمون صلاة شكر على الأكل الذي أكلوه»، وهنا الحدود النهائية للأغابي، حيث تختم الديداخي بضرورة الاعتراف بالخطايا قبل إقامة الأفخارستيا، الأمر الذي أغفلته نهائيا في حالة وليمة الأغابي في الفصلين 9 و10.

-وتنبه الديداخي إلى أمر هام وخطير، هو أن ذبيحة الأفخارستيا طاهرة "للأطهار فقط": أي أن كـــل مـــن اعترف بخطاياه وغفرت له وتطهر ضميره، تصبح الأفخارستيا له طاهرة، أي للـــتقديس والتطهير، وإلا تكون الأفخارستيا للدينونة والضعف والمرض، بل وللموت كما يقول بولس[4].

-كمـــا تجذر الإشارة أيضا إلى أن الديداخي تعطينا ترتيبا آخر لأفخارستيا بدون أغابي. تحددها زمانا ومكانا عن وليمة الأغابي، فهي تحدد لها يوم الأحد، وتمعن في تحديد يوم الأحد

---

[1]-كيرياكين كيريو: "الرب": Kyrios ، بمعنى يوم الرب.

[2]-صلح أو مصالحة: في الكتاب المقدس إعادة علاقات الصداقة بين الله والإنسان، بعد أن تقطعها الخطيئة وكان ذلك يتم بالذبائح وبصلاة التشفع التي يرفعها أصفياء الله. وفي العهد الجديد، يطلق بولس اسم المصالحة على عمل يسوع الخلاصي (2كو 5: 16). معجم الإيمان المسيحي، ص466.

[3]-ملاك لوقا: الأفخارستيا، ص103-107. البابا شنودا الثالث: حول سر الأفخارستيا، ط2، الكلية الإكليريكية بالعباسية، القاهرة، 205، ص41.

[4]-بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ص95.

لا يكون مجرد اسم فقط: لأن يوم الأحد[1] اسمه "كيرياكي" أي "يوم الرب" إذ تقول الديداخي: «يوم (الأحد) الذي للربّ خاصة »، أي أنه مخصص للعبادة في الكنيسة ولإقامة الأفخارستيا[2].

المطلب الثاني: الأفخارستيا عند الآباء الرسوليين: "أغناطيوس الأنطاكي نموذجا: L'eucharistie chez les péres Apostoliques

إنّ الآباء الرسوليين هم بعض الكتاب المسيحيين -المعروف منهم وغير المعروف- الذين كانوا أو زعموا أنهم كانوا على علاقة بالرسل أنفسهم.

والرسل هم تلاميذ المسيح من الجيل الأول الذي اختارهم يسوع (متى 10: 2) ليكونوا شهوده لدى العالم (رسل 1: 8)، ولا سيما شهود قيمته (رسل 1: 22)، ومعلني بشارته (متى 28: 19)، وبعد خيانة يهوذا الاسخريوطي ضُمّ متّيا إلى مجموعة الرسل (رسل 1: 26)، وفيما بعد -لم يُضمّ بولس إليها- لكنه "أعلن نفسه" رسول المسيح (رم 1: 1) بحكم رسالة تسلمها مباشرة من الرب القائم من الموت (غلا 1: 16) أرسله بها إلى الوثنيين (رسل 26: 17).

ولما كان أغناطيوس الانطاكي، الملقب بـ"ثيوفورس" -أي حامل الله-، وكاتب السبع رسائل المشهورة والتي أهمها رسالتيه إلى كنيسة روما وبوليقربس، محبّا بشكل عجيب لطقس وصلوات الأفخارستيا، حتى أنه كان يُفكّر في طريقة استشهاده بشكل أفخارستي، فيقول: « أنا حنطة الله، أُطحن تحت أنياب الوحوش لأصير خبزا نقيا للمسيح»[3]، وقد حكم عليه بالموت أيام حكم تراجان[4] (98-117م)، وقد سار رحلة طويلة من سورية إلى روما حيث ألقي للوحوش فنال إكليل الشهادة[5]، سنة 110م.

---

[1]-يوم الأحد: هو يوم الرب، واليوم الأول من الأسبوع وهو التذكار الأسبوعي لقيامة المسيح. ذكره بولس (1كور 16: 2)، يتميز "يوم الأحد" بالأساس بالاحتفال بسر الأفخارستيا، وتفرض الكنيسة الاشتراك فيه على كل مسيحي. معجم الإيمان المسيحي، ص20.

[2]-البابا شنودة الثالث: حول سر الأفخارستيا، ص47.

[3]-الرسالة إلى كنيسة رومية 4: 1.

[4]-تراجان Trajan (98-117م): امبراطور روماني من أصل إسباني، عرف بالحكمة وازدهر في حكمه الأدب اللاتيني. Dictionnaire encyclopédique Quille, Corpus, S.Z, P4786. Larousse du Xx^eme siècle, T6, P67.]

[5]-إكليل الشهادة: هي دائرة توضع على الرأس، كانت تكرم قبل ذلك في أورشليم بصفتها الإكليل الذي وضعه الجنود سخرية على رأس المسيح (متى 27: 29). معجم الإيمان المسيحي، ص58. والمعنى في النص: أنه استشهد في سبيل إيمانه وتمسكه بالمسيح.

وبصـــفته ثاني أسقف بعد القديس بطرس[1] على أنطاكيا[2] عاش في أواخر القرن الأول وكـــان تلميذا لـــ"يوحنا الحبيب"، لكل هذه الأسباب ارتأينا أن نتخذه نموذجا للآباء الرسوليين (Les pères Apostoliques) في فكره عن الأفخارستيا..

إذا لنتعرف على إيمان الكنيسة في سر الأفخارستيا كما عبر عنه أغناطيوس الأنطاكي في رسائله:

-رســـائل القديـــس أغناطـــيوس (30-107م)، **تحوي بعض نصوص واصطلاحات افخارستية تعطينا صورة لممارسة الأفخارستيا في أوائل القرن الثاني:**

أ-نلاحـــظ أن القديـــس أغناطـــيوس **هو أول من أشار إلى "عشاء الرب السري" بكلمة "أفخارستيا"، ذات كأس للشركة في الدم بصورة واضحة ومستمرة، وقد أوضح أنها هي المعروفة** "بكسر الخبز"، محاولين بذلك قطع خط الرجعة على العلماء الذين طالما تشككوا في أن اصطلاح "كســـر الخبز" كان يعني ممارسة سر العشاء بدون خمر، فيقول: «"إن السر" كان يسمى "كسر الخـــبز" عـــندما كان يبتدئ "بكسر الخبز"، فلما انتقل كسر الخبز بعد صلاة الأفخارستيا على الكـــأس وتصدرت الأفخارستيا السر صار يسمى "سر الأفخارستيا"» (ولنا في تفنيد هذا الرأي أدلة في الفصل الأخير).

ب-كذلـــك **فإن أغناطيوس هو أول من أكد بشدة على حتمية "الأفخارستيا الواحدة"، أي لا تكـــرر في يـــوم تقديمها بالنسبة لمقدمها وهو الأسقف، أو بالنسبة للمتناولين منها، وذلك إشارة إلى وحدة الجسد (الخبزة الواحدة والكأس الواحد)، والمسيح الواحد (الذي يمثله الأسقف) والمذبح الواحد (المؤمنين).**

جـــ-**الأفخارستيا لا يمكن أن يقيمها أحد إلا الأسقف أو من يعينه الأسقف.**

---

(1)-بطرس: كلمة يونانية يقابلها بالعربية "صخر"، ورد اسمه في رأس لوائح الاثني عشر (مر 3:16) مع أنه كان ثالث اثنين دعاهم يسوع، كان بطرس صيادا في كفر ناحوم، شأن أخيه أندراوس، وكان من المقربين عند يسوع وبعد القيامة، اتخذ بطرس مبادرات هامة مختلفة (رسل 1: 21-22)، ويقال أنه أتى إلى روما وصلب فيها حوالي 64م، له رسالتان. معجم إيمان المسيحي، ص108-109.

(2)-أنطاكية: مدينة سورية شهيرة، انتمت كنيستها إلى بطرس وبولس، وكان أغناطيوس من أوائل خلفائها في مطلع القرن الثاني، كانت أنطاكية مقرا لعدة مجامع، أشهرها سنة 324م، الذي استنكر الأريوسية الناشئة وكانت مدرسة أنطاكية حركة فكرية من أشهر الذين انتموا إليها القديس يوحنا ذهبي الفم، وأبوليناريوس وغيرهم. قاموس الكتاب المقدس، ص97.

د-الأفخارستيا هو خدمة عامة يشترك فيها كل الشعب، وفيها تصلي الكنيسة بأكملها.

هـ-المؤمنون المجتمعون مع الأسقف في الأفخارستيا يكونون "مذبحا" مقدسا روحيا.

و-إن كل الذبائح الروحانية في الكنيسة تتمركز في الأفخارستيا، والأفخارستيا هي وليمة عيد بالشركة في جسد المسيح وذمه[1].

إذن هكذا تظهر في شهادة هذا الأب الذي يعتبر من أهم الرعاة[2]، في عصر ما بعد الرسل، الأهمية القصوى لسر الأفخارستيا، باعتبارها عمل الكنيسة الأساسي، ومصدر القوة ضد الشيطان، عليها ترتكز وحدة الكنيسة وهي دواء الخلود «...تكسرون الخبزة الواحدة التي هي دواء الخلود، تقدمة معدة لنا، تحفظنا من الموت وتؤمن لنا الحياة الدائمة في المسيح»[3] (الرسالة إلى أفسس 20).

إن القديس أغناطيوس يعبر عن تقوى أفخارستية عالية جدا حينا يخاطب أهل رومية قائلا: «اجتهدوا إذا أن تحتفلوا بافخارستيا واحدة لأنه يوجد جسد واحد لربنا يسوع المسيح وكأس واحدة توحدنا بدمه ومذبح واحد».

-والأفخارستيا عند أغناطيوس هي مركز حياة الكنيسة ونظامها، إنها مصدر الوحدانية والشركة، إنها خبز الله، جسد ودم يسوع المسيح.

-هي الاتحاد بالحب غير الفاسد وبالحياة الأبدية، فالأفخارستيا تؤثر في علاقة الإنسان بالمسيح وبإخوته، وتنبع منها كل الفضائل والبركات.

والملاحظ تطابق أقوال القديس إغناطيوس مع تعاليم الديداخية بخصوص سر الأفخارستيا، حيث أن:

-الاجتماع الأفخارستي هو الاجتماع الأساسي العام للكنيسة، للصلاة والتعليم.

-ارتباط الأفخارستيا بيوم الرب (يوم الأحد) الذي هو عند الآباء اليوم الثامن، يوم الحياة

---

[1]-متى المسكين: الأفخارستيا عشاء الرب، ص403-404.

[2]-الرعاة: جمع راع: هو الخادم المكلف بإعلان وإقامة العبادة والأسرار، شبه الله نفسه في العهد القديم، وشبه المسيح نفسه في الإنجيل بالراعي. (تك 49: 24). وأما الراعي الصالح "فهو لقب من ألقاب المسيح". معجم الإيمان المسيحي، ص228.

[3]-بن يامين باسيلي: الأفخارستيا: الجذور الكتابية والآبائية، ج2، ص101-103.

الجديدة، يوم استعلان موت الرب وقيامته، وهو ما يتحقق فعلا أثناء الاحتفال بسر الأفخارستيا.. إن الأفخارستيا هي ذكرا موت وقيامة الرب[1].

المطلب الثالث: الأفخارستيا عند الآباء المدافعين: يوستين الشهيد نموذجا
L'eucharistie chez les péres Apologistes

ظهر في القرن الثاني كُتّاب مسيحيين أرادوا أن يُوفّروا للمسيحيين إمكانية الشّهادة لإيمانهم على غير طريق الاستشهاد. وتمثّلَ عمل هؤلاء الآباء في الدفاع عن الإيمان المسيحي، وقد كان في آن واحد مرافعة من أجل المسيحيين المضطهدين وجدال انتقادي مع الوثنيين واليهود، وعرض للإيمان من أجل المدعوين إلى الاهتداء، ومشهد للحياة المسيحية في حقيقتها. وهذا العمل يشكل لا دفاعا عن الدين المسيحي فقط، بل أدبا للنشاط الإرسالي[2] في القرن الثاني[3].

وقد اخترنا من بين هؤلاء الآباء المدافعين القديس "يوستنوس"[4]، لأنّ دفاعه يعتبر أول وصف لإيمان وممارسة كنيسة روما لسر الأفخارستيا، وتعدّ شهادته عن الأفخارستيا في غاية الأهمية بسبب خلفيته الثقافية [حيث أنشأ على عهد الأميراطور أنطونينس مدرسة للتعليم المسيحي، وله مؤلفات عديدة في الجدل مع اليهود من أهمها: "الحوار مع تريفون"]، وإلمامه الواسع بأحوال العالم في زمانه، من فلسطين إلى روما مرورا بأفسس[5].

قدم يوستين الكثير في دفاعه الأول -الذي يعتبر شرحا للإيمان والعبادة المسيحية-، وفي حواره مع تريفون فيما يتعلق بالأفخارستيا مما له قيمة كبيرة جدا بخصوص إيمان الكنيسة الأولى وممارستها.

---

[1]-بن يامين باسيلي: الأفخارستيا: الجذور الكتابية والآبائية، ج2، ص105.

[2]-نشاط إرسالي: مبادرة خاصة يقوم بها مبشرون بالإنجيل، ترسلهم الكنيسة إلى أحد البلدان غير المسيحية للتبشير بالإنجيل وزرع الكنيسة فيه، والكنيسة هي مرسلة من قبل المسيح إلى العالم، حيثما كانت هي (حيثما وُجدت). معجم الإيمان المسيحي، ص29.

[3]-معجم الكتاب المقدس، ص595-601. بتصرف.

[4]-يوستنوس: ولد في عائلة وثنية في نهاية القرن الميلادي الأول، تثقف بثقافة وفلسفة وثنية عالية، ولكنه تحول إلى الإيمان المسيحي قبل 135م، ثم بدأ يعلم في أفسس ومنها إلى روما التي استشهد بها سنة 165م. كتب إلى الأميراطور ماركس أوريليوس " Marcus Aurelius" يدافع عن الإيمان المسيحي، وهو يشرح ببساطة كيف يمارس المسيحيون عبادتهم، ودفاعهم يعتبر شرحا للإيمان والعبادة المسيحية. بن يامين باسيلي: الأفخارستيا: الجذور الكتابية والآبائية، ج2، ص83.

[5]-المصدر نفسه، ص107.

وقد كتب يوستين حواره هذا مع تريفون اليهودي حوالي سنة 160م، وكان يوضح له امتياز الإيمان المسيحي وأنالقوس موسى يحوي رموزا كثيرة تتعلق بالإيمان المسيحي:

-تقدمـــة الدقيق، والتي كان على الأبرص الذي طهر أن يقدمها (ملا 1: 10-12)، كانت صورة لخبز الأفخارستيا..

-والملاحظ على نصوص يوستين الشهيد بخصوص الأفخارستيا:

يؤكـــد يوســـتين عـــلى أن شـــروط التقدم للتناول من جسد الرب ودمه هي الإيمان والمعمودية.

-يرتبط الاحتفال بالأفخارستيا بيوم الرب، يوم الأحد، يوم القيامة.

-الأفخارستيا عند يوستين هي الذبيحة الجديدة بعد انتهاء زمان وقيمة العهد القديم، كما تستمد الأفخارستيا جذورها من العهد القديم، حيث تقدمة الدقيق في نبوة ملاخي النبي.

-الاحتفال بالأفخارستيا وصية مسلمة من الرب لرسله وكنيسته، باعتبارها ذكرى لآلام المسيح وموته وقيامته.

-الاشـــتراك في الأفخارســـتيا ليس استشاركا في خبز عادي أو شراب عادي، وإنما هو اشـــتراك في جســـد الرب ودمه الأقدسين، وهو ما يعتبر صدى لتعليم بولس في رسالته إلى أهل كورنيتوس (1كور 10: 16).

-ارتباط الاجتماع الأفخارستيا بجمع العطايا للفقراء، ومسؤولية الكنيسة عن ذلك، وهو مـــا نجد جذوره في تعاليم الديداخية على أساس تقديم العطيايا للكنيسة في مسؤولية الأسقف أو الكاهن المسؤول عن الاحتفال الأفخارستي.

وتُحَدَّد ملامح الممارسة الليتورجية للأفخارستيا عند يوستين كما يلي:

-القـــراءة من كتابات الرسل وكتايات الأنبياء ويعقب ذلك العظة التي تحث المؤمنين على التطبيق الأخلاقي والسلوكي للقراءات.

-الصلوات لأجل المسيحيين ولأجل العالم كله.

-صلوات خاصة على الخبز والخمر (صلوات الأفخارستيا للتقديس).

-توزيع الأفخارستيا على الحاضرين، وتوصيلها إلى من لم يستطع الحضور مثل المرضى مثلا.

-التسبيح واستخدام كلمة "آمين".

-ولعل هذه العناصر هي ما أشار إليه سفر أعمال الرسل في وصف اجتماع الكنيسة «إنهم كانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات» (أع 2: 42).

-ويذكر يوستين أيضا في ممارسة الأفخارستيا القبلة المقدسة.

-كما يستخدم يوستين كلمة "أفخارستيا" في الصيغة المصدرية بمعنى "الشكر"، وفي الصيغة الفعلية بمعنى "نشكر" (أفخارستين)، ويستخدمها أيضا للإشارة إلى عناصر "السر" نفسها "الخبز والخمر"، ولعلها الإشارة الأولى عند الآباء إلى الخبز والخمر أنهما "أفخارستيا".

-وأخيرا يربط يوستين بين تجسد المسيح وبين الأفخارستيا باعتبارها جسد المسيح ودمه ربطا مدهشا، بحيث يُعتبر من أوضح وأرقى ما كتبه الآباء عن الأفخارستيا كسجد ودم يسوع المسيح الذي تجسد واتخذ الطبيعة البشرية طبيعة خاصة له..

يعتبر يوستين الأفخارستيا هي التطبيق للتجسد وتحقيق اكتماله في النفس!

-يرى يوستين الأفخارستيا كشفا للطبيعة البشرية وحصولها على الخلود، هذا الخلود الذي تكتسبه بالتجسد ويصل إليها بالاشتراك في الأفخارستيا.

-كما يرى أن الأفخارستيا هي طعام الروح، تصير هكذا بكلمات المسيح نفسه، أي أن الأساس في تحول الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح هي كلمات المسيح نفسه، والتي يرددها الكاهن مستدعيا الروح القدس لكي يحل على الخبز والخمر، لينقلهما إلى جسد "الرب" ودمه: والهدف النهائي هو التغذية الروحية للمؤمنين به[1].

المطلب الرابع: خصائص الأفخارستيا البولينية: أو دور بولس في تأسيس الأفخارستيا (L'eucharitie Paulinienne)

-إن النص الأفخارستي الذي قدمه بولس كما تؤكد ذلك الأبحاث العلمية، بحسب ليتزمان تؤكد أنه يوجد تقليد واحد للأفخارستيا، استقى منه الإنجيليون جميعا، وهذا التقليد الواحد إنما هو «نص أصيل تسلم بالآرامية والعبرية»[2]-بحسب الاعتقاد المسيحي-.

---

[1]-ملاك لوقا: الأفخارستيا، ص109-111. بن يامين باسيلي: الأفخارستيا، الجذور الكتابية والآبائية، ج2، ص109-112. متى المسكين: الأفخارستيا، قداس الرسل الأول، ص77.

[2]-تادرس يعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، ج4، ص297.

-أما النص الذي قدمه بولس فقدمه بتعبيرات وتركيبات يومانية، تتناسب مع الذين كانوا يستمعون إليه ويمارسون الأفخارستيا على يديه، فكل ما كان يلتبس على الأمم فهمه من الاصطلاحات العبرانية والآرامية كان بولس يقربه إلى الأذهان في كلمات يونانية مفهومة مثل: «يسفك عن (من أجل) كثيرين» صارت «لأجلكم» و«بارك» صارت « شكر»، و«هذا دمي» صارت «هذه الكأس»، وقد حاول بولس أن **يبرر لتغيراته وإضافاته**، بأنه لم يأت بشيء من عنده بل اتبع تقليدا جاهزا استلمه من الرسل وسلمه كما هو على حد قوله «لأني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضا (1كو 11: 23). والذي ننبه إليه أن رسائل بولس سبقت الأناجيل الذين استوحوا كتبهم منه.. فكيف يكون إذا نص "بولس" أمانة التسليم وتسلم من "الرب"عبر الرسل!

-وما يجعل التقليد البولسي ذو أهمية خاصة، هو أنه أول ما تسجل عن "عشاء الرب"، حيث **كتبه بولس** في ربيع عام 54م، غير أن بولس كان قد **سلمهم عمليا هذا التقليد الليتورجي** في بداية رحلته التبشيرية إلى كورنيتس وذلك عام 49م، ثم مما تحقق لدى علمائهم **أن قول** بولس بأنه «تسلمه من الرب» تفيد أنه استلمه في وقت سابق على هذا، ربما كان أثناء وجوده في أنطاكية عام 45م[1].

وللمقارنة السريعة بين الأناجيل ورسالة بولس الأولى إلى كورنيتس يمكن القول:

-أنّ نص مرقس يعتبر صورة لفظية وتعبيرية طبق الأصل بالتقليد **الأول لحصوله على** نص -بحسب الأبحاث الحديثة- يحمل نفس الألفاظ التي قيلت وقت العشاء.

-أما نص لوقا فيعتبر مكملا لتقليد بولس الرسول، في حين أن نص متى هو صورة يونانية للنص الذي سجله مرقص.

-ثم يوحنا الذي يقف منفردا بذاته إنما قريب من بولس.

وفي الختام يعتبر نص بولس -وبحسب الإيمان الآبائي: «أمانة تسليم وتسلم من الرب عبر الرسل»[2].

---

(1)- تدرس بعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، ج4، ص297-301.

(2)- مي المسكين: الأفخارستيا، ط2، ص289 290.

وتتميز الأفخارستيا البولسية بمايلي:

-إن نصوص الرسالة الأولى إلى كورنيتس هي من أهم النصوص في طرح البعد الأسراري للإيمان، هذا "الإيمان" الذي يتحصّل بعمل روح القدس، ويتأكد من خلال انتماء الإنسان إلى جسد المسيح كعلامة عن وحدة الروح ووحدة الإيمان. وما نريد توضيحه هو أنه -وبحسب الاعتقاد المسيحي- أهم ما يمكن أن يحققه الإيمان ويغذيه ويجعله أمرا متجسدا هو الاشتراك في الأسرار المقدسة.

وإذا كان سر المعمودية هو الحدث الذي يولد فيه الإنسان بالروح القدس.. فإن الأفخارستيا هو الحدث الدائم الذي يتحقق فيه **الإيمان بالاشتراك في موت المسيح وقيامته** سريا (عن طريق تناول الجسد والدم الأقدسين) (Sacra mentellement)، **فيحدث الاتحاد بالمسيح** من ذلك قول بولس: «فإننا جميعا نشرب من الروح الواحد»، وهو قول يعبر به عن المشاركة في دم المسيح من خلال الأفخارستيا[1].

إذا فالخصائص الأفخارستيا في النصوص البولسية هي:

-الأفخارستيا "سر الوحدة في المسيح": «نحن على كثرتنا جسد واحد، لأننا كلنا نشترك في هذا الخبز الواحد».

-الفصل الثاني عشر يبدو أكثر عمقا من حيث أنه يعلن وحدة المؤمنين الأسرارية بدءا بسر المعمودية وانتهاء بسر الافخارستيا، وذلك في نص واحد «لأننا جميعا بروح واحد اعتمدنا إلى جسد واحد.. روحا واحدا..»[2].

-كما أنه من الواضح من خلال النصوص البولسية أن سر الأفخارستية **هو الذي يُعبّر** أكثر من غيره عن "حقيقة الوحدة في الإيمان"، من خلال حدث احتفالي جماعي تظهر فيه وحدة الجماعة المسيحية بطريقة أسرارية أي بشكل ظاهري يعبر عن حقيقة وجودية وإيمانية ألا وهي الأفخارستيا: "سر الوحدة" و"سر الإيمان".

-والملاحظ أيضا أن من أهم ما يميز أسلوب بولس في تفسيره للأحداث هو إقحام خبرته

---

[1]-مي نسكين: الأفخارستيا، ط2، ص290-291.

[2]-1 كو 12: 13-14.

الشخصية، أي اختباره التاريخي لشخص المسيح وخاصة في عرضه لأحداث موت المسيح وقيامته بإقحام شعوره وردات فعله الشخصية في كلامه[1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]-فاضل سيداوس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، 1986، ص18-57.
جان لنسكين: الأخرستيا، ص293.

المبحث الرابع: الأفخارستيا وقرارات المجامع.

La Cannonisation du Sacrement (Elevé au range de dogme)

المطلب الأول: الأفخارستيا في مقررات المجمع الاتيراني

Le Concile de latran 1215

هي خمسة مجامع عقدت في قصر لاتران في روما بين القرن 12 والقرن 16[1]. والذي له صلة بموضوع بحثنا هو المجمع اللاتيراني الرابع إلا أننا ولأهمية ذات صلة بالموضوع ارتأينا ذكر:

-المجمع اللاتيراني الأكبر المنعقد سنة 1139 حيث لم تشهد روما مطلقا ولا أية مدينة في العالم المسيحي على الإطلاق مجمعا عظيما مثله، فمن بين الذين حضروا هذا المجمع ألف أسقف وعدد لا يحصى من رجال الدين العظام وما صدر عنهم من المراسيم يُصور مسيحية ذلك العصر أدق تصوير، فالمحور الوحيد الذي دارت عليه جميع مناقشات المجمع كان هو حق البابا في السلطان الإقطاعي، فقد قال البابا في هذا لصدد:« كما أن روما هي المدينة المشرفة على العالم أجمع ومنها تخرج جميع الأوامر والنواهي الأرضية إذ هي مصدر السلطان الأرضي بأجمعه كذلك يجب أن العرش البابوي مصدر للسلطان الديني، وكل رئيس ديني يجب أن يتسلم سلطانه من بابا روما ويعتبر نفسه كتابع للفاتيكان، ويكون البابا بمثابة سيِّده الإقطاعي[2] الروحي»[3].

إذا فالمبلغ الرهيب الذي بلغته قدسية البابا وبعد توقيع اتفاقية "هدنة الله" والتي لم تكن في الواقع سوى هدنة من الصراعات الشخصية والمشاحنات والحروب والملاحظ أنه رغم توقيع "هدنة الله" كان أهم الأحكام التي صدرت في هذا المجمع المشهور هو الحكم ضد كل من يتجرأ عل خرق -الحرية الدينية- بالمفهوم البابوي طبعا و هاهو نص الحكم الذي نقصده:« «إننا نقطع من الكنيسة أولئك الهراطقة[4] الذين تحت ستار الدين يعارضون في فريضة جسد المسيح ودمه

---

(1) -معجم الإيمان المسيحي، ص 409.

E.Royston Pike, dictionnaire des religions, P191.

(2) -إقطاعي: féodal ملاك كبير على الأراضي، المنهل: قاموس فرنسي عربي تأليف: سهيل إدريس، جبور عبد النور، دار الآداب، دار العلم للملايين، بيروت، ص 437.

(3) - أندرو ميلر: مختصر تاريخ الكنيسة، ط4، مكتبة الأخوة، شركة الطباعة المصرية، مصر 2003، ص 275.

(4) -الهرطقة: هي البدعة وكل ما يرفض أو يخالف إحدى عقائد الإيمان معجم الإيمان المسيحي 525.

وفي معمودية الأطفال وفي الكهنوت إلى آخره»[1].

وهكـــذا إذا بروح من الانتقام والتسلط كان البابا –ولا يزال- يحل ويربط ويأمر وينهى حـــتى بلغـــت الخرافة مبلغ التسلط على عقول الناس فآمنوا بأنه خليفة الرسل وبإلهام من الروح القـــدس يحل ويربط في الأرض كما في السماء وأنه مبرّه ومعصوم ونسي البابا وتابيعه من رجال الإكليروس ما جاء في كتابهم –ليكون حجة عليهم- بأنهم سيقفون أمام الكرسي الرهيب لديان الأرض كـــلها:« لأنه لابد أننا جميعا نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرا كان أم شرا»[2]

والســـؤال الـــذي يفرض نفسه-بالعقل وبالمنطق السليم-: كيف للناس أن يُؤَمِنُوا البابا ورجالـــه على انفسهم وأولادهم وأن يقبلوا منه تعميدا أو مشاركة –مزعومة- في الجسد والدم باقتســـام الخـــبز وشـــرب الكأس بعد الاطلاع على التاريخ البابوي الرهيب الملطخ بدم الأبرياء والمملوء نهبا وسلبا وفسادا... [3]

وهكـــذا وبعـــد أن صار الفكر البشري والتخمين[4] الإنساني يعبث بالممارسات الإلهية بحســـب أهوائـــه ومصالحه الشخصية وانتماءاته السياسية والإديولوجية وتضاربت أقوال علماء اللاهوت في كلتا الكنستين الاتينية واليونانية فيما يتعلق بالأسرار وعددها وخاصة سر الأفخارستيا أو "الاســـتحالة" الذي أدخلت عليه طقوس دينية خارجية ومراسيم جديدة، فلم يكن من المهم مبلغ تمسك الإنسان بكلمة الله وطاعته لها.. بحيث إن تهاون في أسرار الكنيسة ومراسيمها –التي لا عدد لها- عرض نفسه لتهمة الهرطقة ونتائجها المفزعة، ومادام يعترف بطاعته للكنيسة ومبادئها فليس مهما أن يستهين بكلمة الله.. المهم أن كلمة البابا مسموعة ومن معه من القسوس..

وهذا ما حدث في مجمع لاتيران الرابع الذي عقد عام 1215 والذي تقرر فيه:

---

(1) –أندرو ميلر: مختصر تاريخ الكنيسة، ص 275.

(2) –المصدر نفسه، ص 276.

(3) –البابا المقصود هنا هو إينوسنت الثالث وكان ذلك في القرن 13 وقد بلغت فيه البابوية أوج مجدها بحيث استطاع هذا البابا ان يحقق غرضه العظيم ألا وهو الرياسة الكهنوتية والسيادة الملكية والسيطرة على جميع ملوك الأرض وقد أصبح بابا روما المتوج، المصدر نفسه، ص 305.

(4) – التخمين: conjecture الحدس والظن، المنهل، ص 236.

إثبات "فكرة" الاستحالة كأحد تعاليم كنيسة روما المسلم بها، بحيث أصدر هذا المجمع قرارا يثبت فيه أنه عندما ينطق الكاهن القائم بالخدمة بكلمات التقديس les paroles de l'invocation: épiclese صلاة الإستدعاء، تتحول عناصر الخبز والخمر المقدسة إلى مائدة جسد ودم الرب يسوع المسيح أو على حد تعبيرهم: [إن جسد ودم المسيح يكونان حقيقة على المذبح في شكل الخبز والخمر إذ يتحول الخبز إلى جسد اليسوع المسيح والخمر إلى دم وذلك بقوة الله عن طريق الكاهن وهذا التغير الحاصل يكون تاما وكاملا حتى أن العناصر المذكورة تكون حاوية للمسيح كليا وجزئيا: اللاهوت الناسوت، الروح والجسد والدم مع كل أجزائه ومقوماته][1].

من ذلك الحين اكتسب خبز الأفخارستيا صفة إلهية حيث أُدخلت منذ ذلك الحين تغيرات هامة في طريقة ممارسة السر، فقيل إن الخمر المقدس-بزعمهم- كان عرضة لأن يتنجس بواسطة وصـــول اللّحية إلى الكأس أو بواسطة عدم مقدرة المرضى على ابتلاعه، أو من الأطفال الذين قد يســـكبونه ولذلـــك مُـــنع الكأس عن المرضى والمتقدمين في السن وأبطل نهائيا اشتراك الأطفال (باختلاف بين الكنائس، وما أكثر اختلافاتهم !)

ثم تلى تثبيت مبدأ الاستحالة (أي عقب تثبيته وتقنينه) خرافات شنيعة أخرى: كأن يخر الناس سجودا على الأرض عند رفع الكاهن للقربان المقدس.

ومن ذلك أيضا وضع القربان في صندوق مزخرف(Le Tabernacle) ويسيرون به في موكب عظيم في الشوارع وكل شخص يمر عليه يجثوا على ركبتيه علامة الخشوع والتعبد !!

وفي مناطق أخرى عندما يحمل الكاهن القربان المقدس في طريقه إلى شخص يظن أنه على وشك الموت، يقرع جرسا صغيرا يدق به على طول الطريق وجميع الذين يصل إلى أذانهم صوت الجـــرس، مـــرغمين على الركوع أرضا والاستمرار على هذه الحالة حتى يختفي الصوت (صوت الجرس) ويتلاشى بعيدا فلا يعود يصل إلى آذانهم.

هكـــذا كان الكهنة يجعلون الناس يعتقدون أن الله الحي يحل في هذا الصندوق الصغير في

---

[1] – pierre pierrad / histoire de l eglise catholique/ Desclée et Cie paris 1972/p 93.

-أندرو ميلر: مختصر تاريخ الكنيسة ، ص 300.

شكل الخبز وأنه من الممكن حمله من مكان إلى مكان ! [1]

حقـــا، إن هذا لمنتهى الإثم والفجور وأفضع أنواع الوثنية والتجديف وما هو إلا تعريض لكـــل ما هو مقدس لهزء وسخرية،ولا غرابة فهي بدعة –سيأتي تفنيدها في الفصل القادم إنشاء الله- نشـــأت وترعـــرت في وقـــت تمـــيز بالجهل العظيم وسادت فيه الفجور وعمّت الأباطيل والخرافات تلك هي آثام البابوية -التي سبق إليها الذكر في مستهل الكلام عن هذا المجمع- الجريئة الشنيعة وذلك هو عمى كنيسة روما الذي استمر لما يزيد عن ألف سنة- ولا يزال..-

ولكـــن سيأتي يوم فيه يدين الله سرائر الناس ليس بحسب نواميس وطقوسها بل بحسب الشريعة الحق وليسمعوا إلى القليل الذي أبقاه الله من إنجيل عيسى ليكون خزيا ليهم ولكنهم صم بكم عمي فهم لا يرجعون:«.. إنه لي ستحثوا كل ركبة وكل لسان سيحمد الله، فإذا كل واحد منا سيعطي عن نفسه حسابا لله»[2].

هـــذا إذا مـــلخص لما ورد في المجمع الاتيراني الرابع بشأن **الأفخارستيا حيث أن تعليم حضـــور المســـيح الحقيقي في العشاء الرباني ثبتَ كعقيدة من عقائد روما في هذا المجمع عام 1215.**

(Ainsi l'institution du repas du seigneur a éte élevé au rang de dogme lors du concile de Latran 1215)[3] .

وقد استمرت فكرة الاستحالة ثلاثمائة سنة المعقل الأساسي لروما ورجاستها[4] العظمى.

وهكذا كان "العَشَاء" حجر الزواية في بناء البابوية الشامخ !

---

[1] – أندرو ميلر: مختصر تاريخ الكنيسة ، ص 95-96.

-André Duval/ Des Sacrements au concile de Trente(rites et symbole) les editions du cerf paris 1985/ p61.

-أندرو ميلر: مختصر تاريخ الكنيسة ،ص 339.

[2] –رو 14: 11-12.

[3] - pierre pierrad / histoire de l eglise catholique/ Desclée et Cie paris 1972/p 97.

[4] - رجسة: رجس ،يرجس: قذارة، دنس، وتنطيخ. والترجيس: انتهاك الحرمات وحرق المقدسات. Sacrilége المنهل، ص 328.

المطلب الثاني: قرارات المجمع التريدنتيني بشأن الأفخارستيا: ترانتو 1551

بـــادئ ذي بـــدء فـــإن ترانتو أو ترانت مدينة في شمال إيطاليا عقد فيها المجمع المعروف بالتريدنتيني (1545-1563) وهو الذي اهتم بتنظيم الكنيسة الكاثولوكية وبتحديد معتقدها بعدى الإصلاح البروتستانتي[1].

يرى الشيخ محمد أبو زهرة أنه قد عقدت عدة مجامع ولكن هذا المجمع كان:« أهم هذه المجـــامع وأعظمها أثرا وأقواها عملا، المجمع التاسع عشر الذي انعقد في ترانتو والذي دام انعقاده من 1542 إلى سنة 1563 وفيه الرد على البروتستانتية»[2].

بحيـــث تحددت في هذا المجمع قوانين الكنيسة الكاثولكية بأكثر دقة واتخذت تدابير أكثر فاعلية في قمع الهراطقة.

إن مـــا تميز به هذا المجمع بصفة خاصة ليس هو سَنُّ قوانين جديدة بل هو تحديد تعاليم الكنيسة الرومانية بكيفية أدق وتثبيتها بواسطة خلع سلطة المجمع عليها. وقد كان للباباوات كل الـــتأثير في المجمـــع، حـــتى أنهم أملَوا كل قوانينه وكونوها ليس بنية إزالة الإنقسامات وإصلاح الأخطاء القديمة وإعادة الوحدة إلى الكنيسة بل لتثبيت سيادتهم وسلطانهم.

وخلاصـــة التعالـــيم التي قررها المجمع بشأن الأفخارستيا أو القُداس نوجزها في ما يلي[3]:

-« إن القـــداس يقدم لله ذبيحة كفارية حقيقية لأجل الأحياء والأموات وأنه في ذبيحة الأفخارســـتيا المقدســـة يوجد فعليا وحقيقيا وماديا الجسد والدم مع روح ولاهوت ربنا يسوع المســـيح وان جميع مادة الخبز تتحول إلى الجسد وجميع مادة الخمر تتحول إلى الدم، ذلك التحول الذي تسميه الكنيسة الكاثوليكية: الإستحالة».[4]

-كمـــا قـــرر في المجمع أنه يتناول أي من المادتين على حدة يقبل المسيح والسر الحقيقي

---

(1) -معجم الإيمان المسيحي، ص 142.

-E.Royston Pike, dictionnaire des religions, P308.

(2) -محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية، ط4، دار الفكر العربي، القاهرة،1972،ص 167.

(3) -أندرو ميلر: مختصر تاريخ الكنيسة، ص 579-587-589.

(4) -المصدر نفسه، ص 591.

بتمامه وكماله.

-كما قرر مجمع ترانت أنه يوجد مطهر[1] :purgatoire والنفوس المحجوزة فيه تجد معونتها في ذبيحة الأفخارستيا خاصة، ويأمر المجمع جميع الأساقفة أن يجعلوا التعليم الخاص بالمطهر عقيدة راسخة في النفوس يأمن ويتمسك بها الجميع.. ففي نيران الطهر تتنقى نفوس الأبرار بواسطة :عقاب وقتي حتى يتسنى قبولهم في موطنهم الأبدي : حيث لا يمكن أن يدخل شيء دنس، فذبيحة الأفخارستيا إنما تقدم لأجل الأموات في المسيح غير المطهرين بالتمام ! [2]

وهذه القرارات يعتقدها واضعوها من الكاثوليك والأرثودكس على عكس الإصلاحيين الذين يعتبرون "العشاء الرباني" تذكار لموت المسيح الفدائي تكفيرا للخطيئة التي ارتكبها آدم وليس تحولا حقيقيا أو إستحالة جوهرية transubstantiation للخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح.

وسوف نعرض أهم نظريات المصلحين فيما يتعلق بسر الأفخارستيا أو "العشاء الرباني":

أ-رفض لوثر[3] كمصلح كلمة الاستحالة واستعاض عنها بكلمة أعقد منها وهي كما يمكن ترجمتها "إزدواج المادة" أو "تشارك المادة": consubstantiation فقد رفض لوثر النظرية البابوية القائلة بأن الخبز والخمر لا يبقيان بعد التقديس بل يتغيران إلى جسد المسيح المادي ودمه المادي، وكانت نظريته الغريبة أن الخبز والخمر يبقيان كما هما خبزا وخمرا حقيقيان وإنما يوجد مع الخبز والخمر مادة جسد المسيح الإنساني فقد أنكر لوثر حلول المسيح في بدن من يأكل العشاء الرباني حيث أنكر ورفض استحالة الخبز إلى عظام المسيح المكسورة كما رفض استحالة الخمر إلى

---

(1) -المطهر: أول ما ابتدع التعليم بوجود حالة متوسطة (المطهر) هو أغسطينوس ولكن آرائه كانت غامضة وغير ثابتة و لم تقبل كنيسة روما هذا التعليم بصفة رسمية إلا في عهد غريغوري الأكبر عام 600م الذي اشتهر بأنه المكتشف لنيران المطهر . وهو القائل:« يجب ان نؤمن بأن هناك نار مطهرة لبعض التعديات البسيطة قبل يوم الدينونة»

-E.Royston Pike, dictionnaire des religions, P259.

(2) - pierre pierrad / histoire de l eglise catholique/ Desclée et Cie paris 1972/p 99

-عبد الغني عبود: المسيح والمسيحية والإسلام، ط1، كلية التربية، جامعة عين شمس، 1984، ص 93.

(3) -مارتن لوثر: 1483-1546: اول وأكبر رجال الإصلاح. أصبح في 1512 دكتورا في اللاهوت وأخذ يعلم الكتاب المقدس، يرى أن الخلاص يتم بالإيمان وحده وهو رسالة الإنجيل الأساسية. حرم البابا لاون العاشر مواقف لوثر..انتشر تعليمه انتشارا سريعا في جميع البلدان الجرمانية. معجم الإيمان المسيحي ، ص 417.

-E.Royston Pike, dictionnaire des religions p 196.

دم المسيح وحلولهما في جسم الاكل وقدم بدل ذلك "نظرية الإزدوجية"[1] (السابقة الذكر).

ب-أما زنجلي zwingli[2] المصلح السويسري الكبير فهو يختلف تمام الاختلاف مع روما فيما يتعلق بحضور المسيح الحرفي في العشاء القدس فهو يعتقد ببساطة الكتاب المقدس في موضوع عشـــاء الرب وأن كلمات المسيح :«هذا هو جسدي هذا هو دمي» لها معنى مجازي ولا تتضمن أكـــثر من كون الخبز والخمر مجرد رمزين أو صورتين لجسد المسيح، وأن الوصية:« اصنعوا هذا لذكري» هي تذكار لموته الفدائي لأجل خلاص البشر **! فهو إذا يرى أن العشاء الرباني مناولة تذكاريـــة لموت المسيح وفدائه لخطيئة الخليقة-في زعمه- وأن المسيح حاضر في العشاء روحيا فقط.**[3]

ج-في هـــذا الوقت ظهر رجل آخر في فرنسا وهو كلفن[4] Calvin (1564-1059) وإن النور الذي ملأ نفس كلفن كشف له عن الظلمة الدامسة التي تغمر كنيسة روما ونستخلص هذا من عدم استطاعته أن يستمر في خدمة مذابحها، واستقالته من منصبه الإكليركي وهو يرى أن المسيح لا يحضر لا بشخصه ولا بروحه في العشاء الرباني، ويعتبر تناول العناصر المادية رمزا للإيمان فقط حيث يقول:« يشير العشاء الرباني أيضا إلى مجيء المسيح كما يشير إلى موته فيكون تذكارا للماضي والمستقبل فالعبرة في العشاء الرباني للذكرى **لا** حضور المسيح **ماديا أو روحيا**»[5].

والجديـــر بالذكر أن ثمرة ما توصلت إليه حركة الإصلاح هو "الاتفاق" على إلغاء "قداس الأفخارستيا" لأجل كل الأضاليل والطقوس الخرافية التي عُلِّقت به، فكان في يوم 11 أبريل سنة 1525 حيـــث تقدم ثلاثة من الرعاة وهم زنجلي ، ليو جودا، وإنجلهارت إلى مجمع زيوريخ[6]

---

(1)- philippe ferlay / Abregé de la foi catholique. Desclée.paris. 1986.p 217.

(2)- زونجلي: كاهن انضم إلى الإصلاح في حوالي 1520 وأدخله إلى سويسرا. دخل في نزاع مع لوثر بشأن العشاء السري، مات في معركة خاضتها حركته ودعا إلى مثل ما دعا إليه لوثر في مسائل الدين، توفي عام 1531، معجم الإيمان المسيحي، ص 166.

(3)- philippe ferlay / Abregé de la foi catholique. Desclée.paris. 1986.p 222.

(4)-كلفن: (يوحنا jean calvin)، مصلح فرنسي، نشر في فرنسا وسويسرا مذهبا حمل اسمه (الكلفينية: كلمة تدل عادة على البروتستانتية) ل كتاب "الأسس المسيحية" جعل منه أكبر لاهوتي عرفه التاريخ، معجم الإيمان المسيحي، ص 399.

(5)-أندرو ميلر: مختصر تاريخ الكنيسة، ص 539-540-491-477-475.

(6)- زيوريخ: مدينة بسويسرا عقد فيها هذا المؤتمر(مؤتمر زيوريخ) ففي 29 يناير 1523 وكان أول المؤتمرات التي استصعت برعاية الله أن تعمل على نشر وتقدم حركة الإصلاح، أنظر: أندرو ميلر: مختصر تاريخ الكنيسة ، ص 522.

يطلـــبون إلغاء ذبيحة الأفخارستيا في الحال وبعد مناقشات طويلة بين الأعضاء واللاهوتين أصدر المجلس القرار الأتي:

«مـــن الآن فصـــاعدا، تُمـــارَس الأفخارستيا طبقا لرسم المسيح ونظام الرسل، ويكون مسموحا للضعفاء وغير الأقوياء في الإيمان أن يستمروا في اتّباع النظام القديم..». [1]

وهكـــذا تمكـــن المجلس –بمكر ودهاء–أن يستمر في إقامة القداس مع قبوله –مرغما– لإدخـــال بعـــض التعديلات: كإلغاء السجود عند رفع الحمل والذي كان من المستحدثات التي أدخلتها القيادة البابوية.[2]

المطلـــب الثالث: الأفخارستيا في مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني. Vatican II (1962-1965).

لقـــد ذكـــر المجمع الفاتيكاني[3] الثاني أن جميع الأسرار والخدم الكنسية وأعمال الكرازة لها مع الأفخارستيا صلة وثيقة وإليها تتجه:

- فالأفخارستيا –على حد تعبيرهم- تحوي كل خير الكنيسة الروحي:« فالمسيح فصحنا والخبز الحي الذي يعطي الحياة للبشر لجسده الحي والمحيي بالروح القدس..».

-كمـــا يمكن إدراك هذه العلاقة الوثيقة للأفخارستيا مع سائر الأسرار الكنسية والحياة المسيحية بشكل أعمق عندما نتأمل في سر الكنيسة نفسه (Misterium Ecclesiae) من حيث هو سر مقدس (sacramentum) لذلك أكد المجمع الفاتيكاني الثاني في هذا الصدد:

أن الكنيســـة هـــي سر المسيح، أي العلامة والأداة للإتحاد الصميم بالله ووحدة الجنس البشري

---

(1) – أندرو ميلر: مختصر تاريخ الكنيسة ، ص 476.

(2) –الصدر نفسه، ص 533،-مؤتر برن العظيم 1528 لتقدم حركة الإصلاح-.

(3) –الفاتيكان: دولة ذات سيادة، رئيسها البابا الروماني قامت في أعقاب معاهدة لاتران في 11 فيفري 1929، تقع على الأراضي الإيطالية ولكنها خارجت عنها من حيث السيادة.

والمجمع الفاتيكاني الثاني 1962-1965 دعا إليه البابا يوحنا الثالث والعشرين، (jean 23) اهتم هذا المجمع بتحديث الكنيسة الكاثولكية فأصدر عدد من الدساتير والمراسيم والقرارات والبيانات والتصريحات، وهو يكمل ما لم يستطع المجمع الفاتيكاني الأول أن ينجزه ولاسيما في ما يختص بالحياة الكنسية والمسيحية ورجال الكنوت، معجم الإيمان المسيحي، ص349.
-E.Royston Pike, dictionnaire des religions p 79.

برمته !

فهـــي كمـــا يقول القديس كبريانوس[1]:« شعب واحد قد جمعته وحدة الآب والابن والروح القدس بالأفخارستيا».

وقـــد خـــرج السينودس بقرارات نهائية وملزمة عن الأفخارستيا "مصدر وذروة حياة الكنيسة ورسالتها"[2] نلخصها في مايلي:

-الأفخارســـتيا سر الإيمان، (Mystere defoi) [3] فهي سر الكنيسة، سر الله المكتوم، حيـــث يعـــبر بواسطة الطقوس عن إيمان الكنيسة. والطقوس تقوي وتشدد الإيمان ولهذا السبب يشـــدد السيندوس على سر المذبح ومكانته الدائمة في قلب حياة الكنيسة، إذ بفضل الأفخارستيا تولد الكنيسة دائما من جديد، وكلما كان إيمان شعب الله في الأفخارستيا أكثر حيوية كانت له مشاركة أعمق في الحياة الكنسية وذلك لحضور الرب بين شعبه (الحضور الأفخارستي).

-والأفخارستيا "سر الاتحاد" كما يؤكد أغسطينوس في كتابه "مدينة الله" بشأن الذبيحة:

«..est donc sacrifice toute œuvre accomplie pour entrer en sainte communion avec Dieu»[4]

-والأفخارســـتيا أيضا "سر الوحدة"، سر الجماعة التي تتوحد في المسيح بالأفخارستيا : بمعـــنى أن سر الوحدة والجماعة المسيحية تعبر عنه الأفخارستيا أعمق تعبير إذ تظهر أن الخلاص الـــذي يحصـــل عليه الإنسان هو خلاص جماعي:فمثلا الإنسان الذي ينال سر المعمودية يحصل شخصيا على الخلاص، إنما بالمعمودية يدخل أيضا في كنيسة ويصير عضوا في جماعة قد حصلت

---

(1) -كبريانوس (200-258م)، كان وثنيا وتحول إلى المسيحية سنة 246م، أختير أسقفا على قرطاجنة، كتاباته عظيمة من الناحية اللاهوتية مما أكسبها شهرة كبيرة وذلك لمعرفته العميقة بالأسفار المقدسة. يعلم كبرانوس أن كل من العشاء والأخير والأفخارستيا هما ذكرى لذبيحة السليب «..تقدمتنا وذبيحتنا هي الإجابة على آلامه.. لذلك نحن نقدم الذبيحة لأجل المتقلين والشهداء. بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ص106-108.

(2) -pierr pierrad/ la grande lumiére du vatican II Desclée paris 1975p 291 (l eucharistie fait l' eglise).

(3) -les quatre pilliers de la catéchése , librairie fayard Paris 1987.P 199(œuvre de René Marlé vatican II)

(4) -s[t] Augustin/ la citéde Dieu /Librairie Brunet pas de calais juin 1930 .p 557

هـــي أيضـــا على الخلاص: إنه يتحد بالمسيح رأس الكنيسة وبجميع المسيحيين الذين هم أعضاء جسده معا، وسر الأفخارستيا الذي يُعبّر عن الخلاص الجماعي يحقق أيضا هذا الخلاص عن طريق الجسد والدم: "خبز الحياة" و"كأس الخلاص" الذي به مغفرة الخطايا ونوال الحياة الأبدية[1].

ومـــلخص ما رسم عن الأفخارستيا من بيانات في المجتمع الفاتيكاني الثاني أعاد تجديده البابا يوحنا بولس الثاني سنة 2005، حيث سماها "سنة الأفخارستيا" بمناسبة مرور يوبيل[2] على تاريخ "فكرة تأسيس الوحدة المسيحية"، وذلك في 25 جانفي 1955:

«Jean XXIII annoncait aux cardinaux son intention: 1955 de convoquer un concile dans une double vue: Assurer le renouveau de l'Eglise face au monde moderne et préparer l'Unité chrétienne»[3].

وملخص ما جاء فيه: أنّ الأفخارستيا العلامة الثالثة من أسرار الاستنارة المقدسة:

-هي غذاء الإنسان (الروحي والمادي) المدعو إلى القداسة (التطهير والتكريس)، واحتفال الكنيسة بالخلاص.

-وللأفخارستيا المكانة الأولى في تعبير الكنيسة عن التزامها بالمسيحية، وهذا المعنى نجده في قول يوحنا ذهبي الفم: «لنتأمل أعجوبة هذا السر والغاية من تأسيسه والثمار التي ينتجها، إننا به نصبح والمسيح جسدا واحدا إنه يمتزج بنا لنصبح به حقيقة واحدة كالجسد المتصل بالرأس».

-والأفخارســـتيا "حدثٌ": حيث تستند الكنيسة في عيشها إلى الحدث المركزي في حياة الرب يسوع على حد تعبير السينودس، وهو سر الفداء، سر الفصح الجديد حيث موته وقيامته.. ليستمر حضوره السري بين تلاميذه والكنيسة بعد صدوره إلى الآب في انتظار مجيئه الثاني (لو22 : 7-20) (متى 26: 17) (1كو 11: 23-25)[4].

---

(1) -د.جوزيف موريس: الأفخارستيا وحياة الشركة، ط3ن دار الجيل للطباعة الناشر لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني يوسف، القاهرة 2007، ص 201.

(2) -يوبيل: Jubilé: في العهد القديم إعفاء عام من الديون والعقوبات والأخطاء، يجري كل 50 سنة، وفي الكنيسة الكاثوليكية: غفران كامل يمنحه البابا على فترات منتظمة (سنوات مقدسة) كل قرن أولا (ابتداء من 1300م) ثم على فترات أقصر والآن كل 25 سنة وبوجه خاص إحياء لذكرى أحداث دينية هامة. معجم الإيمان المسيحي، ص552.

(3)-Pierre Pierrad: Histoire de l'Eglise Catholique (La grande lumiere de Vatican II), P291.

(4) -جوزيف موريس: الأفخارستيا وحياة الشركة، ص203-207.

-والأفخارستيا "ممارسة ": فهي دعوى للالتزام "بالعهد الجديد" بالمواظبة على تعليم الرسل، والصلاة، والحياة المشتركة[1]. (رسل 2: 42).

فحياة يسوع وحضوره السري بعد قيامته تنهض حقا في ممارسة الأفخارستيا (رسل 4: 32-35): «..الذين آمنوا بقلب واحد ونفس واحدة.. بل كان عندهم كل شيء مشتركا.. يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت على جميعهم..».

-والأفخارستيا "معنى": فالمخلص، ليلة عشائه الأخير قد وضع ذبيحة جسده ودمه الأفخارستية كي تستمر ذبيحة الصليب عبر الأجيال، حتى مجيئه!

وهكذا تلتقي ذكرى اليوبيل مع مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني (دستور في الليتورجية عدد 47) فيما يتعلق بالأفخارستيا، من حيث أنها سر التقوى، وعلامة الوحدة، ورباط المحبة، والوليمة الفصحية التي "يُوكل" فيها المسيح، فتمتلئ النفس نعمة وتعطى عربون[2] المجد الآتي[3].

---

[1] -«وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات».

[2] -عربون المجد: في رسائل القديس بولس، هبة الروح بصفتها باكورة مواعد المسيح (أف 1: 14) «إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا».

[3] -أعمال المؤتمر السنوي الخامس عشر للدراسات الآبائية: روحية طقس القداس، دار يوسف كمال للطباعة، مؤسسة القديس أنطونيوس للدراسات الآبائية، القاهرة، 2006، ص63.

المبحث الخامس: الأفخارستيا وعلاقتها بالعقائد المسيحية الكبرى

تمهيد

يقـــول بولـــس: «فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعا نشترك في الخبز الواحد»، وهو يرمز بقوله هذا إلى سر الشركة والاتحاد من خلال الأفخارستيا.

ويعلق على ذلك أغسطينوس[1] بقوله: «ينشأ سر سلامنا ووحدتنا فوق مذبحه».

ويعلق أمبروسيوس[2] على وحدة الشعب في القداس الإلهي: «الشعب الذي تطهر وامتلأ بالمواهب العجيبة يبدأ بالسير نحو المذبح.. إنهم يسرعون جميعا بروح واحدة اتجاه الوليمة الواحدة السمائية»[3].

وبناء على هذه الأقوال دُعي سر الأفخارستيا بـ **سر الأسرار** وينبوع الحياة الروحية المسيحية **لماذا؟** لأن لكل الأسرار صلة وثيقة به، وكل العقائد قامت وانبنت على **سر النعمة** التي -وبحســـب الإيمان المسيحي-: وُهبت في العماد وتثبتت في الميرون لتتحد بالمسيح القربان: «من يقبل إليّ .. يثبت فيا وأنا فيه»، أما سر الكهنوت فموجّه إلى تقدمة الذبيحة القربانية «اصنعوا هذا لذكري»، وأما سر الزواج فمن حيث هو عهد دائم بين المرأة والرجل فهو يرمز إلى الاتحاد القائم بين المسيح والكنيسة[4]، بفضل الافخارستيا، كما أنه على العهد الجديد بين الله والإنسان: «هذا

---

[1] -أغسطينوس: أشهر أباء الكنيسة اللاتينية (354-430م)، ولد في تاغاستا في إفريقيا، قضى شبابا عاصفا، اعتنق بعدها المذهب المانوي مبتعدا عن الإيمان المسيحي رغم سهر والدته مونيكا، ولكنه عاد إلى المسيحية بتأثير من القديس أمبروسيوس في أثناء إقامته في ميلانو. عمده أسقف ميلانو في 387 ورُسم كاهنا في هيبون في 391م، واصبح أسقف هذه المدينة في 392م. حارب مذاهب المانويين والدوناتيين والبيلاجيين... ألف الكثير من الكتب في اللاهوت، أشهرها مدينة الله (413-426) والاعترافات "وفي الثالوث" و"الطبيعة والنعمة"، مات في مدينة هيبون أثناء حصار الوندياليون. معجم الإيمان المسيحي، ص80-81.

[2] -أمبروسيوس: Ambroise: (340-397) رئيس أساقفة ميلانو (إيطاليا) من آباء الكنيسة، له أناشيد دينية ومؤلفات كثيرة في تفسير الكتاب المقدس والوعظ والطقوس. المصدر نفسه، ص64.

[3]-Pierre Pierrad: Histoire de l'Eglise Catholique , P45.

-Maurice Brillant et autres: Eucharistia, P81-83.

[4] -الكنيسة: ترجمة عربية لكلمة عبرية تعني الدعوة إلى الانعقاد، يقوم بها الله في المسيح من أجل الملكوت.. وهي منظورة في وجهها الاجتماعي الأسراري وغير منظورة بصفتها جماعة المدعوين.. والكنيسة هي جسد المسيح وهو رأسها، وعريسها كما وصف نفسه (متى 9: 15) (يو 3: 19). وعروس: اسم يطلق على الكنيسة، فهي تمثل المرأة الأمينة وأورشليم المقدسة. معجم الإيمان المسيحي، ص402. معجم اللاهوت الكتابي، ص671.

هو دمي الذي للعهد الجديد، وهو بصلبه وقيامته جمع استحقاقات المغفرة ونوال الحياة الأبدية[1] -كما سيتم توضيحه فيمايلي-:

المطلب الأول: الأفخارستيا وذبيحة الصليب: أو معنى موت المسيح على الصليب

إذا حاولنا ربط الأفخارستيا بنبعها وأوردنا السؤال: أين هو نبع الأفخارستيا، فالمسيح -في اعتقاد المسيحيين- أعطى جسده ودمه، لكن نبع هذا العطاء أين يكون: في الصليب: «هذا هو جســـدي الذي يكسر لأجلكم». وأي جسد هذا: الجسد مصلوب يكسر: «هذا هو دمي الذي يهرق[2] من أجلكم»، أين؟ على الصليب!

إذا منبع الأفخارستيا هو في المكان الذي تجلى فيه حب الله للإنسان بإنسان مجروح بأبهى مظاهـــره: وأبهى مظاهر الحب الإلهي تجلت على الصليب بإنسان مجروح بإنسان يموت، بإنسان مات[3] «وهذا الإنسان الذي مات هو الله[4]».

إذا فنبع عطية الأفخارستيا هو صليب[5] يسوع المسيح:

«..Le fils de Dieu dans son dernier supir.. l'homme blessé de la plus belle des façons.. l'homme et mort Dieu est mort par son fils pour la

---

[1] -تادرس يعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، ج4، ص473.

[2] -يهرق: مصطلح مسيحي بمعنى "يسفك"، بدل يراق في اللغة العربية.

[3] -قالها إريناوس أسقف ليون، «صار الله إنسانا لكي يصير الإنسان الله»، فالله تجسد ليهبنا بالخلاص حياة أبدية، مؤلهة (عبر) أو من خلال الأفخارستيا. "يؤلهما": أي يشركنا في ألوهته باتحادنا المسيح دائما بالأفخارستيا. صبحي حموي اليسوعي: فرح الإيمان، ط5، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، 1988، ص11، 13-14 بتصرف.

[4] - الله: في الكتاب المقدس هو أولا "إيل" أو "إيلوهيم"، هو الذي تعرفه الأمم والعقل وإبراهيم والآباء. يدعى العلي (تك 14: 22) والراعي والقدير، وهو "إله آبائنا" (خر 3: 13)، وإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب.
سأله موسى عن اسمه فأجاب "يهوه" أي "أنا من هو" أو "أنا من أكون" أي "سأكشف عن نفسي بأعمالي" وبذلك أظهر الله نفسه وحيدا شاملا يسمو على كل شيء ومع ذلك قريب من كل شيء، وفي آخر الأمر وبعد أن تكلم الله بالأنبياء تجلى بيسوع المسيح، مرسله وابنه ليمنح الخلاص لجميع البشر. معجم الإيمان المسيحي، ص61.

[5] -الصليب: الصليب في الأصل هو علامة اللعنة "ملعون من علق على خشبة" فالصليب في الأصل إذا هو للمجرمين أو للثوار أو لكل من يريد المتسلط أن يتخلص منه -وهذا الصليب صار أروع هدية أعطية للبشرية بفداء من صار مخلصها.
فالصليب الذي كان علامة المنبوذين و مرذولين عن حق أو غير حق صار اليوم بفضل يسوع علامة أن الله لا يرذل أحدا. وموس لكتاب لمقدس، ص571.

rédemption sacerdotale du genre humain »[1].

ولـــنا في هذا المقام رأي وتعليق: فأي خلاص هذا الذي يجلبه موت الإله ثم يحيا ليؤكل ويُشرب و"يؤله" شعبه بالحلول فيهم.. وأي إيمان هذا الذي لا يقبله عقل ولا يستقر في النفس.. وإذا كان المسيح إلها فكيف للإله أن يموت ..تعالى الله عما يصفون علوا كبيرا.

إذا فما هي العلاقة بين الأفخارستيا وذبيحة الصليب:

بحســـب الإيمـــان الآبـــائي، فإن ذبيحة الأفخارستيا تكرار لذبيحة المسيح المخلص على الصـــليب: هي ليست تكرارا، لكنها: تقديم أو تقريب الجسد والدم المبذولين على الصليب مرة واحدة في شكل قرابين الخبز والخمر.

فذبـــيحة الصـــليب الـــتي قُدمـــت "مرة واحدة" وإلى الأبد على جبل الجلجثة وذبيحة الأفخارســـتيا الـــتي تقـــدم مرارا على المذابح الأرضية في كل مكان لا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى، فهما نفس الذبيحة الواحدة وإن كانتا متميزتين عن بعضهما.

يقول يوحنا الذهبي الفم «إنهما غير منفصلتين بل هما واحد، ونفس شجرة الحياة[2] التي غرسها الله على الجلجثة لكي كل من «يأكل منها يحيا إلى الأبد» (تك 3: 22)، (رؤ 22: 2)، وقـــد امتلأت كنيسة الله بورقها لشفاء الأمم، حيث يأكل من ثمرها المحيي للأبد كل من يطلب الحياة الأبدية إلى نهاية الدهور»[3].

غير أنهما متميزتان: فالذبيحة المقدمة في الأفخارستيا تسمى "غير الدموية" من حيث أنها تمـــارس بعـــد قيامة المخلص الذي "بعدما أقيم من الأموات لا يموت أيضا، لا يسود عليه الموت بعد"[4]. فهي تقرب بدون سفك الدم، بدون موت، بالرغم من أنها تمارس كذكرى لآلام وذبح

---

[1]-Maurice Brillant et autres: Eucharistia, P162-164.

[2] - شجرة الحياة: من شأن هذه الشجرة ما ورد في سفر التكوين بأنها تضمن الخلود للذين يكونون أومناء الله، وفي الكتاب المقدس الأمانة هي صفة الله الكبرى (خر 34: 6)، وكثيرا ما يربط بينهما وبين رحمته الآبوية لشعب الله، والله يفرض على الإنسان أن يكون آمينا لعهده، والعبد الأمين هو المسيح الذي تمت فيه مواعد الله (2 كور 1: 20). معجم الإيمان المسيح، ص 64. معجم اللاهوت الكتابي، ص280.

[3] - تادرس يعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، ج4، ص293.

[4]- رؤ 6: 9.

حمل الله[1] «لأن الموت الذي ماته، قد ماته للخطيئة مرة واحدة»[2]

إن المعـــاني التي أعطاها يسوع بموته على الصليب أراد أن تبقى لنا مدى الأجيال، فقال لرســله بعد "كلماته" على الخبز والخمر: «اصنعوا هذا لذكري، وتقابل هذه الوصية كلام الرب لموسى عن يوم الفصح «هذا اليوم يكون لكم ذكرا فتُعيِدونه عيدا للرب، تُعيدون مدى أجيالكم فريضة أبدية»[3].

لم يكن العهد مع موسى عهدا بين الله وإنسان، بل بين الله وشعب لذلك كان لا بد من إعادة هذا العهد على مدى تاريخ هذا الشعب.

وكذلك عهد الله الجديد ليسوع المسيح لم يكن عهدا مع جماعة من التلاميذ بل عهدا مع البشرية بأسرها، لذلك يطلب يسوع من رسله أن يصنعوا لذكره ما صنعه ليتجدد العهد مع كل إنسان على مدى الزمن.

ثم إن الله في صـــليب يسوع، قد أظهر للعالم عمق محبته وقتل العداوة التي هي أصل كل شرّ في العالم بين الشعوب وبين الأفراد (أف 2: 13-18)، و«صالح العَالَم مع نفسه»[4] ، وأقام عهدا جديدا بينه وبين البشر[5]. - بحسب الديمان لمسيحي طبعا! -

---

[1]-تادرس يعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، ج4، ص293.

[2]-رؤ 6: 10.

[3]-خر 12: 14.

[4]-2كو 5: 19.

[5]-ملاك لوقا: الأفخارستيا، ص97.

[6]-مقولس: القداس الإلهي، ص213.

المطلب الثاني: القيامة والصعود وعلاقتهما بالأفخارستيا l'ascension et la Résurrection

يقول كيرلس[1] الإسكندري «**بأنّ كمال الذبيحة في الصعود**»[2]، بمعنى:

1-أن المسيح صار ذبيحة بالصليب.

2-أن المسيح صار ذبيحة **حية** بالقيامة

3-أن المسيح صار ذبيحة **حية دائمة** بالصعود.

لذلك ربط الصعود بالقيامة لما قال لمريم المجدلية[3] «إني صاعد لأبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم»، لذلك كانوا يسمون الذبيحة قديما "صعيدة"[4]: أي تنزل نار من السماء وتصعدها، "صعيدة طاهرة" لأن علامة قبول الذبيحة هو صعودها[5].

ثم إن القيامة والصعود هما أساس حلول الروح القدس لأنه كان لا بد أن يدخل المسيح إلى الأقداس[6]، «دخل الأقداس مرة واحدة فوجد فداء

---

(1) -كيرلس الإسكندري: بطريرك الإسكندرية، ولد في حوال 380، دافع بحمية عن "الإيمان القويم" ردا على البدعة النسطورية، قام بدور كبير في مجمع أفسس 431، حيث طلب إعلان أمومة مريم الإلهية. سيطرت شخصيته على الشرق المسيحي حتى وفاته 444م. ترك إلى جانب شروحه للكتاب المقدس مؤلفات دفاعية وعقائدية هامة. معجم الإيمان المسيحي، ص406-407.

(2) -بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ج2، ص139.

(3) -مريم المجدلية: كان بها مسّ من الشيطان، فأبراها يسوع، كانت حاضرة عند موت يسوع ودفنه، وهي أول من رأى يسوع القائم من بين الأموات. معجم الإيمان المسيحي، ص453.

(4) -صعيدة: ما يقدم لله أو ما يقرب، فيصعد وبالصعود يتم القبول. والصعود هو مغادرة الأرض، حيث يقيم البشر والارتفاع إلى السماء حيث يقيم الطوباويون.

وصعود الرب: هو خاتمة رسالة المسيح المنظورة على الأرض: لقد صعد المسيح إلى الآب فدخل جسميا في المجد يوم قيامته من بين الأموات (يو 20: 17). وبعد ذلك بأربعين يوما رآه الرسل يرتفع إلى أن حجبه غمام عن عيونهم (رسل 1: 3-11)، فكان ذلك لهاية محادثاته مع تلاميذه وخاتمة حضوره المنظور في هذا العالم إلى أن يعود في آخر الأزمنة.

وعيد الصعود: هو عيد طقسي لدخول المسيح في المجد ولـ"جلوسه عن يمين الله" يحتفل به يوم الخميس من الأسبوع الخامس بعد الفصح: La fête de l'ascension. معجم الإيمان المسيحي، ص297.

E.Royston Pike, dictionnaire des religions, P177.

(5) -بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ج2، ص141.

(6) - أقداس: اسم يطلق على شكلي الخبز والخمر الذين تم تقديسهما واللذين يُوَزعان على المؤمنين في أثناء الاجتماع.. أما يوم فهو مقصورة على جمعة معينة (يوم الصعود). معجم الإيمان المسيحي، ص54.

أبديـــا»[1] ، إذا بـــالفداء الذي تم على الصليب **دخل إلى الأقداس**، وبهذا الشرط -أي دخول الأقداس تكون الذبيحة قُبلت وبالتالي صعدت ودخلت إلى لدن الله الآب[2].

إذا بالأفخارستيا يتم الفداء: لمغرفة الخطايا وبالأفخارستيا تتم القيامة: لنوال الحياة الأبدية «تـــأتي ســـاعة يسمع فيها كل من في القبور صوت ابن الله والذين يسمعون يحيون»[3]، بمعنى يقومون من الموت!

المطلـــب الثالث: الأفخارستيا وعقيدة الخلاص، أو كيف يتم تحقيق الخلاص من خلال الأفخارستيا! Le salut à travers l'Eucharistie

-تعتبر عقيدة "الفداء والخلاص" مفتاح جميع العقائد النصرانية، ولتحقيقها وضع النصارى المســـيح -الـــذي أنجـــاه الله- على الصليب، وليتحقق الفداء على صورة ترضي الإله العظيم -بزعمهم- جعلوا المصلوب إلها لأجل نجاة البشرية وخلاصها من الخطيئة[4] والدينونة[5]، وهو ما عـــبر عنه بطرس بقوله: «عالمين أنكم أفتديتم لا بأشياء تفنى: بفضة أو ذهب..بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح»[6].

-وقد اختلف النصارى في تحديد الذنوب التي يشملها الخلاص والعباد الذين يستحقون هـــذا الفضـــل، فالكاثوليك والأرثودكس يرون أن الخلاص لا يشمل جمع الذنوب إنما يشمل الخطيئة الأصلية، يقول أغسطنوس: «بعد الفداء عادت للبشرية حريتها وإرادتها التي سلبتها بذنب

---

(1)-عب 9: 12.

(2) - بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ج2، ص143.

(3)-يو 5: 25.

(4) -الخطيئة: حددها أغسطينوس بقوله: «إن الخطيئة هي قول أو فعل أو رغبة تخالف الشريعة الأزلية»، وهذه الشريعة الأزلية هي الله نفسه بصفته القاعدة العليا لكل كائن، وبالتالي لكل فعل.

والخطيئة الأصلية هي التي يولد فيها كل إنسان والتي تزول بالمعمودية.. ومعيار كل خطيئة هو المحبة والمسيح هو المخلص الوحيد، نظرا إلى محبته للبشر. معجم اللاهوت الكتابي، ص312-317. معجم الإيمان المسيحي، ص202-203.

(5) -الدينونة: هي التي يكشف بها المسيح عن مجيئه الأخير مصير الناس الأبدي، والدينونة عامة وخاصة. أما العامة: تتك بظهور المسيح والقيامة العامة وتجدد الأرض والسماء (متى 25: 31-46)، وخاصة: وهي دينونة الله لكل إنسان عند الموت ومجازات كل واحد حسب أعماله.

والدينونة تهدف إلى خلاص كل إنسان بالمسيح (يو 3: 16). معجم الإيمان المسيحي، ص219.

(6) -1بطرس 1: 18-19.

آدم»[1]، فإذا ما أتى المتعمد ذنبا بعد معموديته فسيعود مستحق للعذاب الدائم وإن كان الذنب كبير.

أمـــا إذا كان الذنب صغيرا فيكون عذابه في المطهر، الذي يعذب به المؤمنون ردحا من الزمن حتى يخلصوا من القصاصات التي عليهم[2].

وللإجابـــة عـــن السؤال: لماذا يعتقد المسيحيون بأن الله حقق تحرير الإنسان من الخطيئة بوســـاطة حـــدث تـــاريخي معين هو موت يسوع؟ كانت هناك محاولات من طرف المسيحيين التقليديين حتى قدم القديس أنسيلم[3] في العصر الوسيط ما أسماه "بنظرية التعويض" التي قوامها أن خطورة الإهانات تقاس بمقام بالشخص المهان: ففيما يخص خطيئة البشر، لا بد لهذه الإهانة التي تمـــس الله اللامتناهي في العظمة من أن يعوض عنها التعويض المناسب، ولا يكفي لهذا التعويض سوى موت ابن الله نفسه[4].

إلاّ أنّ المسيحيين المعاصرين يرفضون نظرية "التعويض" لأنها تشوه مفهوم الصلاح والعدل الإلهـــيين والجـــواب السليم -بحسب المعتقد المسيحي طبعا-: أن الله اختار بملئ حريته أن يحقق خـــلاص البشر بوساطة يسوع فلم يكتف بأن جَسَّدَ كلمته في يسوع، بل أراد أن تكون لأفعال

---

(1) -ينتقد الآب عبد الأحد داود الأشوري-الذي اهتدى إلى الإسلام-فكرة الصلب والفداء والخلاص من الخطيئة التي أورثها ذنب آدم، يقول: «إن قيل بأنه بواسطة نظرية الخلاص خلص النصارى من الذنوب والخطايا فلا صحة لذلك، لأنهم يتلون في صلواتهم «واغفر لنا ذنوبنا» (متى 6: 12). كما ورد في موعظة متى: أنهم سيحشرون يوم القيامة ويقفون موقف الحساب (متى 25: 31-42). عبد الأحد داود: الإنجيل والصليب، نقلا عن: عزت الطهطاوي: الميزان في مقارنة الأديان ط دمشق دار القلم ص 455.

تعليق: وكيف يؤاخذ الله الواحد بذنب الآخر وقد ورد في الكتاب المقدس في العهد القديم «..كل إنسان بخطيئته يقتل» (تث 24: 16).

«النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الآب والأب لا يحمل من اثم الابن (حز 18: 20)، وهذا دليل على أنه لا علاقة لإثم آدم بخطيئة آدم -ولكنهم في ظلالهم يعمهون-.

(2) -بن يامين باسيلي: الأفخارستيا، ص135-142 بتصرف.

-توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، 1992، ص70-72.

(3) -أنسيلم: (1033-1109م): من أكبر أعلام الكنيسة، وكان من أوائل رواد الفلسفة في العصور الوسطى، اشتهر بنظريته عن ماهية الكائنات كدليل لإثبات وجود الله، وبكتابه المشهور «لماذا تجسد الله» (Pourquoi Dieu s'est fait homme).

E. Royston Pike: Dictionnaire des relegions, P17.

(4) -ملاك لوقا: الأفخارستيا، ص97.

بموتي[1] وتعترفون بقيامتي[2]، وتذكرونني إلى أن أجيء»[3] (1كو 11: 26)[4].

المطلب الرابع: الأفخارستيا والملكوت: البعد الاستكاثولوجي:

-الأفخارستيا والملكوت الإسكاتولوجي[*]:

إن كل فصح هو تذكار "بيوم الفداء الأخير".. حتى يأتي المسيح من العلاء ويتحقق الفداء الشامل لجميع الأجيال -كما يعتقد المسيحيون- فكل فصح هو نبوءة[5] عن اليوم الاستكاتولوجي والماسيوي، فقد ورد في ملاخي: «ها أنا ذا مرسل ملاكي فيهيء الطريق أمامي وفجأة يأتي إلى هيكله السيد الذي تلتمسونه وملاك العهد الذي ترتضون به، ها إنه آتيذ»[6].

---

(1) -تُبشرون بموتي: كناية عن الموت والفداء على الصليب: مع صليب المسيح تَغيّر معنى الموت بحيث أصبح ينبوع حياة وقيامة، حيث كفر المسيح بموته عن الخطيئة الذي كان الموت جزءا لها وأدى بذلك أعظم شهادة على حُبّه للبشر. معجم الإيمان المسيحي، ص487. - أنبا متاؤس : القداس الإلهي ص116.

(2) -تَعترفون بقيامتي: بالأفخارستيا تتحقق القيامة: قيامة المسيح هي خاتمة الفصح وعلة الخلاص، ونور الإيمان المسيحي، وهي موضوع البشارة المسيحية ومركزها (1كور 15)، وافتتاح "عصر الروح" الذي أفيض بموت المسيح وقيامته في انتظار قيامة جميع البشر في آخر الأزمنة.. بالمجيء الثاني. المصدر نفسه، ص386. معجم اللاّهوت الكتابي، ص643. المعهد نفسه ص 119.

(3) -وتَذكرونني إلى أن أجيء: هو المجيء الثاني بالأفخارستيا: فهو عودة المسيح في المجد (بمجد الله: هو الله نفسه بقدرته وأعماله، يقول إيرناوس: بمجد الله هو الإنسان الحي، والمسيحي هو شعاع مجد الله . معجم الإيمان المسيحي، ص434) في آخر الأزمنة لإجراء الدينونة الأخيرة (متى24: 3). ويسمى في التقليد "بالمجيء الأخير" أو "المجيء المجيد" علما بأن المجيء الأول هو "التجسّد"(هو سر الله الذي صار إنسانا، كما تعني الساعة التي اتخذ فيها كلمة الله جسدا في أحشاء مريم وأحيانا تعني حياة المسيح وأعماله فيشمل "سر التجسد" سر الفداء. معجم الإيمان المسيحي، ص138). معجم الإيمان المسيحي، ص439.

(4) - معجم اللاهوت الكتابي، ص321-326 بتصرف. - أنبا متاؤس: القداس الإلهي ص 121.

-توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص73-75.

(*) -الإسكاتولوجيا: لفظة يونانية تعني: التحقيق الأخير والأقصى والنهائي لملك الله في العالم، أي تحقيق تأله الكون بحلول الروح القدس، وقد بدأ هذا التأله في تجسد كلمة الله في العالم في شخص ياسوع المسيح. [E.Royston Pike : Dictionnaire des religions, P122.]

(5) -نبوءة: هي قول النبي، والنبي: هو إنسان يتكلم باسم الله ليطلع على إرادته، ورسالة النبي لا تقف عند حد الإنباء عن المستقبل فحسب، بل إن عليه "أن يبني ويعضد ويعزي" وبحسب بولس (1كور 14: 1-5) أن موهبة النبوة لن تنقضي مع عهد الرسل وإلا لكان من العسير إدراك رسالة الكثيرين من قديسي الكنيسة دون الرجوع إلى الموهبة الروحية التي أفاضها روح المسيح في يوم العنصرة على شعب الله الجديد.. وقد توافرت كثيرا في الكنيسة الرسولية. ويريد بولس في الكنائس التي أسسها ألا يحط من قدر هذه الموهبة الروحية الجليلة (1تسالونيكي 5: 20). معجم اللاهوت الكتابي، ص802-803.

(6) -ملا 3: 1.

وفي العشـــاء الفصحي كانت تقرأ المزامير (113-118) التي تدعى "مزامير التسبيح" وهي ترمز إلى اليوم الإسكاتولوجي الذي سيملأ الله فيه العالم بالفرح في آخر الأزمنة. ولما دخل يسوع إلى أورشليم للاحتفال بالفصح الحقيقي استقبله الشعب وهم يهتفون بما جاء في الآية 26 مـــن المـــزمور عيـــنه: «مـــبارك الآتي باسم الرب»، فبالمسيح يتحقق انتظار العهد القديم لليوم الإسكاتولوجي[1].

أ-الإسكاتولوجيا في العشاء السري:

لقد صرح المسيح أنه لن يأكل بعد من هذا الفصح حتى يتم في ملكوت الله.. ولن يشرب بعـــد من ثمرة الكرمة إلى أن يأتي ملكوت الله، كما جاء في لوقا. ويقول متى في إنجيله: «إني لن أشـــرب من ثمرة الكرمة من الآن إلى اليوم الذي فيه أشربه جديدا في ملكوت أبي (متى 26: 29) ويتضمن هذا القول إنباء المسيحي عن موته: فهو لن يحتفل بفصح آخر مع الرسل، ولكنه يتضمن أيضا إنباء آخر، مفعما بالرجاء بأن الفصح سيتم بكماله في ملكوت الآب وهذا هو الخمر الجديد أي يوم الفرح[2]، والابتهاج، ويوم الفداء للخليقة كلها[3].

ب-انتظار الفصح الأبدي في الكنيسة الأولى:

لقـــد عاشـــت الجماعـــة المسيحية الأولى تشدها رغبة الاشتراك مع المسيح في الوليمة السماوية في ملكوت الآب، فكانت كل مرة تجتمع لتتناول "عشاء الرب" تذكر عشاءه الأخير، وتذكر قيامته وتنتظر مجيئه الثاني، كما تقول معظم الليتورجيات بعد كلام التأسيس: «اصنعوا هذا لذكـــري، فإنكم كلما اشتركتم في هذا الجسد وفي مزيج هذه الكأس تذكرون موتي وتعترفون بقيامتي حتى مجيئي».

---

(1) -بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ج2، ص147.

(2) -الفرح: يحتل الفرح البشر ي مكانا كبيرا في العهد القديم، ولا سيما في المزامير، فإن الله يجعل منه موضوع مواعده وبذلك يوجه العهد القديم الأنظار نحو الأفراح الأخيرية، وفي العهد الجديد نجد الإنجيل مليء بالأفراح التي أتى بها عيسى ولا بد للصليب ان يكون مصدر فرح، فهو أيضا وإن بدا معارضا للسعادة لأن بالخلاص وافتتاح الازمنة الأخيرية.. فإن هتفات الفرح ترتفع في عرس الحمل عند اتحاد الكنيسة بالمسيح في آخر الأزمنة (رؤيا 19: 7) «وكصورة رعود شديدة قائلة هللويا فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء لنفرح ونتهلل ونعطه المجد لأن عرس الخروف قد جاء وامرأته قد هيأت نفسها». وهنا يرمز إلى الكنيسة. معجم الإيمان المسيحي، ص352.

(3) -الأنبامتاؤس: القداس الإلهي، ص111.

-البابا شنودة الثالث: حول سر الأفخارستيا، ص34.

وانتظار مجيء "الرب" يذكره أيضا بولس في حديثه عن عشاء الرب «فإنكم كلما أكلتم هـــذا الخـــبز وشربتهم هذه الكأس، تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء» (1كو 11: 26)، كما حفظ أيضا بولس باللغة الآرامية هتاف الكنيسة الأولى لمجيء الرب: "ماراناتا" ويعني: «أيها الرب تعالى» (1كو 16: 22).

إن ملكوت الله قد أتى في شخص يسوع المسيح -كما يعتقد الآباء: في حياته، وفي موته وقيامته ولكنه سوف يأتي في آخر الأزمنة «وسيضع الرب لكل الشعوب مأدبة.. ويبيد الموت على الدوام ويمسح الرب الدموع عن جميع الوجوه» (أش 25: 6-7)، وهذا ما يصلي به المسيحيون في كل احتفال أفخارستي، الصلاة المشهورة: «أبانا الذي في السماوات... ليأت ملكوتك»[1].

جـــ-الملكوت وعربون[2] الروح:

إن ملكوت الله الذي ينتظره المسيحيين ليتم في آخر الأزمنة يمكنهم الحصول عليه في هذه الدنـــيا بصـــلواتهم: «إن ملكوت الله في داخلكم» (لو 17: 30). وفي سر الأفخارستيا يُرسَل المسيح بالروح القدس الذي هو حسب قول بولس: «عربون ميراثنا» (أف 1: 14) وهذا الميراث هو "المسكن السماوي الذي من الله، البيت الأبدي الذي لم تصنعه الأيدي»، كما يضيف بولس: «والـــذي أعدنا لذلك هو الله الذي أعطانا عربون الروح» (2كو 5: 1-5). وبحسب الاعتقاد الآبـــائي، فـــإن ما يتناوله المسيحيون في سر الأفخارستيا هو المسيح الحي **والذي يحيي بالروح القدس!** .

يقـــول أمبروســـيوس: «إنـــه خبز الحياة، من يأكل الحياة لا يمكنه أن يموت، تعالوا إليه وأشـــبعوا، فإنه خبز الحياة، تعالوا إليه واشربوا فإنه ينبوع، تعالوا إليه واستنيروا فإنه النور، تعالوا إليه وصيروا أحرارا لأنه حيث يكون روح الرب فهناك الحرية»[3].

---

(1) - البابا شنودة الثالث: حول سر الأفخارستيا، ص36-37.

(2) -عربون الروح Arrhes: في رسائل القديس بولس، هبة الروح بصفتها باكورة مواعد المسيح (أف 1: 14) «الذي هو عربون ميراثنا..». معجم الإيمان المسيحي، ص324.

(3) - البابا شنودة الثالث: حول سر الأفخارستيا، ص39.

- لأنبا متاؤس: القداس الإلهي، ص317.

د-الأفخارستيا تدخل الكنيسة في الإسكاتولوجيا:

يقول إيريناوس[1] أسقف ليون: «إنّ الأفخارستيا هي سر المسيح، والمسيح هو في شخصه الاستكاتولوجيا كلها»[2].

ومعنى هذا أن الاستكاتولوجيا تدخل في العالم عن طريق الأسرار كلها، ولكن الأفخارستيا هو السر الذي يجعل الكنيسة متصلة مع نهاية الزمن، بحيث أن يوم الاحتفال بها يحمل الاسم عينه الذي يطلق على المجيء الثاني: "يوم الرب"...

يدعو المسيحيون الأفخارستيا "مائدة الرب"، مائدة من هو رب اليوم الآخير، إنها سر مجيئه الموعود به: «لن أَدَعَكم يتامى، إني آتي إليكم .. أنا ذاهب، ثم أرجع إليكم»[3].

فما هو المجيء المقصود به؟ إنه المجيء الوحيد، المجيء الأخير، حيث أن الأفخارستيا هي سر الرؤية الموعود بها: «عما قليل ترونني»[4] ، إذا فما هي تلك الرؤية التي يتكلم عليها؟ إنها الرؤية الوحيدة، الرؤية الفصحية والأخيرة التي ستجعل المسيحيين (أمثاله) [5]، عندما ستتمزق كل الحجب، لكن هذه الرؤية حاضرة منذ الآن في الأفخارستيا التي تحول المسيحيين "منذ الآن" إلى جسد المسيح[6] -بحسب الإيمان المسيحي طبعا-.

إذا فالأفخارستيا هي سر آخر الأزمنة (الإسكاتولوجيا) حيث موت المسيح يؤدي إلى الحياة الحقيقية التي لا تنتهي (رومية 6: 9-10).

هذا هو بحسب المسحيين عصر "الخيرات المستقبلية -الاسكاتولوجية" في آخر الأزمنة،

---

[1] -إيريناوس St Iréné: أصله من آسيا الصغرى، كان من كهنة كنيسة ليون في أيام اضطهاد عام 177م، وبعد استشهاد يوستين أصبح أسقف هذه المدينة، مات حوالي 202، وجه نشاطه نحو التبشير ومقاومة البدع، من مؤلفاته: «الرد على البدع وبرهام الكرازة الرسولية». أثر فكره اللاهوتي في تفكير آباء الكنيسة في القرنين الثالث والرابع. معجم الإيمان المسيحي، ص84.

[2] - البابا شنودة الثالث: حول سر الأفخارستيا، ص49.

-الأنبا متاؤس: القداس الإلهي، ص319.

[3] -يو 14: 18-29.

[4] -1 يو 16: 16.

[5] -1 يو3: 2: «..ولكن نعلم أنه إذا أُظهر (أي المسيح) نكون مثله (أي نُولَد بالروح)، لأننا سنراه كما هو».

[6] - البابا شنودة الثالث: حول سر الأفخارستيا، ص51.

-الأنبا متاؤس: القداس الإلهي، ص321.

وليس العصر الحاضر سوى ظل له -عبرا 10: 1): فقد حلّ دم المسيح نهائيا محل دم ذبائح العهد القـــديم، الذي لا يجدي (عبرا 9: 12-14)، حيث أن العهد الجديد الذي بدم المسيح قد أزال القـــديم (عـــبرا 8: 13): «فـــإذ قـــال جديدا عَتَقَ الأول وأمّا ما عتِق وشاخ فهو قريب من الاضـــمحلال، وهو يوفر الميراث الأبدي ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد... إذ صار موت لفداء التعدّيات التي في العهد الأول ينالون وعد الميراث الأبدي»[1] [2].

إذا فالوعد الاستكاتولوجي عند المسيحيين يتحقق بالأفخارستيا وخلاصة ما تقدم ذكره -والذي ينبغي أن نوصِل معناه كما هي عليه في اعتقاد المسيحيين-، هو أنّ العهد الجديد بدم يســـوع يقـــود إلى الحـــياة الأبدية «من يأكل جسدي ويشرب دمي فله الحياة»[3] ، ففي سر الأفخارســـتيا يحصل المسيحي على الحياة الإلهية: بحيث إن تاب (سر التوبة) واعتمد (المعمودية) وشرب الكأس باستحقاق (أفخارستيا مقبولة) ينال الخلاص ويدخل في الملكوت السماوي دخولا ســـريا كما في لوقا «إن ملكوت الله في داخلكم»[4] على رجاء الدخول الكامل في مجد الله في الدهر الآتي!

---

[1] -عبرا 9: 15.

[2] -معجم اللاهوت الكتابي، ص77-79.

[3] -يوحنا 6: 54.

[4] -لو 17: 30.

نتائج الفصل :

نجمل نتائج الفصل فيمايلي :

- "هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي"، فبحسب الإيمان المسيحي أعطى يسوع حياته ليُنشئ عهدا جديدا بين الله والناس. وهكذا كان موته نقطة إنطلاق لحياة جديدة في العالم، كما جاء في رسالة بولس الأولى إلى تيموطاوس : "إن الله واحد والوسيط بين الله والناس واحد، الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فداءا عن الجميع" (1 تيم 2 : 6/5).

- إن تقدمة يسوع ذاته للموت بحسب إعتقادهم تنشئ عهدا جديدا.. والعهد يتضمن طقوسا وشريعة وشعبا، فالعهد القديم أُنشئ بين الله وشعبه على يد موسى بواسطة دم الحيوانات : "وأخذ موسى الدم ورشّه على الشعب وقال : هو ذا دم العهد الذي عاهدكم به الرب على جميع هذه الأقوال" (خر24/8).

أما يسوع فينشئ عهدا جديدا بدمه الخاص.

والعهد القديم كان مبنيا على شريعة الله التي أُعطيت لموسى، أما العهد الجديد فمبني على تعاليم يسوع ومحبته التي جعلته يسكب دمه عن أحبائه.

وفي العهد القديم، نشأ مع موسى شعب الله المكون من الشعب اليهودي أما في العهد الجديد، فنشأ مع المسيح شعب الله الجديد المنفتح على جميع الشعوب.

- يشير العهد القديم إلى الأفخارستيا عن طريق "كرمة داود" (سفر أشعيا الخامس) أما في العهد الجديد فإن يسوع هو الكرمة الحقيقية (يو 15) فبحسب الإيمان الآبائي أن أول من شرح القول الذي جاء في الديداخي عن كرمة داود بأنها كأس الأفخارستيا هو كليمندس الإسكندري.

-إن ذبيحة الشكر، وبحسب التقليد المسيحي تقوم على ثلاثة أعمال أساسية "هامة جدّا":

عمل طقسي، عمل سرائري وعمل شرحي.

أما **العمل الطقسي**، فهو بحسب التقليد القديم الذي مارسه المسيح أمام تلاميذه وسلمه لهم (Le rituel).

وأما **"العمل السرائري"**، فلا يتم إلا بصلاة "الاستدعاء" (L'épiclèse) "لحضور المسيح" حتى يحدث تحول القربان إلى الجسد والدم.

وأما **العمل الشرحي**، فقد تطلب وضع صيغة جديدة للأفخارستيا تشرح الطقس حسب التقليد شرحا وصفيا ليسمع الشعب ويفهم ما يتم أمام عيونهم، وبذلك صارت الأفخارستية

الجديدة الرسولية عبارة عن تسجيل وصفي تاريخي مشروح لما أتمه المسيح في العشاء الأخير.

- الأفعال الأربعة الرئيسية في الأفخارستيا بعد إنفصالها عن الأغابي :

أ- التقدمة : **أخذ** خبزا/ **أخذ** كأسا L'offrande.

ب- التقديس : **بارك وشكر** La consécration.

ج – القسمة : **وكسر** La fraction.

د – الإشتراك أو التناول : **وأعطى** La communion.

- يعطي بولس معنى لاهوتي للأفخارستيا فهو يربط "الذكرى" L'anamnèse بالموت الكفاري والخلاص لإفتداء البشرية فيجعل الحادثة التي **تمت حاضرة وآنية :**

"L'actualisation du sacrement".

- تحديد شروط الإشتراك في المائدة الأفخارستية :

أ- الإيمان الكامل بحقيقة التحول **La transsubstantiation.**

ب- التوبة والإعتراف.

جـ- الإستحقاق.

- إن ماصنعه المسيح أثناء العشاء الأخير "..هذا هو دمي **دم العهد الذي** يهراق عن كثيرين لمغفرة الخطايا" بهذه الكلمات على الخبز والخمر أوضح معاني **موته على الصليب**..

- يرى المسيحيون في موت يسوع على الصليب تحقيق لكل النبواة **القديمة** وهذا ما تفسره الرسالة إلى العبرانيين التي تقارن بين العهد الأول (القديم : عبرا 8 : 7، 9 : 1)والعهد الثاني (الجديد) (عبرا 8 : 8 /13).

- الذي توصّلتْ إليه الدراسات أن اللغة التي "قدّسَ" بها المسيح، أي البركة وشرح السرّ وكلمات العهد قالها بالعبرية بإعتبارها اللغة المقدسة Linga Sacra وأما العبارات العادية فقالها المسيح بالآرامية (اللغة الدّارجة).

-أول صورة لمحاولة فصل الأغابي عن الأفخاريستيا تظهر في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس سنة 54م.

وهكذا نجد بولس –مرة أخرى- يسعى في تشويه المسيحية، محاولا إضفاء "السرية" و"القُدُسية" على عشاء عادي يجمع أعضاؤه التسامح والمحبة التي جاءت بها "شريعة المسيح"،

مُستقيا أفكاره من حقده القديم وبيئته الهلنستية[1] السابقة!

- لم يكن تعليم الآباء عن الأفخارتسيا تعليما عقليا، وإنما تعليما روحيا، بحيث لم يقتربوا من الأفخارستيا بطريقة عقلية تحليلية، وإنما كانت عندهم بمثابة السر: "سر التقوى"[2].

-تُحدِّد الدِّيداخي (أقدم مصدر للقانون الكنسي ما قبل 100م)، للأفخارستيا شروط ضرورية لا تُقبل ولا تَتِمُّ إلا بها:

أ-إرتباطها "بيوم الرب".

ب-الإعتراف بالخطايا والمصالحة.

جـ-الأفخارستيا "طاهرة للأطهار فقط" (تطهير الضّمير).

-تُفيد الدِّراسات التاريخية أن بولس هو أول من سلّم عمليا هذا التقليد اللّيتورجي في بداية رحلته التبشيرية إلى كورنيتس عام 49م، ثم كتبه في ربيع 54م: وهو أول من حرَّف النّصوص بإدخال تعبيرات يونانية جديدة مُبرِّرا لذلك "بتقريب المعنى إلى الأذهان"، فكلمة "بارك" صارت "شكر"، و"هذا دمي" صارت "هذه الكأس"!!

هكـــذا يكون بولس قد لعِب دورا رئيسيا في إقحام العقائد الوثنية في النصرانية وحتى أنّ أغلب العلماء (كما سيأتي بيانه في الفصل الأخير) يُجزمون بأن تلاميذ المسيح أناس بسطاء وسُذَّج ما كانو ليُفسِّروا "العشاء الأخير" بهذا التفسير الفلسفي الغريب!

---

(1)-الهيلنســية: هــي الحضــارة اليونانية في أوسع انتشارها، كثيرا ما عدها اليهود المسيحيون معارضة لإيمانهم. [معجم الإيمان المسيحي، ص527].

(2)-ســر الــتقوى: وهو ما لا يدرك بالحواس، بل بالإيمان، وسر الإيمان هو سر الخلاص وهو قلب الوحي والمعتقد المسيحي. [معجم الإيمان المسيحي، ص260].

الفصل الرابع:

تفنيد أسطورة القربان المقدس (الأفخارستيا) من خلال دراسة نقدية للعلماء المسلمين والعلماء الغربيين

المبحث الأول: نقد العلماء المسلمين لسرّ الأفخارستيا

المبحث الثاني: نقد علماء الغرب للعقيدة الأفخارستية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

لقد شَنَّعَ العلماء المسلمون طويلا على فكرة الاستحالة التي يرفضها العقل ولا تستصيغها الطبيعة البشرية، إذْ لم تسمع الدّنيا عن إله يُؤكل ويوصي بذلك: «خذوا كلوا ...هذا هو جسدي..»، وقد كانت عقيدة "العشاء الرباني" أهمّ ما اعترَض عليه البروتستانت حين انفصالهم عن الكنيسة الكاثوليكية (زونجلي وكلفن).

وهذه الفكرة، وثنية المنشأ حيث كانت تصنعها العديد من الأمم الوثنية، باعتقادهم أن معبودهم يحلُ في أجسامهم أثناء تأدية طقوسهم[1]، ومنهم الفرس الذين اعتقدوا أن متراس يمنح البركة للخبز والخمر في العشاء[2]. وهكذا تسربت هذه الاعتقادات الفاسدة إلى الديانة المسيحية على يد أناس زعموا أن ما تسلّموه من الرسل كان شفاها، وأرسوا قواعد هذا التقليد وجعلوا منه عبادة مفروضة، والتي من أشدّها خطرا على الإيمان المسيحي القويم "الأفخارستيا" ولكن -وليحق الله الحق بكلماته- بقيتْ نصوص من كتابهم تشهد على مدى إجحافهم (ولكنّهم لا يبصرون)، فالمسيح ذاته يُحذّر من التَردي في التقليد[3] ويصف عبادتهم لله بالباطلة: «فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم، يا مراؤون حسنا تنبأ عنكم إشعيا قائلا: يقترب إليّ هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيدا، وباطلا يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس» (متى 15: 6-9).

وقد أخرج الله من أصلابهم أناس هداهم بنوره -ليكونوا حجة عليهم- ومن بين هؤلاء:

---

[1]-وال ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، عبد الحميد يونس، ومحمد بدران، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1965، مج1، ج1، ص114.

[2]-المرجع نفسه، مج3، ج11، ص283.

[3] التقليد عند المسيحيين هو كل ما دخل الإيمان وحياة الكنيسة، وبالتالي تناقل صلب العقيدة المسيحية، والتقليد عندهم هو كل ما كتب في الإنجيل وما حفظته الكنيسة من تعاليم والفرائض. معجم الإيمان المسيحي، ص151.

المبحث الأول: نقد العلماء المسلمين لسر الأفخارستيا

المطلب الأول: أنسيلم تورميدا Anselm Turmeda الشهير بعبد الله الترجمان ا لأندلسي

هذا الناقد الذي أسلم وردّ على النصارى مبينا بطلا ن عقائدهم و اختلاف قلوبهم وفساد مذاهبهم من خلال كتابه "تحفة الآريب في الرد على أهل الصليب"[1].

وقد آثرنا أن ندرجه كأوّل نموذج عن النقد الإسلامي القديم، لما أولاه من اهتمام في نقد الأناجيل وريادته في علم مقارنة الأديان نتيجة احتكاكه بالنحل والملل الأخرى، وأنه كان على عهد المسيحية واحدا من قسيسيها، كما أحاط بعديد من اللغات نذكر منها الإسبانية والإيطالية والفرنسية واليونانية، ثم أضاف إلى ذلك معرفته باللغة العربية التي تعلمها بعد إسلامه عندما عمل قائدا في البحر يترجم بين النصارى والمسلمين حتى حفظ اللسان العربي في مدة عام، لكثرة ما يتكرر عليه -على حد تعبيره-[2].

وقد كان إسلامه باختياره رغبة في دين الحق[3]، فإيمانه جاء عن رغبة وعن علم ومعرفة وليس عن تقليد وتبعية، ونذكر أن قسيسا جاءه من أرض الأندلس ليأخذه بالصداقة التي كانت بينهما، فرفض الرجل أن يعود للنصرانية مرة أخرى، والجدير بالذكر هو أن كثيرا من العلماء والمفكرين عندما يتجردون من الأهواء لا يترددون في اختيار ما يرونه حقا، أمثال علي بن ربن الطبري[4] -قديما-، والفيلسوف الفرنسي جارودي والعالم الطبيب موريس بوكاي -حديثا-.

---

[1]-الشرفي عبد المجيد: تحفة الآريب، ترجمة ذاتية ورد إسلامي على النصارى لعبد الله الترجمان، حوليات الجامعة التونسية، ع12، 1975، ص283.

[2]-عبد الله الترجمان: تحفة الآريب في الرد على أهل الصليب، تقديم وتحقيق وتعليق: محمود علي حماية، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1992، ص22.

[3]-المرجع نفسه، ص22.

[4]-علي بن ربن الطبري (770-855): أكد تحريف الأناجيل من خلال مؤلفاته القيمة: "الرد على النصارى" (Riposte aux Chretiens) ومؤلف آخر: "الدين والدولة" أسلم عن علم يناهز السبعين عاما، ثم ألف كتابه ليبين فساد عقيدة نصارى ويدعوهم إلى دين الحق.

Ali Al Tabari: Riposte aux Chretiens, traduction francais: Jean Marie Gaudeul, Pontificio Istituto d'istudi Arabi et d'Islamistica, P.I.S.A.I, Roma, 1995, P2-4.

واستطاع عبد الله الترجمان في كتابه القيم "تحفة الآريب.." أن يُثْبِت بالأدِلّة العلمية أن القرآن الكريم هو الكتاب المقدس الوحيد الذي خلا من التحريف والتبديل[1].

وفيما يلي نورد نقد الترجمان (753-827هـ-1353-1425م) لعقيدة الأفخارستيا:

إن الناقد أنسيلم تورميدا يُعرف باسمه الأعجمي في الثقافة القسطالية(*) كأديب يكتب بلغته القومية واشتهر باسمه العربي في الثقافة الإسلامية كمؤلف للرد على النصارى، وهو "تحفة الآريب..." في الرد على أهل الصليب[2].

الترجمان يفحص سند رواة الإنجيل

فكان كتابه مناقشة لعقائد النصارى وفِرقهم وفساد مذاهبهم، كما ذكر فيه رأيه في الأناجيل الأربعة واعتبرها كذبا وتلفيقا من طرف هؤلاء الأربعة (متى، مرقس، لوقا، يوحنا).

فيقول: «إعلموا رحمكم الله أن الذين كتبوا الاناجيل الأربعة هم (متى ولوقا ومركوس ويوحنا) وهؤلاء الذين فسدوا دين عيسى -عليه السلام- وزادوا ونقصوا وبدلوا وغيروا كلام الله تعالى، مثلما أخبر سبحانه عنهم في كتابه العزيز، وليس هؤلاء الأربعة من الحواريين الذين أثنى الله عليهم في القرآن الكريم»[3].

فقرر الترجمان أن الأربعة هم الذين أدخلوا الإضافات والتعديلات عن الإنجيل، وكان بذلك مغايرا للإنجيل الأم، والسبب في ذلك في رأيه أنهم ليسوا من الحواريين. ثم يدلل على ذلك فيقول: «فأما متى وهو الأول منهم، فما أدرك عيسى ولا رآه إلا في العام الذي رفعه الله فيه إلى سمائه، وبعد أن رُفع عيسى كتب متى الإنجيل بخطه في مدينة الإسكندرية..»[4]، ثم يذكر ما ورد في متى الإصحاح الأول الفقرات من 13-17 وبعدها يقول: «هذا نص كلام متى في إنجيله، وهو باطل وكذب وزورا وبيان أن بيت لحم بينها وبين المقدس 5 أميال، فلو كان الملك روجس خائفا من هذا المولود وباحثا عنه لسَار بذاته مع الثلاثة نفر .. وهذا دليل كذب متى في هذه

---

[1]-عبد الله الترجمان: تحفة الآريب في الرد على أهل الصليب، ص23.

[2]-الشرفي عبد المجيد: تحفة الآريب، ص283.

[3]- عبد الله الترجمان: تحفة الآريب في الرد على أهل الصليب، ص24.

[4]- المرجع نفسه، ص24.

(*) القسطالية : الإسبانية .

الحكاية..» [1].

ويقارن هذه الرواية، ويقول: «وأيضا أن لوقا ومارقس ويوحنا لم يذكرا شيئا من هذا في أناجيلهم ومتى لم يحضر للمولود ولكنه نقله عن كذاب افتعله على ما نقله»[2].

ثم ينتقل إلى إنجيل لوقا فيقول: «وأما لوقا فلم يدرك عيسى ولا رآه البتة وإنما تنصر بعد أن رفع عيسى عليه السلام وكان تنصره على يد بولس الإسرائيلي، وبولس أيضا لم يذكر عيسى ولا رآه، وكان أكبر أعداء النصارى...» [3].

يتناول بعد ذلك شخصية ماركمس فيقول: «وأما ماركس فما رأى أيضا عيسى قط وكان دخوله في دين النصارى بعد أن رفع عيسى عليه السلام وتنصر على يد بيتر والحواري، وأخذ عنه الإنجيل بمدينة روما وماركس هذا قد خالف أصحابه الثلاثة الذين كتبوا الإنجيل في مسائل جمة...» [4].

وأخيرا يتناول صاحب الإنجيل الرابع، يوحنا فيقول: «وأما يوحنا فهو ابن خالة عيسى عليه السلام ويزعم النصارى أن عيسى حضر في عرس يوحنا، وأنه حول الماء خمرا في ذلك العرس وهذه أول معجزة ظهرت لعيسى -عليه السلام- فإن يوحنا لما رأى ذلك ترك زوجته وتابع عيسى على دينه وسياحته... ويوحنا هذا هو الرابع من الذين كتبوا الأناجيل الأربعة كما قلنا، وقد كتبه بالقلم اليوناني في مدينة شوس»[5].

نتائج عبد الله الترجمان

بعدما فحص صلة رواة الأناجيل واعتبر أن ليس لهم صلة بعيسى -عليه السلام- ولا بالإنجيل يقرر جملة من النتائج: فهؤلاء الأربعة هم الذين جعلوا الأناجيل أربعة:

1-حرفوها.

---

[1]-عبد الله الترجمان: تحفة الآريب في الرد على أهل الصليب، ص25.

[2]-المرجع نفسه، ص25.

[3]-المرجع نفسه، ص25-26.

[4]-المرجع نفسه، ص26. [5] المرجع نفسه ص26.

2-بدلوها.

3-كذبوا فيها.

4-وما كان الذي جاء به عيسى إلا إنجيل واحد، لا تدافع فيه ولا اضطراب ولا اختلاف.

5-الكذب على الله وعلى نبيه عيسى مما هو معلوما مشهور ولا يقدر النصارى على إنكاره[1].

فبعدما أكد عبد الله الترجمان نظرته النقدية للأناجيل والتي أفرزت أناجيل محرفة، مبدّلة من طرف رواتها الأربعة، دعم مرة أخرى هذه النتيجة بإيراده في صفحات أخرى من كتابه الكثير من الاختلافات والتناقضات التي وردت في الأناجيل ليعزز نتائجه المتوصل إليها، ومن أهم ما ذكره قوله: «إعلموا -رحمكم الله- أن الذين كتبوا الأناجيل الأربعة اختلفوا في أشياء كثيرة وذلك دليل على كذبهم فلو كانوا على حق ما اختلفوا في شيء:قال الله عز وجل في كتابه العزيز الذي أنزله على صفيّه محمد ﷺ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[2].

فجعل الترجمان الاختلاف، دليل الكذب على الله، لأن كل ما هو من عند الله تعالى لا تختلف معانيه ولا تضطرب مبانيه، وكل ما كذبه الكاذبون عليه لا بد أن يفضحهم بوجود الاختلاف والاضطراب فيما كذبوه.

---

[1]-عبد الله الترجمان: تحفة الآريب في الرد على أهل الصليب، ص27.

[2]-سورة النساء، الآية 82.

ومن نصوص كذب هؤلاء الذين كتبوا الأناجيل يذكر الترجمان **رواية العشاء الأخير**[1]:

مرقس	متى	لوقا	يوحنا
أن عيسى قال لهم أن الذي يصبغ خبزه معي في القصعة هو الذي يخونني. (14: 20)	أن عيسى قال لهم أن الذي يصبع خبزه في صفحته هو الذي يخونني. 26: 23	أن عيسى قال لهم أن الذي يخونني هو معي في التلاميذ. (22: 21)	الذي أعطيته الخبز مصبغا في المرقة (13: 26)

وهكذا بما تبين من تحريف الأناجيل، تسقط الفقرات التي يستدلون بها على تأسيس"سر القربان" وبالتالي تسقط هذه العقيدة (عقيدة الأفخارستيا) **ومعها كل المسيحية المحرّفة!**

المطلب الثاني: نقد الإمام القرافي لسرّ القربان (من خلال كتابه "الأجوبة الفاخرة") (684-1285م)

هو الإمام أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن أبو العباس شهاب الدين الصنهاجي من علماء المالكية، نسبته إلى قبيلة صنهاجة من برابرة المغرب، وإلى القرافة بالقاهرة، له مصنفات كثيرة في الفقه والأصول منها: "الفروق والأحكام" و"الذخيرة".

وقد اعتمدنا في دراسة الأفخارستيا أو "سر القربان المقدس" عند القرافي على كتابه المسمى "الأجوبة الفاخرة في الرد على الملة الخاسرة"، وقد نهج في كتابه هذا منهجا سار عليه كثير من علماء المسلمين القدامى، حيث يورد حجج أهل الكتاب في إثبات عقائدهم وشبهاتهم على الإسلام، ثم يُرُدُّ عليها وَيَدْحَضُها إما عقلا أو نقلا من الكتاب المقدس، وهذا في صيغة سؤال وجواب[2].

وعن تفنيده لسر القربان يوضح القرافي: بأن النصارى يأكلون الخبز على أنه جسد المسيح الذي بُذِل من أجلهم، ويشربون الخمر على أنها دم المسيح، ويستدلون على ذلك بما ورد

---

[1]-عبد الله الترجمان: تحفة الآريب في الرد على أهل الصليب، ص57-58.

[2]-ابن فرحون إبراهيم نور الدين: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414 هـ-1996م، ص128-129.

من الإنجيل: «وأخذ خبزا وشكر وكسر وأعطاهم قائلا: هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم، اصنعوا هذا لذكري» وكذلك الكأس بعد العشاء قائلا« هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم» (لوقا 22: 19-20).

ويعيب القرافي على النصارى فلسفتهم هذه إذْ في الوقت الذي اكتفى اليهود بصلبه نجد النصارى قد مزّقوا جسده وشربوا دمه في الأعياد والمواسم[1]، ثم يُعطي تفسيرا رمزيا للآية الإنجيلية السّابقة الذكر -وهذا في حالة ما إذا كانت صحيحة- بأنّ المسيح عبّر لهم بشيء حسي فشبه لهم غذاء الأرواح بغذاء الأجساد[2].

المطلب الثالث: نقد عبد الرحمن باجاجي زادة للأفخارستيا:

يعد عبد الرحمن زادة[3] من الأعلام المسلمين الذين أولوا لعقيدة الأفخارستيا كل الدراسة والتمحيص، وقد تتبع حادثة العشاء الأخير بحسب ما تُصوره الأناجيل من مبتداها إلى منتهاها و لم يترك حادثة لها ارتباط بالموضوع إلا تطرق إليها وتفحصها.

وعن"عقيدة"الأفخارستيا يقول عبد الرحمن زادة: «إن رواة الأناجيل الأربعة اختلفوا في نقل هذا الافتراء الذي تضمن آلام المسيح وموته وقيامته، فوجب أن نبيّن أولا للمُطالع ما تضمّنته حكاية تلك الرواة من الاختلاف والتناقض، ثم نأتي بذكر ما ظهر لنا من الأدلة التي تُثْبت أن المصلوب غير المسيح، وأن القول بصلب ذاته انتقاص له -عليه السلام-»[4].

-الأحداث السابقة لحادثة تأسيس "العشاء الأخير":

تروي الأناجيل أحداث عدة سبقتْ وواكبتْ حادثة تأسيس العشاء الأخير، أفرد لها

---

[1]-القرافي شهاب الدين أحمد بن أدريس: الأجوبة الفاخرة ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1406هـ-1986م، ص 119.

[2]-المصدر نفسه، ص119-159.

[3]-عبد الرحمن بن سليم بن عبد الرحمن بن البحاجي (1248-1330هـ/1832-1911م): من أعيان العراق متكلم موصلي الأصل ولد وعاش ومات ببغداد، كان رئيسا لمحكمتها التجارية وانتخب نائبا في المجلس العثماني، صنف كتاب "الفارق بين المخلوق والخالق" وذيله المطبوع معه. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج2، ص90.

[4]-عبد الرحمن بك افندي بحاجي زادة: الفارق بين المخلوق والخالق، ومهمش بكتابين: الأجوبة الفاخرة للقرافي، وهداية الحيارى لابن لاقيم الجوزية، مطبعة الموسوعات، مصر، دت، ص199.

باجاجي زادة صفحات من كتابه "الفارق بين المخلوق والخالق" ليصل من خلالها إلى أن القضية المحورية في العقيدة النصرانية[1] المتمثلة في "سر الإيمان"، "سر الخلاص" و"سر التقوى": "سر الشكر"، قضية مشكوك فيها ومفتراة على المسيح عليه السلام وهذا ما سنتعرض له من خلال هذا المطلب بالشرح والتحليل.

-إخبار المسيح بموته وقيامته بحسب الأناجيل

فقد جاء في متى (وفيما كان يتجمعون في الجليل قال يسوع لتلاميذه: «ابن الإنسان على وشك أن يسلم للناس فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقام، فحزنوا حزنا شديدا (متى 17: 21-23)، وفي مرقس: «لأنه كان يعلم تلاميذه فيقول لهم: إن ابن الإنسان سيسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه وبعد قتله يقوم في اليوم الثالث. ولكنهم لم يفهموا هذا القول وخافوا أن يسألوه» (مرقس 9: 31-32)، وجاء في لوقا: «لا بد أن يتألم ابن الإنسان كثيرا ويرفضه الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفي اليوم الثالث يقام» (لوقا 9: 22)، وجاء في آخر إنجيل متى: «فلما رأوه سجدوا ولكن بعضهم شكوا» (متى 28: 17).

بعد أن يورد عبد الرحمن زاد كل هذه الآيات يصل إلى أن الأناجيل افترتْ على المسيح في صدور أحاديث الصَّلب والقيامة عنه، وذلك من عِدة أوجه وهي:

1-ادعاء الأناجيل عدم فهم التلاميذ لكلام المسيح رغم بساطته.

---

[1]-النصرانية: جاء في إنجيل متى أنه: «لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصريا (متى2: 23)، والذي يهمنا توضيحه في هذا المقام ليس المعنى اللغوي والاصطلاحي، وإنما لبيان الفرق بين مصطلحي النصرانية والمسيحية: ولا يفوتنا أن نذكر السبب الرئيسي لإحجام القرآن الكريم عن استخدام تسمية مسيحية وذلك لكون هذه التسمية تجعل جوهر الدين الذي أتى به المسيح يبتعد عن الجوهر الإسلامي الذي بعث به كل الأنبياء، وإنما أطلق القرآن الكريم اسم المسيح على عيسى، كاسم علم لما كان له هذا الاسم من شهرة في الوسط اليهودي، والسبب في إبعاد استخدام القرآن الكريم للفظة مسيحية أو إطلاقها على أتباع المسيح إنما يرجع لما احتوته هذه التسمية من مفاهيم لاهوتية لا أساس لها، ويبين ألها من اختلاقهم.

«وقد دعي التلاميذ مسيحيون في أنطاكية أولا.. » بعدما تطور مفهوم المسيح إلى المفهوم اللاهوتي المعروف.

(الآلوسي أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود: تفسير روح المعاني، طبعة إدارة المنيرية وإحياء التراث العربي، بيروت، دت، ج 1، ص278).

والمسيح: تسمية ليسوع منذ عهد الرسل، حيث كتب بولس في (رومية 1: 4): «يسوع المسيح ربنا»، وهي تعني الذي مسحه الله وأرسله إلى العالم (متى 16: 20)، وهي ترمز إلى آلام المسيح (متى 26: 63-64). معجم الإيمان المسيحي، ص459.

2-لو أن المسيح أخبرهم بقيامته لما شكّوا فيه، مثلما ادعى متى.

3-صرحتْ الأناجيل بعدم فهم التلاميذ لكلام المسيح عن صلبه وقيامته، فإذا لم يفهموا هذا الكلام البسيط، فهذا دليل على غبائهم وجهلهم، فلا يصح عندئذ أخذ الدين عمن كان حاله كذلك.

4-قال متى بأن التلاميذ حزِنوا لما سمعوا كلام المسيح عن صلبه وقيامته، وحزنهم دليل على فهمهم، وإلا لما كانوا ليحزنوا على شيء لم يفهموه.

5-لو صحّ حديث الصلب والقيامة، لفرح المسيح وأتباعه واستبشروا لذلك وسعوْا لتحقيقه وما كان ليهرُب هُوَ وتلاميذه من محل إلى آخر[1].

ونحن نقول أنه إذا أُبطِل الصلب وانتفتْ حادثتي الصّعود والقيامة لما كان هناك -أصلا- فائدة ترجى من وراء حادثة تأسيس العشاء الأخير!

-نقذ باجاجي زادة لسر الأفخارستيا "العشاء الرباني":

جاء في متى: «وفي اليوم الأول من أيام الفطير، تقدم التلاميذ إلى يسوع يسألون: أين تريد أن نجهز لك الفصح لتأكل؟ أجابهم: أدخلوا المدينة واذهبوا إلى فلان وقولوا له: المعلم يقول إن ساعتي اقتربت، وعندك سأعمل الفصح مع تلاميذي» (متى 26: 17). ففعل التلاميذ ما أمرهم به يسوع وجهزوا الفصح هناك.

وقال مرقس: «وفي اليوم الأول من أيام الفطير وفيه كان يذبح حمل الفصح، سأله تلاميذه: أين تريد أن تذهب لنجهز لك الفصح لتأكل؟ فأرسل اثنين من تلاميذه قائلا لهما: اذهبا إلى المدينة وسيلاقيكما رجل هناك يحمل جرى ماء، فاتبعاه وحيث يدخل قولا لرب البيت: إن المعلم يقول: أين غرفتي التي فيها سأكل الفصح مع تلاميذي؟ فيريكما غرفة كبيرة في الطبقة العليا مفروشة مجهزة، هناك جهزا لنا، فانطلق التلميذان ودخلا المدينة ووجدا كما قال لهما وهناك جهزا للفصح» (مرقس 14: 12-16).

فمرقس خالف متى حيث جعل جميع حركات المسيح معجزات له، واقتفى لوقا أثر مرقس فقال: «وجاء يوم الفطير الذي كان يجب أن يُذبح فيه الفصح، فأرسل بطرس ويوحنا قائلا:

---

[1]-عبد الرحمن زادة: الفارق، ص124-125.

«اذهبا وجهزا لنا الفصح لنأكل» (لوقا 22: 7).

يسجل عبد الرحمن زادة اختلافا بين مرقص ولوقا فيما يلي:

1-جعل مرقس السؤال ابتداء من التلاميذ، ولوقا خالفه في ذلك، إذ المسيح أرسلهما ابتداء من غير اقتراح وسؤال من التلاميذ.

2- لم يذكر مرقس أسماء التلاميذ وسمّاهُما لوقا وهما: بطرس ويوحنا[1].

وأغفل يوحنا ذكر الحادثة وهذا دليل على عدم حدوثها، خصوصا وقد اختلف أصحاب الأناجيل الثلاثة في تصويرها.

ثم أن يوحنا كان حاضرا مع المسيح أثناء العشاء الرباني، وصنف إنجيله بعد تصنيف الأناجيل الثلاثة بمدة طويلة، أما كان ذلك يقتضي ذكر الحقيقة في إنجيله ورفع الاختلاف من بينهم على أمر هو من أعظم أركان دينهم، فَتبيَّنَ ببداهة أن عدم ذِكرِها في يوحنا دليل على أن العشاء الرباني بدعة ابتدعوها بعد انقراض التلاميذ[2].

وأهمل بجاجي زادة التنبيه إلى الاختلاف الواضح بين متّى الذي بيّن أن جميع التلاميذ ذهبوا لإعداد الفصح[3]، عكس مرقس ولوقا اللذان ذكرا بأن تلميذين فقط قاما بالإعداد للفصح!

جاء في متى: «وبينما كانوا يأكلون أخذ يسوع رغيفا وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي، ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا: أشربوا منها كلكم هذا هو دمي الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (متى 26: 26-28)،

---

(1)-بجاجي زادة: الفارق، ص209. نصت الاناجيل الثلاثة الاولى إلى أن المسيح أكل الفصح مع تلاميذه كعادة اليهود؛ أي في أربعة عشر نيسان، (متى 26: 17)، و(مرقس 14: 12)، و(لوقا 7: 22)، ثم صلب في اليوم الثاني للفصح أي 15 نيسان وجعل يوحنا عشاء المسيح عشاء عاديا قبل الفصح، أي 13 نيسان، فيكون الصلب وقع في 14 نيسان أي يوم عيد الفصح ليجعل من المسيح خروف الفصح. يوحنا 13. محمد توفيق صدقي: نظريتي في قصة صلب المسيح وقيامته من الأموات، ص 115.

(2)-بجاجي زادة: الفارق، ص209.

(3)-هناك اختلاف بين الفصح والأفخارستيا، غير أن الأول ارتبط بالثاني في الأناجيل لكون الفصح كان آخر عشاء للمسيح، والذي أسس فيه أفخارستيا حسب زعمهم.

و(مرقس 14: 22-24) و(لوقا 22: 19-20)، ويورد بجاجي زادة أن أكثر الفرق النصرانية سِوى القليل منهم يزعمون أن الأفخارستيا من أمهات المسائل الدينية، إلا أن الكنائس تتضارب على هذا الأمر من ذلك اختلافهم في: هل يشترط أن يكون الخبز فطيرا أو خميرا؟ وهل يجب أن يكون مصحوبا بالخمرة أو لا؟ إلى غير ذلك من الأمور، فالقوم في شكٍّ من معرفة السرّ الذي يتأتى به تحول الخبز والخمر إلى اللحم والدم، والقضية لا تكون موجبة التسليم إلا بعد قيام البرهان على صحتها.

ويقول بجاجي زادة عن هذا الطقس: «وقد مكثتُ زمنا أتأمل في هذا السر وألتمس له معنى أو نظيرا في الأديان المتقدِّمة والملل المنتحلة فلم أجد نظيرا له ولا أصلا يرجع إليه على اختلاف مذاهب العالم من آدم إلى عيسى»[1]، غير أن الدّراسات التاريخية الحديثة أثبتتْ أنّ العشاء الرباني محاكاة للطقوس الوثنية وبخاصة الدّيانة الميثرائية[2].

ويؤكد بجاجي زادة أن من تفحص الأناجيل لم يجد فيها التلاميذ قد اقتدوا بالمسيح في إجراء مراسيم هذا "الفرض الديني" -بزعمهم- ولو احتج النصارى بإشارة لوقا إلى ذلك في أعمال الرسل[3].

يَرُدّ عليهم بأن لوقا لَمّح إلى الأمر، والتلميح في الشيء الذي هو من القواعد الدينية المهمة والعقائد الواجبة غير كاف، لا سيما من لوقا، لأنه لم يكن حواريا ولا رسولا، ولا رأى أحوال المسيح[4].

كما يَرُدُّ عليهم بأن "أعمال الرسل" أُلفت ما بين (64-130م)[5]، وهو تاريخ متأخر

---

[1]-بجاجي زادة: الفارق، ص212.

[2]-الميثرائية: عرف عُبّاد ميترا الإله الفارسي شعيرة القربان المقدس، يقول ول ديورانت: رغم ارتباط العشاء الرباني بالدين النصراني، إلا أنه لم يكن بدعة نصرانية محظة، فقد كان أتباع الديانات الوثنية يحتفلون بهذه الشعيرة:

-ففي الحبشة، كان سكان قبيلة "غالا" يأكلون السّمكة التي يعبدونها وكانوا يشعرون بحلول روحها فيهم...(ول ديورانت: قصة الحضارة، مج1، ج1، ص114).

-وفي الفرس: اعتقدوا أن معبودهم ميترا يحلّ في أجسامهم أثناء تأديتهم طقوسهم.. (المرجع نفسه، ص107).

[3]-والنص: «وفي أول يوم من الأسبوع إذ اجتمعنا لنكسر الخبز، أخذ بولس يعض المجتمعين» (أع 20: 7).

[4]-بجاجي زادة: الفارق، ص214.

[5]-E. Royston Pike: Dictionnaire de religions, P4.

عن تأليف الرسالة لأهل كورنتوس[1] والذي جاءت فيها الإشارة الأولى للعشاء الرباني من طرف بولس، وأنه تسلم ذلك مباشرة من الرب، كما أن تأليف الأناجيل متأخر عن رسائل بولس مما يُبين أن الأفخارستيا بدعة من مبتدعات بولس[2].

وينقل بجاجي زادة عن النصارى قولهم أن عيسى ناسوت كامل ولاهوت كامل، فإذا تحول الخبز والخمر إلى عين جسد المسيح ودمه كما زعموا، فهل يتحول إلى الناسوت فقط، أم إلى اللاهوت فقط، أم إليهما معا؟ فإن قالوا بالأول فأين لهم من عذراء تلد لهم كل مرة إنسان؟ وإن قالوا بالثاني والثالث يرد عليهم زادة أن ذلك لا ينطبق على عقيدتهم لأن اللاّهوت إذا استحال (تحول) دخل في حيز الحدوث[*]، وهو منافي للألوهية **فظهر أنّ الاستحالة المذكورة من المُحال**[3]!

وخلاصة ما ذُكر، يتوصّل بجاجي زادة إلى أن الأناجيل أشد تناقضا في روايات تأسيس العشاء، فكيف يصوغ للأساقفة تلك الدعوة الباطلة وإسنادها إلى الوحي والإلهام!؟[4].

---

[1]-كورنيتوس: مدينة يونانية قديمة، مركز للديانات الشرقية واليونانية، أقام بها بولس حوالي 18 شهرا.

E. Royston Pike: Dictionnaire des religions, P94-95.

[2]-يرى جينيبر أنه لو اقتنعنا بأنّ بولس تشبع بالأفكار اليونانية وأخذ أسس عقيدته عن المجتمعات الهيلينية لكان القول بتحوله من اليهودية إلى النصرانية أكثر منطقية من حادثة دمشق. (شارل جينيبر: المسيحية نشأتها وتطورها، ص122).

أما دخوله المفاجئ في النصارنية وتحوله من مضطهد لها إلى رجل مؤمن أصابته الرحمة الإلهية، وبين عشية وضحاها يحول طاقته إلى نشر هذا الدين بعد أن كان فيما مضى من أكبر محاربيهن فهذا مما يرفضه المنطق ولا يستصيغه عقل...

(Gerald MEssadié: L'incendiaire vie du saule apôtre, Edition Robert Laffont, Paris, 1991, P388).

[*]-الحدوث نوعان: -حدوث زماني: وهو كون الشيء مسبوق بالعدم سبقا زمانيا.

-حدوث ذاتي: وهو كون الشيء مفتقر في وجوده إلى الغير، وهو أعم مطلقا من الحدوث الزماني.

وقد تبنى الفلاسفة المسلمون الحدوث الذاتي للعالم.

أما القدم- لغة: ما تقادم وجوده: بناء قديم، رسم قديم.

-اصطلاحا: -عند المتكلمين:الذي لا أوّل لوجوده.. لذلك كان القديم أهم صفات الله. [إبراهيم عاتي: تصورات العالم في الفلسفة الإسلامية، دط، الجزائر، دار الجندي، دت، ص15-16].

[3]-بجاجي زادة: الفارق، ص215.

[4]- مصدر نفسه، ص254.

المطلب الرابع: نقد الشيخ منقذ بن محمود السقار"لعقيدة"الأفخارستيا

ومن المتأخرين إرتأينا تقديم نقد الشيخ السقّار[1] لتوغله في ميدان العقائد النصرانية لعدّة سنوات واشتغاله بتفنيد عقائدهم المحرفة وإقامة الحجة على بطلان أناجيلهم.

وقد تتبعنا نقده لعقيدة "الأفخارستيا" وتفنيده لسر القربان من خلال كتابه "هل افتدانا المسيح على الصليب"؟[2]، والذي التزم فيه بسرد عقائدهم كما أوردها آباءهم وقيّسيسيهم[3] ثم سعْيه في تفنيدها بالبراهين العقلية والشواهد الإنجيلية كما يلي:

يقول السقار: «..فبحسب هذا السرّ -بزعمهم- فإن المسيح يحضر بشخصه في القداس الإلهي ويحل في القربان المقدس، ويتحول الخبز إلى جسده الحقيقي والخمر إلى دمه الحقيقي...» [4].

ثم يورد إيمان الكنيسة في سر الأفخارستيا بحسب ما جاء في مخطوطة العالم "ابن كبر"[5] المعروفة باسم "مصباح الظّلمة في إيضاح الخِدمة"، وهو أهم وأدق من كتب في الأسرار في القرون الأخيرة: «بصلوات الكاهن المرتّبة والقداس الإلهي على الخبز والخمر يحل الروح القدس عليها

---

[1]-عن سيرة الشيخ منقذ بن محمد السقار: من علماء المسلمين المتأخرين، حاصل على درجة الدكتوراه في الكتب والعقائد النصرانية، خريج كلية أصول الدين جامعة أم القرى، له كتب عديدة في العقائد من أهمها: "هل افتدانا المسيح على الصليب" و"معنى الخطيئة في الإسلام والنصرانية"، "شبهات النصارى حول الإسلام"، وكذلك مشاركات في عدد من المنتديات الدينية في محاورة النصارى ومناظرتهم.

[2]-منقذ السقار: هل افتدانا المسيح على الصليب؟، ط1، دار الشروق، جدة، 1413هـ-1993م.

[3]-قسيس Hieromoine: كاهن شرقي ينتمي إلى إحدى الرهبانيات (في العالم العربي ولا سيما في لبنان، محلية كاثوليكية وأورثوكسية، يشتغل أعضاؤها بالتربية الدينية والإنسانية.(معجم الإيمان المسيحي، ص239). معجم الإيمان المسيحي، ص 380.

[4]-منقذ السقار: هل افتدانا المسيح على الصليب، ص28.

[5]-ابن كبر: شمس الرئاسة أبو البركات، عالم قبطي (كلمة يونانية الأصل معناها مصري)، من القاهرة، توفي في عام 1324م، درس اللغة والطب، كان كاتبا للأمير ركن الدين بيبر، رسم كاهنا في 1300،فألف كتب على دراسة الكتب الكنسية، ينسب إليه أكبر معجم قبطي عربي، طبع في روما سنة 1648م، أما عن مخطوطه "مصباح الظلمة"، فهي موسوعة دينية عظيمة في العقائد والطقوس والكتاب المقدس والنسكيات، يقع في 24 باب. معجم الإيمان المسيحي، ص12 بتصرف. نسيكيات: نمط حياة خاص بالنساك، والناسك راهب يعيش عيشة منفردة وفقا للرسوم (وهي أسرار رتب ودرجات الكهنوت)، مع صيانة خضوعه لرؤساء رهبانيته. المصدر نفسه، ص502.

فيتحول ويتبدل جوهر[1] الخبز إلى جسد المسيح، وجوهر الخمر إلى دمه»، وفي موضع آخر يذكر أقوال آباء نيقية: «إن ذبيحة القداس ليست غير ذبيحة الصليب، فهما ذبيحة واحدة، ويقول مجمع نيقية لأنه لا فرق حينئذ بين مسيح يُعلّق على الصليب والمسيح المتحوِّل في القداس من القربان والخمر»[2].

ثم يذكر السقار قول الخولاجي[3] المقدس الخاص بسر القربان -ليتسنى له الرد عليها فيما بعد-، والمتمثلة في تلاوة الكاهن صلاة الاستدعاء لحلول الروح القدس سرا على الخبز والخمر، مخاطبا الآب بقوله: «ليحل روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة.. فهذا الخبز يجعله جسدا مقدسا له وهذه الكأس أيضا دما كريما لعهده الجديد، يعطى لغفران الخطايا وحياة أبدية لكل من يتناول منه»[4].

ثُمَّ يُبيّن السقار أن مِنْ بين مخاطر التقليد والطقوس الممارسة في الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية ما يسمونه "بالأسرار السبعة" والتي يختلفون فيما بينهم في عددها ولكن أَشَدُّها خطرا على الإيمان المسيحي هو "سر الأفخارستيا"، يقول السقار: «لقد اختلق التقليديون من الكاثوليك والأرثودكس أسرارا ليفرضوها على تابعيهم حتى يتسلطوا عليهم، لأنهم رَبطوا كل البركات الدّنيوية والأبدية بالانصياع لهم وقبول أسرارهم والتي تعتبر كمخدر لهم، لا ينشغلوا عن مطالبتهم بطاعة وصايا الله وفروضه ، وحتى تطمئن ضمائرهم المضطربة من جراء الدينونة التي تطاردهم بسبب عِصيانهم لوصايا الله الصريحة»[5]؛ «فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم»[6]،

---

[1]-جوهر Substance: استعملت هذه الكلمة منذ القرون الأولى للدلالة على "الأوسيا": وهي كلمة يونانية استعملت في التفكير اللاهوتي الثالوثي وضح معناها في حوالي 380م للدلالة على الكائن الإلهي، وهو واحد في ثلاثة أقانيم. المصدر نفسه، ص79. معجم الإيمان - E. Royston pike : DICTIONNAIRE DES RELIGIONS p 195

[2]-منقذ السقار: هل افتدانا المسيح على الصليب، ص29-31.

[3]-الخولاجي: كلمة يونانية -قبطية مأخوذة من الكلمة اليونانية أفخولوجيون: ومعناها حاوي الصلوات، وتعني حسب الاستعمال القديم، الكتاب الذي يحتوي على كل الصلوات بما فيها إقامة الأسرار الكنسية كلها. وهو أصلا الكتاب الخاص بخدمة القس أو الأسقف، ثم صارت الكلمة تطلق فيما بعد -بشكل خاص- على الكتاب الذي يحتوي سائر الصلوات الخاصة بالقداسات فقط. (ميناجاد جورس: واجبات وقوانين في القداس، ص17 بتصرف).

[4]-منقذ السقار: هل افتدانا المسيح على الصليب؟، ص33.

[5]-المصدر نفسه، ص37.

[6]-متى 15: 6-9.

وفي رسالة بطرس الأولى (18-19) «من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء!!».

ثم يورد السقار، قول يوحنا الذهبي الفم: «الأسرار تمنح النعمة من ذاتها وبقوتها.. لأن صدور النعمة معلق على مباشرة السر، إذا فالنعمة معطلة بدون ممارسة هذه الأسرار».

ويعلق السقار على هذا بقوله: «ونحن نسأل، أي عاقل يقبل بأن القربان المختمر، وخمير العنب يرقى لتمثيل جسد الرب ودمه الطاهرين؟

ويريد السقار إقامة الحجة عليهم من "كُتبهم" فهو يذكِّرهم بما ورد من تعاليم وإرشادات واضحة بخصوص الحمل المقدم في عيد الفصح؛ كان يَلْزَم أن يكون الحمل ابن حَوْل واحد بلا عيب،صحيحا، وخبز التقدمة فطيرا بالزيت وليس فيه خميرة البتة، كما أن عصير العنب وجب أن يكون طازجا بلا تخمُّرٍ يذكر..

فكيف بهؤلاء التقليديون، يَصرفون النظر عن تعاليم وإرشادات كتابهم المقدس، ويستخدمون أشياء لا تليق بل مرفوضة جملة وتفصيلا (من عادات وطقوس مبتدعة) ثم يدَّعون بعد كل هذا الخرق أن الكاهن المصر على كسر ناموس الله، أعطي له السلطان أن يحولها إلى الإله الكامل القدوس؟[1]

فإلى أي مدى قد استهان هؤلاء بالله، وتعدوا وصاياه وتوصياته؟ (انظر: سفر الخروج الإصحاحين 12-13)، (لاويين 2: 11)، (تثنية 16: 3).

أما آن الآوان أن يستفيق هؤلاء من سباتهم وسيرهم وراء قادة يختلقون التقاليد والخرافات، ويخلقون الخالق بينما هم غارقون في مستنقع خطاياهم، ألم يهتدوا بقول سيدهم -على حد تعبيرهم-: «أتركوهم هم عميان، قادة عميان، وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة» (متى 15: 14)، ولكنهم لا يبصرون، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور!

ويطرح السقار سؤالا وجيها: هل أسس يسوع القداس وهل كتبه مرقس الرسول؟

---

[1] منقذ السقار: هل افتدانا مسيح على الصليب، ص39 41.

يقول التقليديون: إنّ القداس كان ناقصا فأكلمه "القديس كيرلس الكبير[*]"، وما أكثر الادعاءات التي يتمسك بها من يميلون إلى الاعتقاد بأن ما تسلموه من الرسل كان "شفاها"، وهذا دليل في حد ذاته على عدم وجود تأييد كتابي موحى به من الروح القدس! ولو كان وجود للقداس في عهد المسيح ورسله بهذه الأهمية الخطيرة، لازم للغفران والخلاص، لوجدنا سجلا واضحا في الإنجيل وتعليما صريحا من المسيح، ومنوالا واحدا لجميع الكنائس الكاثوليكية والأرذكسية وليس خمسين قداسا..[1]

والجدير بالملاحظة أنها لا تتفق إحداها مع الأخرى، ولا تتفق مع كلام الوحي ومليئة بالأخطاء، ولا هي من أقوال وتوصيات المسيح وحتى مرقس[2] الرسول كان بريئا منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب، فكيف يستعمل مرقس قداسا خاصا بأناس جاءوا بعده بمئات السنين (وأشهرها القداس الباسيلي والقداس الغريغوري والقداس الكيرلسي)[3].

---

[*]-كيلرس الكبير: هو كيرلس الإسكندري، بطريك الإسكندرية (والبطريرك: لقبٌ أطلق على أساقفه (كراسي المسيحية الخمسة الكبرى، وهي روما، والقسطنطينية، والإسكندرية، وأنطاكية وأورشليم)، وقد اعترف المجمع النيقاوي 325 بهاز والكرسي الرسولي هو الكرسي الذي ينتمي إلى كنيسة اسسها أحد الرسل وهو أولا علامة تدل على خدمة التعليم. (المصدر نفسه، ص396).

ولد كيرلس الكبير حوالي 380م، دافع بحمية عن الإيمان القويم ردا على البدعة النسطورية، سيطرت شخصيته على الشرق المسيحي حتى وفاته 444، ترك إلى جانب شروحه للكتاب المقدس، مؤلفات دفاعية هامة. (المصدر نفسه، ص406).

يعتبر كيرلس أن الأفخارستيا هي طريق أساسي للتقديس، لأنّ عملية التقديس أو التأله هذه انتقلت إلى المسيحيين في جسد المسيح، أي في الطبيعة البشرية للمسيح المتجسد، والذي يتحدون به في سري المعمودية والأفخارستيا. (بنيامين باسيلي، الأفخارستيا، ص140). (1) منقذ السّقار: هل افتدانا المسيح على الصليب ص63.

[2]-مرقس الرسول: أحد أوائل تلاميذ المسيح، يهودي الأصل، ابن مسيحية تسمى مريم، كان لها في أورشليم دار تجتمع فيها الجماعة المسيحية القديمة (رسل 12: 12)، يقول التقليد أن إنجيله خلاصة تبشير بطرس، موضوعه الرئيسي هو ظهور المسيح المصلوب. (معجم الإيمان المسيحي، ص452).

ومن المعروف تاريخيا أن إنجيل مرقس هو أول الأناجيل.. كتب قبل الثلاثة الأخرى، وقد ربط الأفخارستيا بموائد الاغابي فلا يوجد عنده خط فاصل بين الأفخارستيا وبين الوجبة الخاصة بعيد الفصح. بنيامين باسيلي، الأفخارستيا، ص34).

[3]-أ-القداس الباسيلي: وضعه باسيليوس أسقف قيصرية بآسيا الصغرى في منتصف القرن الرابع، ويعتبر الباحثون القداس الباسيلي اختصارا لقداس القديس يعقوب وتستخدمه الكنيسة في الآيام العادية على مدار السنة. (سليمان نسيم: الطقوس في الكنيسة، ص89).

ب-القداس الغريغوري: وضعه غريغوريوس النازيانيزي (ولد في قبدوقية (في آسيا الصغرى) حوالي 329، صديق باسيليوس ورفيقه في الدراسة. قاوم الأريوسية وأسهم في إعداد لاهوت الثالوث والتجسد. تعتبر قداسته أنه يدور حول إبراز لاهوت

فإذا كانت البركات والتطويبات في هذه القداسات لأشخاص ربطوا أسماءهم بهذه القداسات فكيف تُسَوَّل لهم أنفسهم بِسُمُوِّ مصْدرِها ووحيِها ونسبتها إلى الرسل؟!

وللشيخ السقار مآخذ على نص القداس:

1-يدلي القداس بأن عشاء الرب هو للخلاص وغفران الخطايا ونوال الحياة الأبدية، والرد من كتابهم: «آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك» (أعمال 16: 36).

-فإن قيل: أنهم "بالتناول" خُلِّصوا من الذنوب والخطايا فلا صحة لذلك، لأنهم يتلون في صلواتهم «واغفر لنا ذنوبنا» (متى 6: 12).

-وإن قالوا: أنّ هذا الخلاص كان خلاص لهم من حساب الآخرة: فلا صحة لذلك لأنه مكتوب في موعظة (متى 25: 31-42): «وهناك يفرز الله الناس ويفصل الأبرار من الأشرار، فيأمر بالأبرار إلى الجنة والأشرار إلى النار»، أي أنهم سيُحشرون يوم القيامة ويقفون موقف الحساب[1].

-وإن قالوا أن المسيح صُلب عنهم ليَعْبروا (بالفصح) من الحياة إلى الموت وينالون الحياة الأبدية، وأن قتله كان لتحقيق العدل والرحمة: فأي عدل وأي رحمة في تعذيب شخص غير مذنب وصلبه؟

ويرد عليهم السقار من كتبهم: «النفس التي تخطئ هي تموت.. برّ البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون» (حز 18: 20).

وفي في (تث 24: 16) «..كل إنسان بخطيئته يقتل».

=الابن... وتستخدم الكنيسة هذا القداس في الأعياد السيدية: الغطاس والقيامة والصعود وحلول الروح القدس والشعانين (أسبوع الآلام). (المرجع نفسه، ص90).

جـ-القداس الكيرلسي: ينسب إلى كيرلس الكبير بابا الإسكندرية الرابع والعشرين، وتؤكد المصادر التاريخية أنه مأخوذ عن القداس الذي تركه مار مرقس، وقد رتبه كيرلس وأضاف إليه، كما رتب ألحانه غير أنه لطول صلواته نذر استخدامه. (المرجع نفسه، ص91.)

[1] يعتقد السقار: هل القداس المسيح غير مصلوب، ص47-49.

-وإن قالوا أن يسوع قَبِل الصَّلب والقتل -باختياره- (لمغفرة الخطايا- نجد أن ما ورد في أسفارهم عكس هذا القول، فقد جاء في (متى27: 46) «ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لما تركتني».

كما ورد في مرقس (مرقس 15: 34) ما نصُّه: «وفي الساعة التاسعة صرخ ياسوع بصوت عظيم قائلا: «إلوي إلوي لما شبقتني؟» (الذي تفسيره إلهي إلهي لما تركتني؟).

ثم يورد السقار نقد الأب عبد الأحد داود الآشوري الذي اهتدى إلى الإسلام في القرن الماضي فيما يتعلق "بسر القربان": «..إن من العجب أن يعتقد النصارى أن هذا السر اللاهوتي الذي هو للتقديس والخلاص ظل مكتوما عن كل الأنبياء والرسل السابقين و لم تكتشفه إلا الكنيسة، ومتى كان ذلك؟ لقد كان ذلك عشية آلامه وصلبه!؟» [1].

2-يطلب القداس في أوشية الآباء «السّحق والإذلال للأعداء، وهو أبعد ما يكون من روح المسيح المحبّ الذي أوصى «بأن نحب أعداءنا ونحسن لمبغضينا ونصلّي لأجل الذين يسيئون إلينا ويضطهدونا» (متى 5: 45).

3-ثم هل يعقل أن يكون المسيح جالسا على المائدة مع تلاميذه ويقدم لهم جسده ودمه حقيقة؟ وقد حرم الله على الإنسان أكل الدم، فكيف به يسمح بأكل لحوم بشرية، ناهيك عن لحم ودم الإله ذاته!؟

وقد جاء في أسفارهم -يقول السقار- ما يجب أكله من تركه «كل ما شق ظلفا ويجتر من البهائم فإياه تأكلون» (لاويين 11: 3).

وبما أن أكل الدم محرم في العهدين القديم والجديد: (تك 9: 3)، (لاويين 17: 10)، «بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم» [2]، ثم من العهد القديم ما يذكره «والرب يمقت الذبائح البشرية» [3].

---

[1]-منقد السقار: هل افتدانا المسيح على الصليب؟، ص49.

[2]-أعمال 15: 20.

[3]-ت 12: 31.

فالإدعاء ذاته بتحويل الخمر إلى دم الرب فعليا وتناوله يعتبر جريمة شنعاء في حق المسيح وتعاليمه السمحة، وهل توجد هرطقة تجلب العار على المسيحية برُمتها أكثر من هذه الشعوذة اللا معقولة؟![1].

وخلاصة ما توصل إليه "السقار" هو أن الكنيسة البابوية قد حولت سر العشاء الرباني إلى ما سمته "ذبيحة القداس" وقد جاوزت الحدود وتوغلت في الأضاليل.. حتى أصبح تعليم الاستحالة هذا من القضايا الخاصة الجوهرية في النظام البابوي، وقد جعلته الكنيسة البابوية أساس أضاليل أخرى مضرة جدا ومصدر عوائد خرافية تغش بها شعبها كتكرار ذبيحة المسيح في القداس، والتكفير بها عن خطايا الأحياء والأموات، ومناولة ذات جسد المسيح تحت أعراض الخبز والخمر وتقديم العبادة (من صلاة ودعاء) التي لا يجوز تقديمها إلا لله وحده، للعناصر المادية التي يزعمون أنها تحولت إلى ذات المسيح[2].

-ثم يدلي السقار ببراهين نفي "الإستحالة" كما يلي:

1-فإن قالت الكنيسة أن الأسرار السّبعة والقدّاسات هي منذ بداية التاريخ والذي وضع نظامها هم الرسل، كما تسلموها -بزعمهم- فإن الرد يكون: أنه لا يوجد دليل واحد يُثبت أنّ "القداس" قد وضعه رسول من الرسل، لكنه قد وُضِع عن طريق الأباء مع مرور الأيام من القرن الثاني إلى القرن الخامس عشر[3]، حيث أن عقيدة الأسرار السبعة لم تظهر بصفة محددة في التاريخ إلا سنة 1439م، وأن أول من حدد الأسرار الكنسية بالرقم 7 هي الكنيسة الكاثوليكية بواسطة أسقف باريس بطرس لمبارد، ثم قننها مجمع فلورنسا سنة 1439م، ثم أخذت الكنيسة البيزنطية[4]، هذا التقليد عن الكنيسة الكاثوليكية، ودخل هذا التقليد إلى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وأول ذِكر لها هو ما ورد في المخطوطات المعروفة (باسم نزهة النفوس) وهي

---

[1]-منقد السقار: هل افتادنا المسيح على الصليب، ص51-52 بتصرف.

[2]-المرجع نفسه، ص 53-57 (بتصرف).

[3]-المرجع نفسه، ص 60.

[4]-الكنيسة البيزنطية: يرتبط تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ارتباطا وثيقا بتاريخ كنيسة القسطنطنية، حيث أن الامبراطورية البيزنطية هي الامبراطورية الرومانية بعد نقل عاصمتها إلى بيزنطا 330، ولاسيما بعد انقسام الامبراطورية النهائي على إثر وفاة ثيو دوسيوس 395 والطقس البزنطي في الكنيسة إنما هو ليثورجية أنطاكية الأصل خاصة تأثرت بالطقوس الأرشاليمية ثم نمت في القسطنطينية [illegible] وعاصمة الإمبراطورية في القرن-

لكاهن مجهول وأقدم مخطوطة معروفة هي الموجودة بدير الأ فامقار مكتوبة بتاريخ 24 مارس 1564م وعلى أي حال لم نجد أي ذِكر لتحديد أسرار الكنيسة بالعدد 7 في مخطوطة العالم ابن كبر المعروفة باسم (مصباح الظلمة ف-ي ايضاح الخدمة)باعتبار ابن كبر أهم وأدق من كتب في الأسرار في القرن الثالث عشر وحتى أنه لم يذكرها مجموعة معا، بل جاءت في كتابه ناقصة عن العدد 7 ومتفرقة على مدى الكتاب[1].

-كما ينبه السقار إلى **مسألة مهمة ذات ارتباط وثيق بالأفخارستيا** -التي لا تُقبل إلا باستحقاق- (أي يجب على المتناول أن يعترف ويتوب ويُطهِّر نفسه وقلبه من كل المشاحنات والضغائن وإلا تكون عليه دينونة ومرضا بل وموتا بدلا من حياة أبدية..).

ألا وهي مسألة الاعتراف السري، والمحالة الكهنوتية التي لم يوضع لها قانون ثابت نهائي حتى بداية القرن الثالث عشر أين تم تقْنينها سنة 1215 على عهد البابا إينوسنت الثالث حيث أصدر مجمع لاتيران الرابع مرسوما رسميا بفرض واجب "الاعتراف السري" على المؤمنين من الجنسين (le secret de la confession) وضرورة ممارسته ومن ذلك الحين إلى يومنا هذا أصبح الاعتراف طقسا إلهيا محتما في كنيسة روما ومنها انتقل وعُمِّم في جميع الكنائس[2].

2-أن "تعليم الاستحالة" في عقائد الكنيسة البابوية "محدث" أي أنه لم يعرف في الكنيسة إلى قرب العصور المظلمة وأول من صرح به في الكنيسة الغربية: باسخاسيوس رادبرتيس[3] في منتصف القرن التاسع في كتاب ألَّفه في "جسد الرب ودمه".

-الرابع) عقدت لها أربعة مجامع مسكونية: مجمع 381م (ضد الأريوسية)، 553م (حرم المؤلفات النسطورية) ثم 680م و 869م. معجم الإيمان المسيحي، ص 671.

-أنطاكية:- البيسيدية: مدينة بأسيا الصغرى أقام لها بولس أثناء رحلته الرسولية الأولى.

والسورية: وقد انتمت كنيستها إلى بطرس وبولس وكانت لها مدرسة بأكبر حركة فكرية من أشهر الذين انتموا إليه أغناطيوس في القرن الثاني ويوحنا ذهبي الفهم وأبوليناريوس وغيرهم، معجم الإيمان المسيحي، ص 126.

[1]-منقد السقار، هل افتدنا المسيح على الصليب، ص61-63. (نقلا عن كتاب مختصر تاريخ الكنيسة، مج1،ص 216. (بتصرف).

[2]-المرجع نفسه، ص 61-63 نقلا عن كتاب مختصر الكنيسة، مج1، ص 217-219.

[3]-باسخاسيوس رادبرتس: راهب البنيكتي، حارب الكنيسة في عصورها المظلمة، أندروا ميلر، مختصر تاريخ الكنيسة، ص 207.

وفي ذلك يقول برنجر[1] ما نصه:« أما من جهة الجواهر المادية فكما كانت قبل التقديس لم تزل كذلك بعده، ثم أفرغ مجهوده في نَفْي بِدعة الاستحالة، كان ذلك في القرن الحادي عشر على أن السينودس الروماني أثبتها سنة 1079 وأخذ تعليم الاستحالة ينتشر ويَقْوى إلى أن صُرِّح قانونيا بأنه من الإيمان (Mystère de foi) في المجمع اللاتيراني الرابع سنة 1215م برئاسة البابا إنوسنت الثالث ومن ثم حُسب من تعاليم البابوية المقَرَّرة للعقيد المسيحية وأثبته اللاهوتيون البابويون بالإجمال ومن أشهرهم توماالإكويني[2] سنة 1274 ومن بعده سواريز سنة 1617..

أما لفظة"الاستحالة" فلم تُعرف إلا بعد زمان رادبرتس المذكور بنحو مئتي سنة أي في بداية القرن الثاني عشر ومن ذلك الحين صارت من مصطلحات الكنيسة البابوية[3].

-ويواصل السقار: إذا نظرنا إلى القرون الأولى من تاريخ الكنيسة رأينا في مؤلفات الآباء ما يُحقّق لنا عدم تصديق الكنيسة لتعليم الاستحالة، ففي القرن الرابع والخامس والسادس لم يُصدِّق أفاضل المؤلفين المسيحيين القول بالاستحالة:

-قال أوسابيوس[4] القيصري (وهو أول من كتب عن تاريخ الكنيسة) سنة 330م: «أن تذكار ذبيحة المسيح على مائدته بواسطة "رموز الجسد والدم"».

---

[1]-برنجر: ظهر هذا الرجل في أواخر القرن الحادي عشر كشعاع نور في العصور المظلمة وبفضل مجهوداته تكونت حركة فكرية واسعة النطاق طورت المدارس الكاثدرئية إلى معاهد تدرس فيها العلوم المختلفة وقد جلبت إليها آلاف الناس الذين طالما حرموا من المعرفة.. وقد كانت ثورة شديدة ضد سلطة الكنيسة الاستبدادية. وقد هاجم برنجر تعليم الاستحالة مسخرا كل قواه العقلية وكل امكانياته في دحض ذلك التعليم . أندروا ميلر: مختصر تاريخ الكنيسة، ط4، مكتبة الأخوة، مصر، 2003،ص 238-276.

[2]-الإكويني (توما 1225-1274): راهب دومينكاني (رهبانية اسبانية بمعنى الإخوة الواعظين) من معلمي الكنيسة في اللاهوت..اطلع على آراء ابن سينا وابن رشد عن طريق الترجمات اللاتينية وانتقدها، من مؤلفاته الخلاصة اللاهوتية، معجم الإيمان المسيحي، ص 159.

[3]-منقذ السقار: هل افتدانا المسيح عن الصليب؟، ص 67.

[4]-أسابيوس القيصري:أسقف قيصرية فلسطين (340) مفسر ومؤرخ كبير للعصور المسيحية القديمة فقد ترك لنا "التقويم" 70

-وقال أثناسيوس[1] سنة 370م في شرحه للإصحاح الساد من إنجيل يوحنا ما معناه« أن مناولة جسد المسيح ودمه حقيقة أمر لا يقبل، وأن معنى المسيح في هذه الآيات لا يفهم إلا روحيا».

-وقال غريغوريس[2] النازيانزي سنة 380م:« أن عناصر الأفخارستيا هي رموز جسد المسيح ودمه».

-وقال مكاريوس الأكبر سنة 380م:« ما معناه أن الخبز والخمر أشير بهما إلى جسد المسيح ودمه ولا نأكل منهما إلا روحيا».

-وقال أغوسطينوس[3] سنة 420م أن قول المسيح أنه يعطينا جسده لنأكل لا يجوز فهمه جسديا لأنّ نعمته لا تُقبل بالأسنان، وأن قول المسيح:« هذا هو جسدي» معناه :"الخبز وضع علامة لجسده" "وذكر الوليمة التي فيها"، فإنما قدّم المسيح لتلاميذه جسده ودمه مجازا[4].

-وأقوال المسيح نفسها -عند تأسيس السر-بحسب اعتقادهم تمنع من قبول التعليم الحرفي للإستحالة: أي تحويل عناصر الخبز والخمر إلى الجسد والدم الحقيقيين -

وخير دليل على ذلك، مؤتمر برن العظيم المنعقد في 7 يناير 1528 بين الكنائس الإصلاحية بزعامة زونجلي والحزب الكاثوليكي والذي تقرر فيه مايلي:

أ-لا يمكن البرهنة مطلقا من "كلمة الله" على أن جسد المسيح ودمه الحقيقيين موجودان في عنصري العشاء الرباني.

---

(1)-أثناسيوس : بطريرك الإسكندرية وأحد آباء الكنيسة(298-373) حمل المجمع النيقاوي 325 على حرم البدعة الأريوسية (أنكر أريوس لاهوت المسيح فحرمه المجمع النيقاوي الأول سنة 325 من مؤلفاته: "تجسد الكلمة" "والرد على الوثنين" "والدفاع عن الإيمان ردا على الأريوسيين"، معجم الإيمان المسيحي، ص 17.

(2)-أغوسطين: أشهر آباء الكنيسة اللاتينة (354-430)، قضى شبابا عاصفا، كان مانويا ثم اهتدى إلى المسيحة بتأثير من القديس أمبروسيوس، عمده أسقف ميلانو سنة 387، رسم كاهنا في هيبون في 391، أهم مؤلفاته: "مدينة الله"، و"الإعترفات". معجم الإيمان المسيحي ص 84.

(3)-غريغوريس النازيانيزي: 329م قاوم الأريوسية واسهم في إعداد لاهوت الثالوث والتجسد، بقي تأثيره في الشرق حيث لقب بالاهوتي. معجم الإيمان المسيحي، ص 344.

(4)-منقذ السقا: هل افتدانا المسيح عن الصليب؟،ص 70-71.

ب-أن ذبيحة القداس تناقض الكتاب وتتعارض مع تعاليم المسيح.

ج-أن المسيح هو الوسيط والشفيع الوحيد لشعبه عند الله الآب (أي إلغاء وساطة الكاهن ورجال الإكليروس).

د-أن عبادة الصّور والتماثيل مخالفة لكلمة الله.

هـ-أن الزواج غير محرم على أية طبقة من الناس وقد اكتمل هذا التجمع العظيم بإعفاء جميع الشمامسة والرّعاة وكافة خدام الكنيسة من يمين الولاء للأسقف وأزيلت جميع المذابح والصور والتماثيل، كما ألغي القداس في كافة أنحاء المقاطعة! [1]

-وقول المسيح في (يوحنا 6: 63):« الروح هو الذي يحي أما الجسد فلا يفيد شيء»

إذا فالمسيح الذي قال لأهل كفر ناحوم:«إن الجسد لايفيد شيء» قد استبعد بهذه الكلمات أكل الجسد الحرفي ولذلك لايمكن أن يثبته في فريضة العشاء!.

إذ لو وافقنا تعاليم الاستحالة-المبتدعة- فإنه يتحتم على "الرب"-أراد أم لم يرد- أن يُنْزِل إلى خبز الكاهن بمجرد أن يُتمتِم بكلمات التّقديس: وهذه هي البابوية في أوقح تجذيفاتها[2]. [3]

ثم يواصل السقار تفنيده لأسطورة[4] القربان المقدس فيقول: لا بدَّ أن نوضّح شيئا هاما بخصوص إنجيل لوقا، فبالرغم من أنه جاء بعد إنجيلي مرقس ومتى في تاريخ التدوين، كما يعتقد أغلب علماء النصارى، إلا أن بعض الطوائف النصرانية القديمة كانت تؤمن به دون غيره من الأناجيل، مثل مرقيون[*]، والذي كان يعتبره الإنجيل الوحيد الصحيح (ومرقيون هذا تعتبره الكنيسة مهرطقا لقوله: أنّ المسيح ابن إله الخير.. ولسنا بصدد مناقشة عقيدته)، لكن الذي يهمنا

---

[1]-منقد لسقار: هل افتدانا المسيح عن الصليب؟، ص 79. (نقلا عن:تاريخ الكنيسة للعلامة غيسلر، مج1، ص 435 والحاشية عدد 15).

[2]-تجديف: كلام يشتم به الله والتجديف على الروح (متى 12-31) هو خطيئة يرتكبها من ينكر أعمال روح الله المكبينة ويغلق قلبه عليها، معجم الإيمان المسيحي، ص 137.

[3]-منقد لسقار: هل افتدانا المسيح عن الصليب؟، ص 81-82.

[4]-أسطورة: رواية رمزية تقوم على تفسير وضع من الأوضاع الأساسية أو الكونية، أو البشرية، بالعودة إلى نشئته المفترض أن تكون قد تمت في مكان وزمن أصليين، وهي ذات طابع ديني عادة. [معجم الإيمان المسيحي، ص38-39].

[*]-مرقيون (Marcion) (100-165): لم يعترف بالعهد القديم و لم يصدق من العهد الجديد إلا إنجيل لوقا و10 رسائل لبولس. E.Royston Pike : Dictionnaire des religions, P204.

مناقشة نسخته من الإنجيل، فهو يجعل المسيح إلها عظيما خيِّرًا، وبالتَّالي فليس من مصلحته تحريف أي شيء لأنها لا تتعارض مع عقيدته في المسيح، إضافة إلى ذلك فإن نسخة مرقيون تعود للقرن الثاني الميلادي، وبالتالي: قِدَمها، وقُربَ عهْدِها بالمسيح وبالرُّسل.

الأمر الثاني، هو أن لوقا قرأ الأناجيل التي كُتِبت قَبله -كما يقول هو بنفسه-، وتتبع كل شيء بتدقيق (وإن كانت أخطاؤه كثيرة)، فكان يحذف ما يراه غير صحيح، ويضيف ما يراه سَليمًا وحقيقيًا والسبب في هذا أنه لم ير المسيح أبدا وبالتالي اعتمد على روايات غيره -كما يقول هو نفسه في مقدمة إنجيله-، ودقق فيها ليكتب الإنجيل الحالي[1].

والغريب حقا هي الآيات التي تتحدث عن تأسيس القربان المقدس في لوقا في العشاء الأخير مع التلاميذ الفقرة 19 «وأخذ خبزا وشكر، وكسر، وأعطاهم قائلا: هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم، اصنعوا هذا لذكري».

الفقرة 20 «وكذلك الكأس أيضا بعد العشاء قائلا: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم» (لوقا 22: 19-20).

هذا هو "القربان المقدس الذي يُعرف في الكنيسة باسم "سرّ" الأفخارستيا" أو سرّ "الاستحالة"؛ أي استحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح يِداخل المؤمن الذي يأكل ويشرب هذا القربان، ولن نناقش -يقول السقار- هذه التخاريف، ويكفي ما آثاره البروتستانت حولها من انتقادات في مؤتمر برن -السَّالف الذكر-، جعلتها مَسْخَرة حقيقية، ولكننا هنا سنناقش كما تبيّن ما قاله لوقا في إنجيله في هذا الشأن:

-المخطوطات ترى شيئا في منتهى الغرابة، أولا: هناك مخطوطات تحذف الفقرة (الذي يبذل عنكم اصنعوا هذا لذكري)، ثم الفقرة 20 «وكذلك الكأس أيضا بعد العشاء قائلا: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم».

مثل المخطوطة بيزا[2] والمخطوطات اللاّتينية الإيطالية a b d e ff2 I1 والمخطوطات

---

[1]-مفقد السقار: هل افتدانا المسيح عبى الصليب، ص87-90 بتصرف.

[2]-بيزا: مخطوطة تعود للقرن الخامس، وتحوي الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل، وهي محفوظة في جامعة كمبرج، وتخلو من كثير من النصوص، مثل مقدمة لوقا، والملاحظ أن هذه النسخ جميعا ليست من خط كاتبيها، بل إن أقدمها عهدا=

السّريانية من النوع (Syr-C (Codex Curetonianus) وتعود للقرن الخامس في أوائله، وقد رأى العلماء الكبار وستكوت وهورت[1] WH حَذْفها فوضعوها بين أقواس وكذلك نيستل وآلاند NA هم كذلك وضعوها بين أقواس، وللتوضيح فقد وضعوها بين أقواس مزدوجة كهذه (( )) وهو ما يعني ثِقتهم التامة في أنها غير أصلية وأنها مضافة.

أما القوس الفرد () فهو يعني أنهم يميلون لكونها مضافة، لكن هذا غير مؤكد بنسبة تامة وكاملة[2].

ولكنّهم وضعوا هذه الفقرة بين قوسين مزدوجين مما يشير إلى ثِقتهم في تزويرها! وليس الأمر فقط إلى هذا الحدّ، فهناك مخطوطات تحذف أيضا الآيات 17، 18 إضافة إلى الآيات 19 و20: أي تحذف القصة برمتها، مثل المخطوطة L32، والمخطوطات السريانية من نوع Syr-P البشيطة[3] الشهيرة، وترجع للقرن الرابع الميلادي وهي من أهم وأقدم الترجمات على الإطلاق، وأكثرها موثوقية لسبب بَسيط هو أنها كُتبت بلغة المسيح وتلاميذه، فهي أكثر تعبيرا عن كلامهم بألفاظهم أو أقرب لها من اليونانية التي لم يتحدثوها قط).

ثُمَّ المخطوطات البحيرية[4] القبطية، المخطوطات الخاصة بجماعة مرقيون (وسبق وأن ذكرنا أهمية هذه الجماعة بالنسبة لهذا الإنجيل، حيث احتفظت به دون غيره، وليست لهم مصلحة في حذف مسألة القربان هذه، لأنها لن تتعارض مع معتقداتهم في المسيح في شيء)[5].

=(مخطوطات البردي) قد كتبت بعد وفاة كتاب الاناجيل، بما لا يقل عن قرنين من الزمان، ولا يستطيع النصارى أن يثبتوا سندا لهذه المخطوطات إلى كتبتها. منقد السقار: مخطوطات العهد الجديد، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، 1989، ص 21.

(1)-هورت Fenton Hort (1828-1892م). وستكوت brooke Westcott (1825-1901) . وكلاهما من أشهر علماء المخطوطات ونقد الكتاب المقدس. E. Royston pike : Dictionnaire des Religions p 322 153

(2)-منقد السقار: مخطوطات العهد الجديد، ص23. (الرياض : شركة العبيكان للطباعة والنشر 1989).

(3)-البشيطا: بشيطو Peschitto: هي الترجمة السريانية للكتاب المقدس، ومعنى الكلمة:"البسيطة" أي أنها تختلف عن "التراجيم" التي كان لها طابع التعليق، لا نعرف أصحاب هذه الترجمة إلا أنهم عاشوا في جوار الرّها (عاصمة شمال سوريا المسيحية قبل اجتياح الإسلام)، وباشروا عَمَلهم في أواخر القرن الثاني، ومن الراجح أنهم استعانوا بالترجمات الآرامية اليهودية الأصل. معجم الإيمان المسيحي، ص107. قاموس الكتاب المقدس، ص203.

(4) المخطوطة البحيرية Bohairique: ترجمة قبطية لرسالة بولس إلى أهل رومة. معجم الإيمان المسيحي، ص98.

(5) منقد السقار: مخطوطات العهد الجديد، ص 23-25.

ولا يفوتنا التنبيه إلى مسألة مهمة وهي أن هناك مخطوطات تعيد ترتيب الآيات والسبب أن ترتيبها غير منطقي، ولننظر إلى محتوى الفقرات الآتية:

الفقرة 15: «يريد أن يأكل الفصح».

الفقرة 16: «لن يأكل بعد ذلك إلا في الملكوت».

الفقرة 17: «تناول كأسا وجعلهم يقتسمونها».

الفقرة 18: «لن يشرب حتى يأتي الملكوت».

الفقرة 19: «أعطاهم الخبز وقال: هذا جسدي الذي يبذل عنكم».

الفقرة 20: «الكأس مرة ثانية وأنها هي العهد الجديد بدمه الذي يسفك عنهم».

والملاحظ هو: تناول الكأس مرتين وأعطاهم إياه مرتين دون مبرر وهو ما يشير إلى أن الإعطاء الثاني تمت إضافته على النص وهو غير أصلي لأنه مقحم على سياق الأحداث مما يؤكد أن المسألة برمتها تحريف![1].

وحذف القصّة يحذف أيضا كلمة "اصنعوا هذا لذكري" وهي ما اعتبره النصارى إشارة لموت المسيح، فيكون المسيح لم يُعْطِ مثل هذه الإشارة لتلاميذه. والأغلب إما أن القصة كلها غير أصلية كما في المخطوطات التي ذكرناها، وتحذفها من أول 17-20، أو أن الجزء الهام منها الخاص "بالقربان المقدس" هو فقط المزوّر، كما تؤكد مخطوطات أخرى، ونعود فنؤكد أنه لا مصلحة لتلك المخطوطات في حذف القربان المقدس من لوقا من تلقاء نفسها، لأنها كُتبت في عصور وأماكن تعتقد في القربان المقدس[2]!.

والسؤال الذي يفرض نفسه إذًا: لماذا اختفى القربان المقدس وتأسيسه من لوقا، كما أثبتت المخطوطات ووافقها العلماء الكبار؟

إن القربان بصورة ما، موجود في متى ومرقس، لكن اختفاؤه القديم من لوقا يثير الرّيْبة في الأمر كلّه، فهل رأى لوقا أن المسألة كذب فحذفها من إنجيله؟ وهل لوقا الإنجيلي لم يؤمن أبدا بسر الأفخارستيا واعتبره خُرافة؟ أم أنه لم ير شيئا عنه مكتوبا في النُّسخ التي رآها لمتى ومرقس،

---

[1]-منقد السقار: مخطوطات العهد الجديد، ص27.

[2] 31 ,27

وبالتالي لم يكتبه في إنجيله، لأنه لم يعرفه ولم يسمع به في الأناجيل أصلا، وأن الأمر هو إضافة لاحقة على الإنجيل (إذ يختفي من نسخ مرقيون التي تعود للقرن الثاني الميلادي دون منطق أن نتّهم المرقيونيين بحذفها لأنها في الحقيقة لا تُخالف عقيدتهم، فلماذا يحذفونها؟).

إن أقرب الأمور للعقل -يقول السقار- أن لوقا لم يجد هذا الأمر أصلا في مرقس ومتى، وبالتالي لم يكتبه في إنجيله، ثم تمت إضافة هذه الفقرات على الأناجيل، لكن الدليل على إضافتها على مرقس ومتى مفقود، **وكل ما لدينا أن الفقرة مختفية من لوقا في زمنٍ مَا!**

ويعتقد السقار أن إثبات اختفائه من لوقا وأنها غير أصلية، كفيلة بإثارة الشك في تمثيلتيْها في مرقس ومتى، لأنه لا يُعقل أن لوقا رأى مرقس ومتى كتبا هذه الأحداث فحذفها هو من تلقاء نفسه، ولا شك أنه لو رآها مكتوبة لكتبَها عنده أيضا لِأهميتها القُصوى في الإيمان المسيحي الحالي! [1].

الاستنتاج النهائي، أن المؤشرات كلها تُشير إلى أن الفقرة مضافة إلى جميع الأناجيل بدلالة ثبوت إضافتها تزويرا وتحريفا على لوقا، لأنه لا مصلحة لأحد في حذفها، بينما المصلحة لدى الكنيسة في إضافتها!

وينبغي أن نلاحظ أن إنجيلين هما لوقا ويوحنا لا يذكران هذه الحادثة على الإطلاق، والتي تؤسس لسر الاستحالة والقربان المقدس، مما يجعل الأمر في "مهبِّ الريح"، ويؤكد أنها أكذوبة مخترعة وغير موجودة في النصوص الأصلية[2].

مما تقدم ذكره يتبين أن النظام الكهنوتي والقُداسات بأسرارها السبعة لم يكن نظامًا وضعَه الرّسل بل نظام متطوِّر مع مرور السنين إلى أن وصل إلينا في هذه الأيام بالشكل الذي هو عليه، بحيث إذا صَدَّقَهُ أحدٌ لا يستطيع أن ينفك من براثينه إلا بمعجزة إلهية، ونور إلهي يسطَع في قلب الإنسان حتى يتحرر!!

---

[1]-منقذ السقار: مخطوطات العهد الجديد، ص32-35 بتصرف.

[2]-المرجع نفسه، ص37.

المبحث الثاني: نقد علماء الغرب للعقيدة الأفخارستية

المطلب الأول: نقد الأفخارستيا البولينية: التحرريون[1] نموذجا (Harris et Reinach)

يعدّ بولس[2] أكثر وجوه النصرانية موضعا للنقاش، كما يعتبر خائنا لفكر المسيح، وهذا ما وصفه به الحواريون الذين بقوا بالقدس، وذلك لأنه اختلق نصرانية جديدة على حساب هؤلاء الذين جمعهم المسيح من حوله لنشر تعاليمه[3].

كان بولس، قبل الدخول في النصرانية شديد الكراهية والعداء لها، وأعمال الرسل لتميذه لوقا وكذلك بعض شهاداته على نفسه من رسائله ذاتها، شاهدة على كراهيته وحقده لأتباع المسيح، حيث يقول: «أنا يهودي فريسي[4] بن فريسي على رجاء قيامة الأموات»[5].

وفي رسالته إلى (غلاطية 1: 13-14): «سمعتم بسيرتي قبلا في الديانة اليهودية، إني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي،، إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي»[6].

وبولس كيهودي متعصب وحاقد على النصرانية وأتباعها يتحول فجأة إلى داعي من

---

(1)-التحرريون La critique Indépendante: اسم أطلقه رجال الدين في القرن 17 على غير المؤمنين بالعقيدة النصرانية، ويسمونا الآن بالمفكرين. (E. Royston Pike: Dictionnaire des religions, P192).

(2)-بولس: ولد من أسرة يهودية بمدينة طرسوس (Tarese)، تمتعت أسرته بحقوق المواطنة الرومانية، مع احتفاظها بيهوديتها، كانت اليونانية لغته الأصلية، ولكنه ذهب في صباه إلى القدس، حيث تعلم المبادئ اليهودية على يد كبار شيوخ بني إسرائيل. (عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع عشر، دار التونسية للنشر، تونس، دار الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986ن ص49).

(3)-موريس بوكاي: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ص70-71.

(4)-فريسي Pharisien: كلمة عبرية بمعنى الفصل، وهو التيار اليهودي الأكثر اتباعا في عصر المسيح، نشأ حوالي 130ق.م، أعضاءه متمسكون بأحكام الشريعة اليهودية والتشديد على الشكليات.
(E. Royston Pike: Dictionnaire des religions, P93).

(5)-أحمد شلبي: المسيحية، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984، ص111.

(6)-المصدر نفسه، ص 111.

دعاها ورسول من رسلها، وأنه تسلم من المسيح نفسه ما سلمه من تعاليم الوحي ! فهل يعقل ذلك؟ لا يعرف المؤرخون تاريخ هذا التغيير بالضبط والراجح أنه كان ما بين سنة 30-38م[1].

وقد جاء التغيير إثر الحادثة المشهورة والغريبة، وهو في طريقه إلى دمشق يقول فيها بولس: «ولما وصلتُ إلى مقربة من دمشق، أضاء حولي فجأة نور باهر، فوقعت على الأرض وسمعت صوتا يقول لي: شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ فأجبت من أنت يا سيد؟ فقال: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده.. قم وادخل دمشق وهناك يقال لك ما يجب عليك أن تفعله» (أع 22: 6-11) (أع 9: 3-20). وفي رواية «قم وكرز بالمسيحية».

ويقول لوقا في نهاية هذه القصة، جملة ذات بال غيّرت وجه التاريخ هي: «وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله»[2].

ويرى شارل جينيبير، أنه لو اقتنعنا بأن بولس تشبع بالأفكار اليونانية وأخذ أسس عقيدته عن الهيلينية[3] لكان القول بتحوّله من اليهودية إلى النصرانية أكثر منطقية من حادثة دمشق[4]. وهكذا أحدث بولس في النصرانية تغيرات كبيرة، فقد خلق دينا جديدا طمس به جميع معالم النصرانية، حيث نقلها من التوحيد إلى التثليث، وقال بألوهية المسيح، واخترع قصة الفداء للتكفير عن خطيئة البشر، وألغى التعاليم التي نادى بها المسيح نفسه، كالختان وعدم أكل لحم الخنزير، ويرى كثير من الباحثين أن عداوة بولس للمسيحية هي التي دفعته ليتظاهر بالدخول فيها ليستمر في حربها بسلاح جديد: سلاح التهديم من الداخل، بإفساد معالمها وطمس مظاهرها.. ومثلُه كثير في تاريخ الأديان، من أشهرهم عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام ونشر فيه من المبادئ الفاسدة ما كان يعجز عن عملِ جزءٍ قليلٍ منه لو ظلَّ يُعلن يهوديتَه، غير أنَّ أفكارَه لم تُعمِّر طويلا لأن الله سبحانه تكفلَ بحفظ كتابه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[5].

---

(1)-عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص50.

(2)-أحمد شلبي: المسيحية، ص112.

(3)-الهيلينية: هي الحضارة اليونانية في أوسع انتشارها، كثيرا ما عدها اليهود والمسيحيون معارضة لإيمانهم، وفي العهد القديم تدل على الاقتداء بالعادات اليونانية التي أدخلت إلى فلسطين في القرن الثاني قبل الميلاد. والهيلينسي: يهودي من الشتاة لم تعد لغته الآرامية بل اليونانية. (رسل 6: 1). معجم الإيمان المسيحي، ص527.

(4)-شارل جينيبير: المسيحية نشأتها وتطورها، ص122.

(5)-سورة الحجر: 9.

أما إنجيل عيسى، فلم يكن محفوظا ولا مكتوبا، وضاع نتيجة الأحداث التي تعرضت لها النصرانية.. فخرَّتْ مسيحية عيسى وقامت على أنقاضِها مسيحية بولس[1].

وهكذا استطاع بولس أن يُؤسِّس ديناً جديداً أقام أركانَه على جملة من القضايا، قنَّنتْها المجامع ورفعَتْها إلى مستوى العقائد التي لا يتمُّ الإيمانُ إلا بها: ألوهية المسيح وبنوته لله، عالمية النّصرانية، الخطيئة الأصلية ودور المسيح الفدائي، والقربان المقدس (الذي هو موضوع دراستنا).

وفي تأثُر بولس بالوثنيات التي شكَّلَ منها عقيدته الجديدة في موت الإله وبعثه يقول ويلس Wells: «..أن بولس تأثر أكثر ما تأثر بالميثرائية، ويتّضِح ذلك في رسائله، حيث أن ذهنه كان مشبعا بفكرة الشخص الضحية الذي يُقدَّمُ قربانا لله كفارة على الخطيئة بينما ما بشّر به عيسى كان ميلادا جديدا للروح الإنسانية، أما ما بشر به بولس فكان الديانة القديمة، ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء طلبا لاسترضاء الآلهة، كان عيسى في نظر بولس حمل عيد الفصح، تلك الضحية البشرية المأثورة المبرأة من الدّنس أو الخطيئة»[2].

ويقول بولس على المسيح الذي لا يريد أن يعرفه إلا مصلوبا: «فإنّ المسيح أرسلني لا لأعمِّد، بل لأبشر بالإنجيل... لئلاّ يصير صليب المسيح كأنّه بلا نفع لأنّ البشارة بالصليب جهالة عند الهالكين، وأما عندنا نحن المخلِصين، فهي قدرة الله.. ولكنّنا نحن نبشر بالمسيح مصلوبا». (1كور 1: 17-23).

أما نحن فنقول أنه قد جاء في أسفارهم على لسان عيسى: «ما جئت لأنقد الناموس بل لأكمل»، والكتاب المقدس يلحق اللعنة الأبدية بالمصلوب والطرد من رحمة الله[3]، حيث جاء في سفر التثنية (21: 22-23) «وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت، فَقُتِل وعَلَّقْتَهُ على خشبة فلا تُبت جثته على الخشبة بل تَدفَنه في ذلك اليوم، لأن المُعلَّق ملعون من الله».

فكيف يكون الصلب ملعون وهم يصلبون إلاهَهُم!!-الذي يزعمون؟- وللخروج من هذه الورطة اهتدى بولس إلى فِكرة الموت الكفاري الذي كان عن حكمة وتدبير لأجل خلاص

---

[1]-أحمد شلبي: المسيحية، ص129-130.

[2]-المرجع نفسه، ص115 نقلا عن: (Outline of History, Vol3, P696).

[3]-عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، دار التأليف، مصر، 1965، ص134-135.

الإنسانية من الخطيئة الأولى.. [1].

وهذا ما يقودنا إلى صُلب العقيدة المسيحية: عقيدة القربان المقدس، التي قامتْ وانبنتْ عليها أهم العقائد النصرانية: الصلب والفداء لأجل الخلاص..

وهكذا أصبحت نجاة المؤمن خاضعة بحسب بولس -لتوحُّده مع المسيح الفادي- المخلص في طقوس تتمثل في التعميد.. الذي يرمز إلى الموت والبعث في المسيح، وفي القربان المقدس (سر الأفخارستيا) وهو عشاء الوحدة مع المسيح[2].

غير أنه في الوقت الحاضر، أحدثت فكرة موت الإله وبعثه لفداء البشر صعوبات للاَّهوتيين النصارى، لأن الفكر الغربي واجه صعوبة جمة في هضم الفكرة القائلة بإلهٍ قاسٍ يَفرضُ موت ابنه.. [3].

وبناء على ما تقدم ذِكْره عن بولس ودوره في ابتداع مسيحية جديدة بعقائدها وطقوسها -كفكرة مختصرة عامة- نُورِد رأي النقاد الأحرار (أو التحرريون) في إبطال الأفخارستيا البولينية La critique indépendante de l'eucharistie paulinienne، وذلك بإلقائهم الشك على القيمة التّاريخية لنصوص العهد الجديد (نصوص تأسيس الأفخارستيا).

«En semant le doute sur la valeur historique des textes du nouveaux testament en ce qui concerne l'institution de l'eucharistie par le christ»[4].

هل فعلاً احتفل المسيح بالأفخارستيا كما يصِفُها أسفار العهد الجديد؟ وفي حالة الإثبات، هل أنّ المسيح حقا أوصاهم بتجديد الذكرى!(إصنعوا هذا لذكري) (La reitération du rite).

-فهم يرون أن كل "نصوص التأسيس" تحمل الطابع البولسي:

«...tous les textes de l'institution portent l'empreinte du texte paulinien...»[5].

---

[1]-عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، ص136.

[2]-شارل جينيبر: المسيحية نشأتها وتطورها، ص121.

[3]-Denis Saurât: Histoire de religions (les Editions de Noèl et stele, Paris, 1933, P250.

[4]-Maurice Brillant: Eucharistie, Librairie Bloud et Gay, Paris, 1935, P27.

[5]-Ibid, P28.

وأنّ التقليد الكنسي برمته يشير إلى **بولس** على أنه المسؤول "الرسمي" عن وضع شكل وأصول "سر الأفخارستيا".

«Tout la tradition renvoie à st paul comme à l'auteur responsable de la forme et des origines du mystère eucharistique»[1].

-ويذكر كل من Salomon Reinach[*], و Rendel Harris[*] أن التلاميذ الاثنى عشر عندما كانوا يلتقون ويأكلون الخبز لم يكونوا ليربطوا بصلة ما بين كسر الخبز وبين موت المسيح، ولكن بولس أعطى "لاقتسام الخبز" تفسيرا ربطه بميتة المسيح على الصليب لتخليص البشرية من وزر خطيتها[2].

حيث وجد أنّه للمشاركة في "ذبيحة المسيح" " Le sacrifice du Christ sur la croix" لا بد من أداء القربان المقدس[3].

وتعود الإشارة الأولى للمشاركة في دم وجسد المسيح المصلوب أثناء المناولة إلى بولس حيث يقول: «أليست كأس البركة التي نباركها هي شركة دم المسيح، أوليس رغيف الخبز الذي نكسره هو الاشتراك في جسد المسيح؟» (1كور 10: 16-17)[4].

كما أن بولس هو من سمى هذه "الشعيرة" بالعشاء الرباني، حيث قال: «فحين تجتمعون معا في مكان واحد لا تجتمعون لأكل عشاء الربّ» (1كور 11: 20).

-ويواصل التحرريون في نقدهم "للأفخارستيا البولينية: حيث لم يكن قد قُدِّرَ لأيّ طقس

---

[1]-Maurice Brillant: Eucharistie, Librairie Bloud et Gay, P29.

[*]-هاريس (James Rendel) Harris (1852-1941): من كبار العلماء الذين انكبوا على دراسة العهد الجديد وخاصة في مجال النقد النصّي (La ctritique textuelle)، محاولا الرجوع إلى الأصول المسيحية الأولى، له مؤلفات عديدة حول المخطوطات السريانية (Manuscrits Syriaques)، والبرديات اليونانية (Papyrus Grecs).

[*]-ريناخ (Salomon) Reinach 1858-1932: من أصل فرنسي، فقيه لغوي (Philologue)، عالم بالآثريات (Archeologue) ، ومؤرخ في الأديان. [E.Royston Pike : Dictionnaire des religions, P267]

[2]-Maurice Brillant: Eucharistie, Op.Cit, P30-31.

[3]-Ibid, P32.

[4]-Maurice Brillant: Eucharistie, P33-34.

من طقوس المعتقدات الوثنية أن ينال الحظوة والأهمّية مثلما نالت الأفخارستيا في فكر بولس، و لم يكن هذا المعتقد نابعا من فكر الدين اليهودي (إذْ كان دعاة وتلاميذ المسيح الأوائل يهود، ترسَّخَتْ في نفوسهم عقيدة الإله الواحد المستقاة من أسفار العهد القديم)، بل هو قطعة من الوثنية[1] أُضيفتْ إلى النصرانية بفعل من بولس الذي عبَّرَ عن مجمل دعوته من خلال آخر مأدبة لعيسى: اتحاد في الرب وتحقيق خلاص لنوال الحياة الأبدية! وبذلك أصبح سر الأفخارستيا، العمل الشعائري المركزي في العبادات النصرانية[2].

وخلاصة القول، أن بولس -وكما يجمع أغلب الباحثين- هو المؤسس الحقيقي للنصرانية، بل وهي من بنات أفكاره ويؤكد Cannon Quick بأن تصديق تأسيس الأفخارستيا من قبل المسيح مرفوض، وموضع ارتياب كبير.

«..La croyance en l'institution de l'eucharistie par le christ est révoquée et mise en doute!»[3].

وإنما يرجع تأسيس السر إلى الكنائس البولينية..

«Dans ce stade de la pensée indépendante, la cène est séparée de l'eucharistie, dont l'institution est dite remonter aux églises pauliniennes»[4].

ثم يدلي النقاد الأحرار بالحجج التي يُثبتون بها اختراع "بولس "لهذا السر"، وأنه ليس بمنحدر من التقليد الإنجيلي المسلَّم إليه من "الرب نفسه" -على حد تعبيره- «أعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بُشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمته من إنسان، بل بإعلان يسوع المسيح» (غلا 1: 11-12)، وهكذا أخذ بولس الزمام في يده، فهو لم ير المسيح قط، ولا سمِعه يتكلم ولكنه قال بِصلةٍ مباشرة بينه وبين المسيح، صِلةٌ أدخلته المسيحية وسكبتْ في نفسه تعاليم جديدة، وبهذه الدعوة لم يصر لأحد حق في أن يناضله فيما ينشره من

---

[1]-الوثنية Paganisme: هم القائلون بتعدد الآلهة، يسميهم العهد القديم عادة "الأمم" أما العهد الجديد فيدل بكلمة "الأمم" على الشعوب الوثنية. معجم الإيمان المسيحي، ص535.

[2]-Maurice Brillant: Eucharistie, P36-37.

نقلا عن: Hunkin, The Origin of Eucharistic Doctrine, Londres, 1930.

[3]-Ibid, P41.

نقلا عن: Cannon Quick: The christian sacraments, Londres, 1933, P122.

[4]-Ibid, P42. نقلا عن: Rendel Harris, Eucharistic, Origines, 1927.

تعاليم، ما دام يقول أن هذه التعاليم تلقاها مباشرة من السيد المسيح، فهي إما أن تُقبَل وإما أن تُرفَض، ولكنها على كل حال لا تُناقَش!! :

«Voici les arguments, en ordre principal contre l'origine traditionnelle de l'eucharistie paulinienne...»[1].

-ندرة الوثائق "المخطوطة باليد" المُختصَّة بالكتاب المقدس، إن لم نقل غيابها التام.

«l'Absence d'une documentation **scripturaire**[2] abondante sur l'eucharistie...»[3].

-وجود تناقضات ظاهرة في النصوص الرئيسية لا سيما في إنجيل لوقا

«La présence de variantes dans les principaux textes, notamment dans l'évangile de saint luc»[4].

-وجود تقاليد مختلفة ومتعددة في ممارسة القداس، وتأسيس بولس لطقوس سرية وذبائحية..

«l'Existence de traditions divergentes sur l'eucharistie.. et l'institution par st paul d'un rite **sacramentel** et **sacrificiel**...»[5].

-التأثير المباشر للعقائد الوثنية[6] والديانات القديمة التي صبغتْ مسيحية بولس، ونجد بصْمتَها واضحة في المسيحية الرسولية.

---

[1]-Maurice Brillant: Eucharistie, P47.

[2]-Scripturaire: منسوخة باليد، مختصة بالكتاب المقدس.
E. Roysron Picke: Dictionnaire des réligions, P177.

[3]-Maurice Brillant: Eucharistie, P47.

[4]-Ibid, P47.

[5]-Maurice Brillant: Eucharistie, P47.

[6]-فقد تسربت إلى المسيحية مختلف العقائد الوثنية من بلاد فارس والهند، الذين كانوا يعتقدون أن كرشنا المولود البكر الذي هو نَفَس الإله "فشنو" الذي لا ابتداء له ولا انتهاء (على شكل ملكي صادق، مَلِك البِرّ المشبه بيسوع المسيح)، والذي قدَّمَ نفسه ذبيحة لأجل خلاص البشر، ويصورونه مصلوبا مثقوب اليدين والرجلين، ويصفون كريشنا لذلك بالبطل الوديع الممسوء لاهوتا لأنه قدَّمَ نفسه ذبيحةً من أجل فداء الإنسانية. (أحمد شلبي: المسيحية، ص167 بتصرف).

«L'influence directe des croyance et des religions à mystère sur le christanisme paulineen et dont l'impact est directe sur le christianisme apostolique»[1].

-الأصل المتأخر للأفخارستيا على شكل "قداس" عند الكاثوليك:

«L'origine tardive de l'eucharistie sous la forme de la messe catholique»[2].

المطلب الثاني: نقد الأفخارستيا من خلال أبحاث ليتزمان Leitz Man

لقد كان رائد هذه الأبحاث العالم ليتزمان[3] الذي اتّجهتْ أنظاره بإصرار نحو طقس أورشليم الأول، الذي أسماه "طقس كسر الخبز"، والطقس الثاني الذي تراكم على الأوّل حتى أخفاه، والذي أسماه "طقس تِذكار العشاء"، وليس العشاء نفسه.

وبدأ ليتزمان يسأل هل الرسل أنفسهم هم الذين أقاموا هذين الطقسين؟

ووقف حائرا عند هذا الحد، إذْ ليس أمامه ما يدله على أن جماعة تلاميذ أورشليم أقاموا بالفعل هذين الطقسين، وما توصّلَ إليه من خلال أبحاثه، أن بولس هو المسؤول عن هذا الطقس الثاني: أي عن "الطقس التذكاري" في العشاء الأخير.

واعتبر "ليتزمان" أن طقس أفخارستية أورشليم الذي دعاه طقس "كسر الخبز" كان يخلو من الكأس أي أن الأفخارستيا التي كان يُقيمها جماعة تلاميذ أورشليم لم يكن فيها كأس الخمر، ويُثبتْ أنّ "إدخال الكأس" من وَضْع بولس نفسه: «أليست الكأس التي نباركها هي دم المسيح..»، ويقول ليتزمان أن طقس أورشليم الأول حُفِظ في مصر وحدها لأن بولس لم يُفِد إلى هذه البلاد، وأن هذا الطقس ليس بحسب تسجيل الأناجيل، وأنه يمثل الممارسة الفعلية لتلاميذ

---

[1]-Maurice Brillant: Eucharistie, P47.

[2]-ibid, P47.

(حيث ابتدع الكاثوليك خلال القداس Messe ألحان تتلى أثناء القبلة المقدسة Aspasimes (الأسبسموس). والأوشية التي تقال بعد قراءة الإنجيل، وكذلك خدمة "وضع القرابين" على المذبح: Prothesis البروثيسيس). Ibid, نقلا عن:

E.Morris: Jesus and the Euchatist, 1933, P242-267.

[3]-هانس ليتز مان Leitzman: عالم لاهوتي ألماني، ومن كبار مؤرخي الكنيسة، ولد عام 1875م.

Historien ecclesiastique, Théologien Allemand.

E.Royston Pike: Dictionnaire des Réligions, P193.

أورشليم[1].

-ثم يعطي ليتزمان أوصاف طقس أورشليم الأول المحفوظ في مصر بدقة بالغة: حيث أن في نهاية التحليل الذي يقدمه عن الشكل الأصلي لليتورجيا الأولى ينتهي إلى التقرير التالي:

1-إن التقليد المصري الأصيل (فيما قبل آنافورا سيرابيون) [2]، لا يعرف قط التلاوة الكلامية لرواية التأسيس (كأنْ يقول: أخذ خبزا على يديه.. وهكذا بعد العشاء أخذ كأسا.. الخ).

2-كما أن اللّيتورجيا لا تربط العشاء بالموت كتذكار يسوع في العشاء الأخير.

3-وهذا الكلام يدعمه غياب التذكار من الطقس جملة، وقد ظل التذكار غائبا عن هذا الطقس حتى إلى زمن متأخر (عندما جاءه من تربة أخرى بتأثير بولس..).

ويقول ليتزمان أن ما توصل إليه من نتائج بعد دراسات في «غاية الدقة والصحة»: [أن التأسيس Institution مع التذكار Anamnesis الذي يعتمد أصلا على التأسيس ذاته لم يكونا موجودَيْن أصلا في الليتورجيا المصرية القديمة.. والأصح هو أن الليتورجيا المصرية القديمة تخلو حتى من كلمات التأسيس، وكلمات التذكار] [3].

---

[1]-Maurice Brillant: Encyclopedie universelle sur l'eucharist, P16-17.

-Pierre Pierrad: Histoire de l'eglise catholique, Desclé et Cie, Paris, 1972, P177-180.

[2]-سيرابيون (Serapian) 339-363م: رئيس دير، أسقف مصر في منتصف القرن الماضي، إليه كُتِبَتْ "الرسائل إلى سيرابيون" التي وضعها صديقه القديس أثناسيوس، اشتهر خاصة بـــ"كتاب الصلاة" المحتوي على ثلاثين صلاة طقسية من تأليفه. معجم الإيمان المسيحي، ص274.

وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن سيرابيون قد أخذَ عن صلوات أقدم منه قبل القرن الرابع، وأضاف إليها ورتّبها، ليكون أنافورا جديدة تقام بها صلوات القداس: فيها ذكر قصة التأسيس واستدعاء روح القدس وذكر للأحياء والأموات. (بنيامين باسيلي: الأفخارستيا، ص114).

[3]-C.H.Dodd (Charles Harold): Le fondateur du chrisstianisme, Traduction: André lésart, Edition du Seuil, Paris, 1972. P9. (d'après pline: corréspondante avec Trajan lettres N°96-97).

بلين (Pline): (62-113م) كاتب روماني له عدة رسائل منها واحدة لتراجان.

Dictionnaire encyclo pedie Quille. Larousse du XXeme siécle, P641.

تراجان: (52 117م) أمبراطور روماني من أصل إسباني، عرف بالحكمة.

Ibid, P67.

إذا فإن خلاصة دراسات ليتزمان في هذا الموضوع:

أن وراء ليتورجية سيرابيون يوجد -بصورة قاطعة- طقس آخر ليس مأخوذا من العشاء الأخير (وليس متطورا: أي لم تدخل عليه أي إضافات أو ترتيبات)، وليس بحسب تسجيل الأناجيل، هذا الطقس هو الممارسة الفعلية لتلاميذ أورشليم. وقد حُفِظ في مصر وحدها، لأن بولس -كما أسلفنا الذكر- لم يفد إلى هذه البلاد[1].

على أن الطقوس الأخرى التي ليست ذات أصول مصرية، فإنها ترجع إلى ليتورجية هيبوليتس[2] الذي يتّبع أصلا آخر للأفخارستيا يقوم على أساس "تذكار" للعشاء الأخير نشره بولس الطرسوسي (Paul de Tarse)[3]!

وقد نجح ليتزمان في إعطاء أهم ملامح صورة العشاء الأولي المسلّمة من تلاميذ أورشليم والمعتبرة أنها ليتورجية الممارسة الأولى للكنيسة، سواء في أورشليم أو مصر، التي كانت -كما يصفها ليتزمان-:

-"بدون رواية": أي لا تقوم على وصف ما قام به المسيح أثناء تأسيس السر.

-أما عن التسبحة الشاروبيمية Sanctus، فهي أصلا ليست من "صميم جسم الأفخارستيا"[4] وهي لم تَدْخُل "الليتورجيا المصرية" إلا في الأفخارستيا "المتطوّرة"(..الصبغة البولسية مرورا بسيرابيون ثم هيبوليتس ووصولا إلى القداس اللاتيني La messe Catholique).

---

(1)-C.H.Dodd (Charles Harold): Le fondateur du chrisstianisme, P11.
Maurice Brillant: Encyclopedie, universelle sur l'eucharistе, P18.

(2)-هيبوليتس: كاهن روماني، قاوم البدعة المنارخية، أدى نزاعه مع البابويين إلى انفصال تمّ في حوالي 220، فأصبح عندئذ أسقف جماعة رومانية منشقة، توفي "شهيدا" في 235، تعد مؤلفاته باللغة اليونانية المصدر الرئيسي لمعرفة تاريخ الفكر اللاهوتي والحياة المسيحية في روما في مطلع القرن الثالث، تضم مؤلفات جدلية (كمؤلف: الرد على جميع البدع)، ومجموعة طقسية ثمينة هي "تقليد الرسل". معجم الإيمان المسيحي، ص529. E.Royston pike: Dictionnaire des Religions p:156

(3)-Maurice Brillant: Encyclopedie universelle sur l'eucharistе, P19.

(4)-معنى العبارة (من صميم جسم الأفخارستيا:
...Que le sanctus à l'origine ne faisant pas partie de la nature pronfonde du corps eucharistique).
صميم
Maurice Brillant: Encyclopedie, universelle sur l'eucharistе, P19-21.

-ويقرر ليتزمان في موضع آخر: «أن الطقس المصري الأكثر بداءة (Le plus primitif) كان يخلو من كلٍّ من مُقدِّمة التسبحة الشاروبيمية[1] والتَّسْبِحة ذاتها».

-أما "التذكار" فقد دخل الليتورجيا المصرية المسلَّمة من أورشليم في عصر متأخر!

-مستدلا بإنجيل لوقا، فإن ليتسزمان يُعيد تأسيس الاحتفال الأفخارستي للعصر الرسولي، حيث لم يحتوِ القربان إلاَّ على كسر الخبز!!

«S'Appuyant notamment sur les textes de l'evangile de st luc il reconsttitue pour l'époque apostolique un type de célébration eucharistique **où seule la fraction de pain (fractio panis) figure comme rite essentiel»**[2].

وأن الكأس -المزعومة- إنما أُضيفت على لوقا في المخطوطات والبرديات[3] الذي يرجع تاريخها إلى مطلع القرن الثاني (كما أسلفنا الذكر).

ومما تقدَّمَ يمكن القول أن ليتزمان قد نجح في الكشف عن هذا الطقس الأورشليمي الأول، وكان بذلك رائد البحث اللّيتورجي لأنه أوّلَ من وضَعَ يدَهُ على "النّظرية" بدقة بالغة مُسقطا بذلك ابتداعات بولس وأضاليل الكنيسة!

---

[1]-التسبحة الشاروبيمية: Cherubic Hymn نشيد يشير مطلعه إلى الشاروبيم ويُرنَّم به القُدّاس، مطلعُه: (الشاروبيم يسجدون لك...). والشاروبيم خليقة مجنحة تفوق السيرافيم. (متى المسكين: الأفخارستيا، ط3، ص773).

[2]-Maurice Brillant: Encyclopedie universelle sur l'eucharist, P21-26

[3]-المخطوطات والبرديات: يوجد ما يقرب من أربعة وعشرون ألف مخطوط يدوي قدم من كلمة الرب من العهد الجديد، وأقدمها يرجع إلى 350 عاما بعد الميلاد، والنسخة الأصلية أو المنظورة، أو المخطوط الأول لكلمة الرب لا وجود لها.. وتُقسَّم المخطوطات إلى ثلاثة أقسام:

أ-مخطوطات البردي أو البرديات، والكتابة على ورق البردي كانت تستخدم في القرن الثاني والثالث الميلادي، وقد وصلنا عن طريقها قطعتين فقط من العهد الجديد.

ب-مخطوطاتٍ إغريقية مكتوبة على رقوق الحيوانات تعود إلى مطلع القرن الميلادي الرابع، وأهمها النسخة الإسكندرية، والفاتيكانية والسينائية.

جـ-مخطوطات متأخرة ترجع إلى القرن 3م وهي سبعة أهمها البازلية. (مقد السقار: مخطوطات العهد الجديد، ص30-31).

المطلب الثالث: نقد الأفخارستيا من خلال أبحاث أندروملر:

ولد أندروملر في 27 جانفي عام 1810 بأسكوتلندا وفي نهاية حياته الأرضية عام 1883 أعلن ببساطة «لا شيء يهم بل المسيح».

Vers la fin de sa vie terreste, il proclame simplement: «Rien ne compte , mais le christ»[1] .

إنكب على الدراسات اللاهوتية وتفسير الكتاب المقدس بعهديْه القديم والجديد، وخصّ الأناجيل بالنقد التاريخي البنّاء، فيما أسماه بـــ"لا مبالاة الأناجيل" "L'apathie des Evangiles"، مبيّنا تناقضاتها وركاكة أسلوبها.. اشتهر بمؤلفاته حول "الكنيسة" من أهمها: تاريخ الكنيسة في ثلاثة أجزاء (History of the Church)، ومختصر تاريخ الكنيسة -الذي بين أيدينا-، تميّز عن غيْره من الباحثين بالفحص الدقيق لكل حادثة تاريخية، يرى ميلر بأنه لا يمكن الإيمان مطلقا بأي عقيدة إلا بالاستدلال على صحّتها، وهكذا عمِل على تسليط الضّوء على النصوص المقدسة للكتب النصرانية واليهودية[2]، انتقد هرطقات الكنيسة وأسقط "هرم البابوية"، حيث أنكر أن يكون المسيح مؤسس هذه "النصرانية الجديدة" المليئة بالطقوس الغريبة والمعتقدات الفاسدة.. وقد أضاف الكثير إلى علم "مقارنة الأديان" مُستعينا بكل المعطيات التاريخية والآثرية واللغوية والجغرافية الممكنة في زمانه، مما جعله يحتل مكانة مرموقة في النقد الغربي الحديث، إذْ بفضله أصبح يُنظر إلى الكتب المقدسة بمنظار مختلف[3].

وقد أعلن ميلر أن ما في الأنجيل من خوارق طبيعية يجب أن يُعدّ من الأساطير الخُرافية وأنّ حياة المسيح الحقيقية يجب أن تُعاد كتابتها بعد أن تُحذف منها هذه العناصر أيّا كانت صورها، وقد آثارت كتاباته وأفكاره عاصفة قوية في التفكير الغربي، دامت جيلا من الزمان، اضطرت معه الكنيسة الكاثوليكية إلى إصدار قانون بحرمانه هو وغيره من العلماء المحدثين من التدريس[4].

---

(1)-E.Royston Pike: Dictionnaire de réligions, P213.

(2)-Denis saurât: Histoire de réligions, P368-369.

(3)-Ibid, P370.

(4)-Ibid, P376-377.

-Encyclopedia Unversalise, T4, 1996, P42.

كما يؤكد ميلر -بكل حرية- أن القيمة التاريخية للأناجيل هشة ولا تعتمد في تدوينها لى الحقائق التاريخية، بل هي من وضع الجماعات النصرانية الأولى كما يرى أن بعض العقائد نصرانية مستوحاة من الرؤى اليهودية: مَثلُ ذلك كبش الفداء (أو كبش المحرقة) Le Bouc Emissair: حيث كان في العهد القديم وفي أثناء عيد التكفير، ينقل الكاهن إلى التيس، بوضع يدين (Imposition des mains) جميع خطايا إسرائيل، وكان الحيوان يساق بعد ذلك إلى برية مقر الشيطان (عزازيل[1])، وكان كل ذلك يرمز إلى التحرر من الخطايا (عبرا 9: 19-22).

وما تجدر الإشارة إليه هو أنه رغم تشكيكه في قيمة الأناجيل إلا أن ميلر ظل متشبثا نصرانيته وأرجع ذلك إلى أن الإيمان لا يحتاج إلى النصوص والأسفار المقدسة[2].

وهذا ما من شأنه أن يعطي لشهادته قيمة وأن يقيم لنقده وزنا.

يرى "ميلر" بأنه من المستحيل عدّ الإضافات التي زيدت على الطقوس الدينية وأن هناك ن المراسيم الجديدة والعادات والأعياد والأيام المقدسة ما كان يضاف من حين لآخر، سواء واسطة الباباوات أو في نطاق خاص بواسطة القسس، ولكن ليس هناك من اختراع امتد واتسع تسلط على عقول العامة مثل "فكرة الاستحالة"، وهي فكرة لم ترد قط في كتابات الآباء لأولين، اللاتينين منهم أو اليونانيين، بل أول أثر لها نجده يظهر في القرن الثامن، وفي القرن لتاسع، وهي قرون امتازت بظلمتها الحالكة أسدلتها آثام البابوية بما اقترفت من أباطيل ونشرت من الخرفات..

يقول ميلر: قام أحد الرهبان المدعو باسكاسيوس[3] وأعطى شكلا وتحديدا لهذه الخرافة الكبرى (أي تعليم الاستحالة أو الأفخارستيا).

وفي القرن الحادي عشر قاومها برنجار[4] الذي من تورز Tours مقاومة شديدة، بحيث سخر كل قواه العقلية وكل إمكانياته في دحض ذلك التعليم (تعليم الاستحالة).

---

[1]-عزازيل: كلمة عبرية الأصل معناها خصم. معجم الإيمان المسيحي، ص290.

[2]-Denis saurât: Histoire de réligions, P381.

[3]-باسكاسيوس: راهب من القرن التاسع، أعطى شكلا وامتدادا لأسطورة القربان. أندرو ميلر مختصر تاريخ الكنيسة، ص292.

[4]-برنجار (Borenger): ظهر هذا العالم الإيرلندي في أواخر القرن الحادي عشر، أسس مبدأ العقلانية، الذي جعل العقل فوق سلطان روما، وقد كان عقلانيا عملاقا، ولكنه شك في سلامة تعليم اللاهوتي التقليدي، وتحت ضغوط الكنيسة هرب إلى نجلترا. المصدر نفسه، ص277.

ولكن لانفرانس[1]، أيّد هذا التعليم وإذ استمال أكثرية الكهنة إلى جانبه انتصر على برنجر، فجرّدوه من رُتبه وحرموه بقية أيام حياته، ومن ذلك الحين صارت البرنجرية، تعتبر مَسبّة عظيمة وهرطقة شنيعة[2].

وهكذا كُتِب البقاء لهذه النظرية الغريبة -نظرية الإستحالة- حتى حوالي منتصف القرن الحادي عشر.

وبعد موت لانفرانس عام 1089م، عُيّن أنسيلم خلفاً له، وكان كسابقه، صاحب سلطان ونفوذ، شغل كرسي الرئاسة مدة ستة عشر عاما، ودافع عن "عقيدة الاستحالة" دفاعا شديدا.. [3].

وهكذا، استمرت هذه المسألة، موضوع بحث ومجادلة الفلاسفة الدّينيين، حتى مجمع لاتيران الرابع سنة 1215، أين تقرّر إثباتها كأحد تعاليم كنيسة روما المُسلَّم بها[4].

-أما عن البواعث التي جعلت الكاثوليك يُوحدون كل مجهوداتهم لتثبيت فكرة الاستحالة، يقول ميلر: «والواقع أن لا شيء جعلهم يَقفون هذا الموقف سوى رعبهم من نور الإنجيل، فالكاثوليكية لا يمكن أن تعيش إلا في الظلام الدامس فيما يتعلق بحق الله»[5].

-ثم يتطرق ميلر إلى مسألة مهمة وخطيرة في آن واحد: ألا وهي "الكأس الأفخارستي"[6] "Le Calice" وباليونانية "Calix" فقد بينت المخطوطات -كما تقدم- أن الكأس "مضافة" عند

---

[1]-لانفراس: أسقف كانتر بري في القرن 11، عمل بما له من التأثير والعلم على تثبيت التعليم بالاستحالة، مات سنة 1089، وعين أنسيلم خلفا له. المصدر نفسه، ص237. أندرو ملر: مختصر تاريخ الكنيسة ص292.

[2]-Denis saurât: Histoire de réligions, P389.

المصدر نفسه، ص237-239.

[3]-Denis saurât: Histoire de réligions, P390.

أندرو ميلر: مختصر تاريخ الكنيسة، ص241.

[4]-المصدر نفسه، ص292.

[5]-المصدر نفسه، ص545.

[6]-Maurice Brillant: Encyclopedie universelle sur l'eucharist, P81.

نقلا عن: Andrew Miller: History of the Church, Londres, 1926, T1

لوقا، و"مغفلة" عند يوحنا، وأن أوّل من تكلّم عن الكأس هو بولس «الكأس التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح..»، علما بأن كتاباته سبقت تدوين الأناجيل!

يُضيف إذًا ميلر إلى نتائج هذه الأبحاث القيّمة، ما توصّل إليه -هُوَ نفسُه- من حقائق علمية (مدهشة): يقول ميلر: أن "الكأس" هي "كأس ماء" وأن المائيون Les aquariens من القرن الثاني إلى القرن السادس، الذين تمسكوا ببقايا العقيدة الصّحيحة، (العقيدة الأفخارستية) عُدّوا هراطقة "Les Aquariens furent considérés comme Heretistes" حيث كانوا يرفضون استعمال الخمر في "سرّ القربان" مكتفين باستعمال الماء.

ويستدل ميلر على صحة نظريته بأنّ جذورها تعود إلى عهد التلاميذ: يقول ميلر: أنّ يعقوب بن حلفي[1] الرسول المسمى بيعقوب الصغير (مر 15: 40)، تمييزا له عن يعقوب الكبير بن زبدي، كان يُلقّبُ أيضا بيعقوب "البارّ" "Le Pieux" لأنه لم يشرب خمرا و لم يدهن نفسه بالزيت[2]، وكان مسموحا له وحده بدخول الهيكل[3] لما عرف عنه بين اليهود بأنه أعظم بارّ بين البشر، وكثيرا ما كان يوجد جاثيا على رُكبتيه طالبا الصّفح عن الشعب حتى صارت ركبتاه خشنتين كرُكب الجمل،وقال عنه ذهبي الفم"Jean de Chrysostome" «..أن أعضاء جسمه كانت ميتة أي أنه كان روحا خالصا»[4].

وقد لقّبه اليهود أيضا بأنه "حصن الشعب" و"العدْل".

يقول ميلر: فإن كان يعقوب "أخ الرب" لم يشرب خمرا في حياته و لم يدهن نفسه

---

[1]-يعقوب بن حلفي: يسمى أيضا يعقوب "أخ الرب" (متى 13: 55)، لأنه ابن خالة المسيح، وكان اليهود يعتبرون أبناء الخالة إخوة (تك13: 8، 27: 43)، فأمه هي مريم أخت السيدة العذراء (يو 19: 25)، أما أبوه فكان يحمل اسمين، الأول (حلفي) وهو اسم آرامي والثاني (كلوبا) وهو اسم يوناني (يو 19: 25)، تكلّم عنه بولس بأنه الأسقف المسؤول عن كرسي أورشليم (غلا2: 12)، وسمي بالصغير تمييزا له عن يعقوب الكبير ، إما لأنه كان أقصر قامة أو أصغر سنا، أو لأن دعوته جاءت بعد دعوة ابن زبدي. (قاموس الكتاب المقدس، ص1075.

E.Royston Pike: Dictionnaire de réligions, P171).

[2]-Denis saurât: Histoire de réligions, P391.

[3]-الهيكل: بناء مستطيل يضم ثلاثة أقسام متتالية: المدخل، والقدس، وقدس الأقداس، والهكيل: معبد تُؤدّى فيه العبادة العلنية للرب، وهو ثابت المكان بَدَل خيمة الموعد المتنقلة. (معجم الإيمان المسيحي، ص531).

[4]-Maurice Brillant: Encyclopedie, universelle sur l'eucharistе, P85.

نقلا عن: Andrew Miller: History of the Church

بالزيت، فكيف فعل ذلك يسوع؟».

-كما يُنبه ميلر إلى ما صنعه اليهود بيعقوب البار لما طلبوا منه أن يشهد عن شخص المسيح وبأن يقنع الشعب بألاّ يَضلوا بكلامه.. وكان ذلك في عيد الفصح، حيث يجتمع جميع اليهود في أورشليم، ولكنه رفض، فغضب الكتبة والفريسيون وطروحه أسفل الهيكل وصرخوا قائلين "أه لقد انحرف البار أيضا" وبدءوا يرجمونه وهو جاث على ركبتيه طالب الصفح من الله لهم، فصرخ أحد الكهنة قائلا: «كفوا ماذا تعملون، إنّ البار يصلي لأجلكم»، إلا أن أحدهم - وكان صباغا- تقدم إلى القديس وضربه على رأسه بعصى غليظة وهكذا استشهد يعقوب البار عام 62م، فدفنوه بجانب الهيكل.

ولقد قال المؤرخ اليهودي يوسيفوس[1] عن خراب أروشليم[2]: «لقد حلّت هذه الأمور باليهود. انتقاما لدماء يعقوب البار لأن اليهود قتلوه رغم أنه كان شخصا بارا جدّا.. صلاته فلتكن معنا آمين»[3].

-إذا يتوصل ميلر في نهاية أبحاثه إلى أن الكتاب المقدس حوى في طياته الخرافات والأكاذيب التي ليست سوى امتدادا لأساطير قديمة ترتكز بشكل خاص على عشاء المسيح الأخير، ليلة آلامه -حيث أخبر وبشرّ بمجيئه الثاني- والتي هي نفس دراما الآلهة الأسطورية للشعوب القديمة[4].

---

[1]-يوسيفوس (37-100): مؤرخ يهودي، ولد في أورشليم وشهد خرابها على يد طيطس، من مؤلفاته "الحرب اليهودية"، و"العادات اليهودية"، وهو تاريخ عام من الخليقة حتى 69م، مع ترجمة حياته. معجم الإيمان المسيحي، ص558

[2]-خراب أورشليم: في العهد الجديد تدل أورشليم على مدينة نهاية الأزمنة، على المدينة الآخيرية التي سيجتمع فيها جميع المختارين من جميع الأمم، على المدينة التي يسود فيها البر والسلام. (رؤ 21).

حدث خراب أورشليم على يد القائد الروماني تيطس الذي أحرق الهيكل وباع كثيرين من شعبها في السبي وكان ذلك سنة 70م. قاموس الكتاب المقدس، ص135.

[3]-أندرو ميلر: مختصر تاريخ الكنيسة، ص99-100.

Maurice Brillant: Encyclopedie, universelle sur l'eucharist, P85.

نقلا عن: Andrew Miller: History of the Church

[4]-C.H.Dodd (Charles Harold): Le fondateur du christianisme, Traduction: André lésart, P69. (d'après Andow Miller: Documents écclesiastiques néo-testamentaires, Londres, 1930).

-كما يُشير إلى التناقضات التي كشفتْ عنها المخطوطات والبرديات، ولا سيما نسخة "Q" المجهولة، والتي قد تخلو من "ذكر العشاء" تماما كما تخلو من آلام المسيح على الصليب.. [1].

-ويُقرر ميلر بأن هناك إضافات أُلحقتْ بالنصوص الأصلية "للعشاء الأخير"، وأنَّ "عبارات التأسيس" حُرِّفتْ وأضيفت لها كلمات وفقرات أخرى لم يُمكنْ للمسيح أن يذكرها لأنها مخالفة للمعقول وللبحث العلمي.. [2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]-René Girad: Le Bouc Emissaire, Edition Grasset et fasquelle, Paris, 1982, P148-149, 154.

[2]-Ibid, 154.

نتائج الفصل الرابع :

يتمخّض عن هذا الفصل النتائج التالية :

- فكرة "العشاء الرباني وثنية المنشأ تَسربتْ إلى الديانة المسيحية على يد أناس زعموا أن ما تسلّموه من الرسل كان شفاها، وأرسوا قواعد هذا التقليد ليجعلوا منه عبادة مفروضة.

- بثبوت تحريف الأناجيل وإقامة الدليل على الكذب والإختلاف الموجود فيها، يتزعزع المصدر الذي يرجعون إليه في إثبات عقيدة الأفخارستيا.

- إغفال يوحنا ذكر الحادثة وهذا دليل على عدم وقوعها خصوصا بعدما تبين إختلاف الأناجيل الثلاثة (الإزائية) في تصويرها.

- كانت الإشارة الأولى إلى العشاء الرباني في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنيتس علما بأن تأليف الأناجيل متأخر عن رسائل بولس، مما يدفعنا، إلى القول بأن الأفخارستيا بدعة من مبتدعات بولس.

- والجدير بالملاحظة، أنه لو كان وجود للقداس في عهد المسيح ورسله بهذه الأهمية الخطيرة، لازم للغفران والخلاص، لوجدنا سجلا في الإنجيل وتعليما صريحا من المسيح ومنوالا واحدا لجميع الكنائس الكاثوليكية والأرثودوكسية وليس خمسين قداسا.. والتي لا تتفق إحداها مع الأخرى ولا تتفق مع كلام الوحي ولا هي من أقوال وتوصيات المسيح..

- ثم هل يعقل أن يكون المسيح جالسا على المائدة مع تلاميذه ويقدم لهم جسده ودمه حقيقة؟ وقد حرّم أكل الدم في العهدين : (أع 15 : 20) و (تث 12 : 31)!

- و ممّا توصل إليه علماء المخطوطات أن الفقرة التي تتحدث عن "القربان المقدس" مضافة إلى إنجيل لوقا وليست أصلية وهذا كفيل بإثارة الشك في مثيلتيها في مرقس ومتى، والتي يفترض أن لوقا أخذ عنها لأنه لا يعقل أن لوقا وجدها مكتوبة في مرقس ومتى فحدفها من تلقاء نفسه نظرا لأهميتها في الإيمان المسيحي!

- تعود الإشارة الأولى للمشاركة في دم وجسد المسيح المصلوب أثناء المناولة، إلى بولس

حيث يقول : "أليست كأس البركة التي نباركها هي شركة دم المسيح، أو ليس رغيف الخبز الذي نكسره هو الإشتراك في جسد المسيح" (1 كور 10 : 16-17).

- كما ننبه إلى أن بولس هو من سمى هذه الشعيرة "بالعشاء الرباني" لقوله : «فحين تجتمعون معا في مكان واحد لاتجتمعون لأكل عشاء الرب» (1 كور 11 : 20).

- إن خلاصة ما توصلت إليه أبحاث العلماء : أن بولس هو المسؤول عن "الطقس التذكاري" في العشاء الأخير وأن التلاميذ لم يكونوا ليربطوا بصلة ما بين "كسر الخبز" أو "اقتسام الخبز" وبين موت المسيح وإنما بولس هو الذي ربط ذلك بميتة المسيح على الصليب –كما يزعمون– وأعطاها البعد الكفاري والخلاصي المعروف...

- إن الأمر الخطير الذي توصل إليه ليتز مان (العالم اللاهوتي الألماني) في أبحاثه هو أن **طقس أورشليم الأول كان يخلو من الكأس**، ويثبت أن "إدخال الكأس" من وضع بولس نفسه : "أليست الكأس التي نباركها هي شركة دم المسيح".

- يضيف **ميلر** (العالم اللاهوتي الأسكتلاندي) إلى جانب أبحاث ليتزمان، بشأن **"الكأس الأفخارستي"** : Le calice، أن التلاميذ إقتسموا قطعة خبز و **"كأس ماء"!** Une fraction de pain, et une coupe d'eau مرجعا جذورها إلى عهد الرسل الإثني عشر **:فإن** كان يعقوب "أخو الرب" لم يشرب خمرا في حياته و لم يدهن نفسه بزيت (لم يُمسح) فكيف يتأتّى ليسوع فعل ذلك؟ (فكيف فعل يسوع ذلك؟!).

- يرى العلماء المعاصرون أن الأناجيل الثلاثة الأولى، متى، مرقس ولوقا كَتبوا أناجيلهم عن مصدر واحد، ويُرجّحون أيضا أن مرقس نقل مباشرة عن هذا المصدر، بينما نقل متى ولوقا عن نفس المصدر وبطريقٍ غير مباشر وذلك عن طريق مرقس، و هذا المصدر المسمّى Q (المستنبط من كلمة Quelle source بمعنى "ماهو المصدر)، قد يخلو من ذكر العشاء تماما كما يخلو من آلام المسيح على الصليب..

الخـــاتمـــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في نهايـــة هـــذا البحث توصلنا إلى استخلاص النتائج التالية -بحسب ما تمخض عن كل فصل من الفصول-.

-إنّ تعلـــيم "الاســـتحالة" **الذي** تتحول فيه عناصر الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح -بـــزعمهم- باســـتدعاء الروح القدس وحلولها على المادتين La transsubstantiation par l'épiclèse والـــذي لا يتم إلا من خلال "الأفخارستيا": "سر الشكر"، هو من القضايا الخاصة الجوهرية في النظام البابوي، على أنّه مخالف لشهادة الحواس وللعقل والوحي!

وقـــد جعلته الكنيسة البابوية أساس أضاليل أخرى مضرة جدا (كسرّ "الاعتراف" الذي لا تُقبَل الأفخارستيا إلا به)، بحيث أنّ مَنْ لم يتُب لا يتقدَّم للتناول وإلا تكون عليه دينونة..).

ومصدر عوائد خرافية، يُغَشُّ بها الشعب كتِكرار ذبيحة المسيح في القداس والتكفير بها -بزعمهم- عن خطايا الأحياء والأموات، ومناولة جسد المسيح تحت أعراض الخبز والخمر، وتقديم العبادة التي لا يجوز تقديمها إلا لله وحده، للعناصر المادية التي يزعمون أنها تحولت إلى ذات المسيح (الحي، الحاضر!).

ولما كانت أسرار الكنيسة لازمة للحياة الروحية، وفي الوقت نفسه تحت تصرف رجال الكهنوت، فقد أعطتهم بالضرورة سلطانا عظيما على أنه ليس من بين أسرارها الكثيرة، ما عمل على ازدياد نفوذ الكهنة أو تجهيل العقول، وانحطاط مستواها الأدبي مثل مسألة "الأفخارستيا" التي ابتدعها بولس وسار على خطاه من بعده بسكاسيوس، وباقي رجال الإكليروس، الذين وضعوها شبكة لأقدام أتباع المسيح الحقيقيين، فلم يكن **مُهِمًّا** أن يستهين الناس بكلمة الله ما داموا يعترفون بطاعتهم للكنيسة ومبادئها، وأن كلّ من تهاون بهذا السر، عرَّضَ نفسه لتُهمة الهرطقة والتجديف ونتائجه المريعة.

-والحقـــيقة أن مـــن بـــين مخاطـــر التقليد والطقوس الممَارَسة في الكنيسة ما يُسمُّونه بـــ"الأسرار السبعة" والتي من أشدها خطرا على الإيمان المسيحي هو "سر الأفخارستيا" الذي يُدْعَى -ســـر الأسرار- : حيث جعلوا منه الأساس الذي تنبني عليه أهم العقائد المسيحية، وتتم به جميع الأســـرار الكنســـية: فلا يشرب "الكأس الأفخارستي" إلا من "تقدَّسَ" بمياه المعمودية، وتثبَّتَ بالميرون واعترف للكاهن بذنوبه لكي ينال العلامة الثالثة من أسرار الاستنارة المقدسة، ألا وهي

"الأفخارستيا": "سر الوحدة" الذي يقول فيه يوحنا ذهبي الفم: «..إنّ الغاية من تأسيسه أننا نصبح به والمسيح جسدا واحدا.. حقيقة واحدة، كالجسد المتصل بالرأس»[1].

ونحن نقول: أيّ قوة استودعتْ في سلطان الكهنة حتى يُحوِّلوا القربان -أو خبز التقدمة والخمر- إلى جسد يسوع وروحه ودمه ولاهوته المزعوم؟

فإنّ هذا السر يرفضه البروتستانت كما يرفضه علماء الغرب، الذين توصلوا عن طريق الأبحاث العلمية ودراساتهم للمخطوطات إلى إثبات "وقوع التحريف والزيادات" وبذلك تسقط أهم عقيدة نصرانية ومعها "هرم المسيحية المحرفة":

أ-يمضمون الكتاب المقدس: حيث يُحذِّر المسيح نفسه من هؤلاء ويصف عبادتهم لله بالباطلة: «**فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم**..يقترب إليّ هذا الشعب بفمه، ويكرمني بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عني بعيدا **وباطلا يعبدونني، وهم يعلِّمون تعاليم هي وصايا الناس**» (متى 15: 6-9).

ب-ما توصل إليه عِلْمُ المخطوطات بأن تأسيس الأفخارستيا إضافة لاحقة على الإنجيل... بشهادة العالمين ويستكورت وهورت WH من أنّ لوقا لم يرَ شيْئا مكتوبا عنها في متى ومرقس من قبلِه، فلم يَخطَّها في إنجيله، ثم زيدت بعد ذلك.. وهم بذلك يُعلنون ثِقتهم التامة في أنها غير أصلية وأنها مُضافة.

إذا فالمؤشرات تشير إلى أن الفقرة مضافة إلى جميع الأناجيل بدلالة ثبوت إضافتها تزويرا وتحريفا على لوقا، إذْ لاَ مصلحَةَ لأحدٍ في حذفها، بينما المصلَحَةُ لدَى الكنيسةِ في إضافتها..

-والجدير بالملاحظة أن كون الإنجيل رسالة شفوية صِرفة ذكرها المسيح أمام تلاميذه -كما يقولون- ثم كتبها التلاميذ في ظلمة السرية إبان المحن، يجعله عرضة للتَّحريف القصدي وغير القصدي[2].

---

[1]-متى المسكين: التقليد في الكنيسة، ص21.

[2]-عبد الوهاب عبد السلام طويلة: الكتب المقدسة في ميزان التوثيق، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص125.

-كمـــا ينبغي أن نُنبّه إلى أن "سرّ الأفخارستيا" التي تستقي الكنيسة نصوص تأسيسه من الأناجيل وتستشهد بكتابات متى ومرقص ولوقا ويوحنّا، فإنه مصدر مشبوه ولا يصلح الاعتماد عليه ولا الاستشهاد به للاعتبارات الآتية:

*أنّ ما لم تظهر فيه معارضة لأفكار بولس كإنجيلي متى ومرقس بقيّ، لكن -بعد إدخال تغـــييرات عليه حذفا وزيادة من قبل أنصار بولس- وخاصة عند ترجمة إنجيل متى من الآرامية إلى اليونانية، مع جهالة المترجم وفقدان الأصل![1]

*أنّ الأناجيل الأربعة التي اختارها الكنيسة كانت مجهولة لدى النصارى و لم يكن معترفا بها قبل إقرار الكنيسة لها.. في القرن الرابع بإقرار مجمع نيقية وحكمه سنة 325م.

كما تشير الدراسات إلى أنه لا توجد أي إشارة إلى أناجيل متى ومرقس ولوقا قبل أواخر القرن الثاني وأول من ذكرها إيريناوس عام 209م، ثم قرّر أنها مجرد صور لإنجيل واحد وجاء من بعـــده كليمندس عام 216 وقرر أن "هذه الأربعة" واجبة التّسليم وأن على النّصراني أن يُسلّم بها[2].

*أمّـــا العـــلماء الذين أشرفوا على تحرير المسائل النصرانية في دائرة المعارف الفرنسية. فيذهبون إلى أن التحقيق العلمي والتاريخي يؤكد أن هذه الأناجيل كتبها أشخاص غير الحواريين والـــتابعين الذين تُنسب إليهم، وقد تبيّن أنه لا يُعرف متى كُتبتْ ولا بأيّ لغةٍ أُلفتْ وأنّ مؤلّفيها غير معروفين[3].

*إنْ أضفنا إلى ذلك أن إنجيل يوحنا لم يُشيرْ إلى تأسيس الأفخارتسيا في أثناء عشاء المسيح الأخـــير مـــع الحواريـــين مطلقا، فهل ضاعت هذه الفقرة منه؟ أم أنّ هذا يؤكّد بأنّ "القربان المقدس" ليس إلا أسطورة مخترعة وغير موجودة في النصوص الأصلية!

-أمـــا عـــن "ســـر الاســـتدعاء" (L'épiclèse) الـــذي يَحْـــدُثُ به التّقديس (La sanctification) على الخبز والخمر والذي لا يمكن أن يَتِمّ إلاّ بحضور "الكاهن"! :

---

[1]-عبد الوهاب عبد السلام طويلة: الكتب المقدسة في ميزان التوثيق، ص122.

[2]-رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي: إظهار الحق، إخراج وتحقيق عمر الدسوقي، دط، منشورات دار الكتب، دت، ج1، ص 61.

[3]-موريس بوكاي: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص90 91.

فمَنْ من الأنبياء صرَّح بهذا، وهل المسيح نفسه قال وعلّم بأنّه بدون كهنوت الكاهن لا حلّ ولا بركة؟ لماذا هذا الجهل الروحي وعدم فهم كلمة الله؟

إنهم «**يحرفون الكَلِمَ عن مواضعه**»، بل «**إنهم يأخذون جزء من الآية لا جميعها..!**». فما جاء في إنجيل متى (متى 18: 18) «الحق أقول لكم، كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوط في السماء، وكل ما تحلونه في الأرض يكون محلولا في السماء»، هو تحريف لمعنى الآية، حيث جعلوا الحل والبركة للرسل ولخلفاء الرسل على الأرض وهم الكهنة..

ولكن إذا قرأنا المقطع كلّه من الفقرة 15 إلى 20 سنفهم فهما مختلفا، وأنّ المقصود به من الكلام هو أن المخطئ الذي لا يقبل الصلح، فهو "رجل خاطئ" في نظر الكنيسة ويحتاج للتوبة من جديد، ولكنهم ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 77].

فهم يأخذون نصف الآية فقط، ويَبْنُون عليه عقيدة طويلة لا يعرف مداها إلا الله وحده، وأضلّوا كثيرين تحت لوائهم، بحيث أصبح الكاهن هو أهل الحلّ والربط،، وأن "الروح يضلله"، ويضلل قرارات المجامع!

-فهل هذا يُعقل؟ وأي عاقل يقبل بأن مجرد صلاة يتلوها الكاهن على القربان تجعله يرقى إلى تمثيل جسد الرب ودمه الطاهرين؟!

-وهل يعقل أن يكون المسيح جالسا على المائدة مع تلاميذه ويقدم لهم جسده ودمه حقيقة؟ ولقد حرّم الله على الإنسان أكل الدم فكيف به يسمح بأكل لحوم بشرية، ناهيك عن لحم ودم الإله ذاته «والربّ يمقت الذبائح البشرية» (تث 12: 31، 18: 10).

-وبما أن أكل الدم محرم في العهدين القديم والجديد:

تكوين (9: 4) «غير أن لحما بحياته ودمه لا تأكلون».

لاويين 17: 14 «فقلت لبني إسرائيل لا تأكلوا دم جسد ما».

سفر الأعمال 15: «بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم».

وبعد هذه الشهادات، فإن الادعاء ذاته بتحويل الخمر إلى "دم الرب" فعليا وأن شربه يمنح "الحياة" لكل من يتناوله، يعتبر جريمة شنعاء في حق المسيح وتعاليمه السمحة!

وهل توجد هرطقة تجلب العار على المسيحية برمتها أكثر من هذه الشعوذة اللامعقولة؟!

-ممـــا ســـبق، نخلص إلى أن "سر الأفخارستيا" وكل النظام الكهنوتي بقداساته وأسراره الســـبعة لم يكن من وضع الرسل، فلا يوجد دليل واحد يثبت أن القداس قد وضعه رسول من الرسل، لكنّه قد وضع عن طريق الآباء وتطور مع مرور السنين من القرن الثاني إلى القرن الخامس عشر!

-إذًا فهل يُعقل أن يتوهّم أصحاب المسيح أقوالا لم يقلها وأعمالا لم يقم بها؟ وهل كان هؤلاء الحواريون يعتقدون ألوهية المسيح حتى يتصورون قيامته بعد موته؟

ثُمَّ أفكَـــانَ المسيحُ والتلاميذ والمؤمنين البسطاء وآباء "ما قبل نيقية" كلهم ضالّين يَعبُدون الله الواحد، ثم جاءت المجامع فجعلت الله ثلاثي الأقانيم وأكرهتهم على اعتناق عقيدة "أثناسيوس" وترتيلـــيان(*) المهـــرطقين؟! [وأن الابن يَتألّم ويُصلب لمغفرة الخطايا ثم يموت ويقوم ليَمنَحَ الحياة الأبدية ولَن يتأتّى ذلك إلاّ بأكلِ جسده وشُربِ دمه -ويَدْعُون ذلك "سِرّ المحبة المصلوبة"].

ونحـــن نقـــول أن هذا طبعا لا يجعل "آباء ما قبل نيقية" مُوحِّدين خَالِصين (أريوس) بل ارتبطوا بشوكيات ولكنّهم لم يُؤمنوا بشيء إسمه ثالوث أبدًا!!

ثم إن الدّراسات الغربية الحديثة أثبتتْ إعتماد كل من إنجيلي متى ولوقا على إنجيل مرقس، واعـــتماد هذا الأخير على نسخة "Q" المجهولة، والتي قد تخلو من آلام المسيح على الصليب، مما يُبيّن أن المدرســـة الغربية الآن تسير قُدمًا إلى نَفْي الصَّلب عن المسيح، وإن انتفي الصَّلب سقَطَ الفِداء، وبالتّالي يَبْطُل "سر الأفخارستيا" الذي أسّسه المسيح -بزعمهم- تِذكارًا لآلامه وصلبه.. وفدائه للبشرية بدمِه الذي يُسفَك عن كثيرين...

(*)-ترتليان (160-220م): أول كتاب النصارى اللاتين، تنصر في حدود 190م، اشتهر في تكوين اللغة اللاهوتية اللاتينية، ولا سيما اللاهوت والمسيحانية. E.Royston Pike : Dictionnaire des religions, P302.

كما أنه مما تبين من البحث أن الفكرة الأساسية التي ينطلق منها هذا السر هي فكرة الشكر، والاعتراف لله على كل ما صنعه تجاه الإنسان «أذكر أعمال الرب فإني أتذكر معجزاتك منذ القديم... وفي أعمالك أتأمل» (مز: 12/77). والأفخارستيا التي تعني "تقديم الشكر" أو "رفع الشكر" تضرب أعماق جذورها إلى "أصل الشكر" في حياة الإنسان، بحيث يعود أصل هذا الطقس إلى الشعوب الوثنية ثم إلى الكنعانيين، وقد تبناه العبرانيون بعد استقرارهم في أرض كنعان.. حيث صار "عيد الفصح" عند اليهود "العيد الكبير" (متى 26: 5): الذكرى الشاملة لكل أعمال محبة الله وخلاصه منذ خلق العالم حتى نهاية التاريخ.. وبهذا يكون قصد الإنسان من اللجوء إلى القرابين والتقدمات والذبائح "ذبيحة الشكر" هو عمل رمزي به يعبر الإنسان عن عبادته لإلهه واعترافه بسيادته و"يشكر" له نعمائه: تقدمة "شكر وتمجيد" حيث أن بدون هذا المعنى الباطني لا قيمة للذبيحة، كما أن الفائدة الحقيقية التي يجنيها الإنسان من تقدمة الذبيحة هي الدخول في علاقة مع الله..

هذه إذا هي أهم النتائج التي توصلنا إليها في نهاية هذه الدراسة -المتواضعة- وسعينا في توضيح أصول هذه العقيدة تاريخيا وكنسيا -بحسب الإيمان المسيحي-، ثم في محاولة تفنيد "سر القربان المقدس" بعرض آراء العلماء من الشرق والغرب الذين لم يختلفوا على أن سر الأفخارستيا يخالف العقل والنقل، حيث أن وجود زيادات وانتقاصات بين الأناجيل في تصوير أهم حدث في تاريخ النصرانية، -لكونه انبنت عليه وارتبطت به أهم العقائد، وهو على حدّ تعبيرهم: "سر إيمانهم" و"سر وحدتهم"-، فهذا دليل قاطع على إشتباه الأمر لديهم -كما ورد في القرآن الكريم، ونطق به الحق المبين:

-﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم.. وكثير منهم فاسقون﴾ [الحديد 27].

-﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 78].

-﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: 78].

-ولا تعليق بعد هذا. والحمد لله رب العالمين.

أولا: فهرس القرآني الكريم

الآية	الرقم	الصفحة
سورة البقرة		
﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ..﴾	79	236
سورة آل عمران		
﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ..﴾	78	234، 236
سورة الحديد		
﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا..﴾	27	م، س، 236

الفهارس

أولا: فهرس القرآن الكريم

ثانيا: فهرس الكتاب المقدس

ثالثا: فهرس الأعلام

رابعا: فهرس المصطلحات الأفخارستية

خامسا: فهرس انتقائي لأهم وأشهر المصطلحات المسيحية

سادسا: فهرس المصادر والمراجع

سابعا: فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: فهرس الكتاب المقدس(*)

1-العهد القديم

الإصحاح	الفقرة	الصفحة
سفر التكوين		
12	31	55
14	18-19	71
9	4	234
سفر الخروج		
24	11-3	60
20	17-2	61
12	11	62
13	12	62
3	18	63
12	42	65
12	14-1	67
24	11-9	84
24	8-6	106
24	8	118
13	9	131
12	14	170
24	8	180
سفر اللاويين		
1	17-13	58
17	14	234

(*) قد أعرضنا عن ذكر أرقام الفقرات والإصحاحات في فهرس الكتاب المقدس، التي لم نذكر نصوصها في متن الرسالة، وإنما أشرنا إليها في النص أو في الهامش فقط.

2	16-1	59
5	12-5	59
سفر التثنية		
26	1	63
12	31	115
24	16	200
12	31	201
21	23-22	213
سفر المزامير		
41	10	61
77	12	69
75	25	76
سفر الأمثال		
9	5-1	85
سفر أشعيا		
6	1-8	90
53	12	108
20	6-1	118
42	6	119
53	13-4	119
25	7-6	177
سفر إرميا		
31	33-31	106
19	11	118
31	34-31	119
31	34	131
حزقيال		
18	20	200

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هوشع		
6	6	56
عاموس		
5	24	55
ميخا		
6	7	56
ملاخي		
3	1	175

2-العهد الجديد

سفر التكوين		
الإصحاح	الفقرة	الصفحة
28	20	و
28	20	47
26	28-27	61
26	27-26	77
9	11	85
18	20	98
26	28-26	109
26	29	126
26	29	176
15	9-6	184
17	23-21	191
28	17	191
26	17	192
26	28-26	193
15	9-6	197
15	14	198

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

6	12	200
25	42-31	200
27	46	201
5	45	201
15	9-6	232
18	18	234

مرقس

10	45	و
16	20	28
2	19	85
14	24-22	107
14	26	107
14	12	116
9	32-31	191
14	16-12	192
15	34	201

لوقا

22	20	ب
22	17	18
22	18-14	19
8	10	34
22	30	57
22	19	68
22	16-15	82
24	27-25	92
24	31-30	93
1	3-1	110
22	20-14	111

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

24	31-30	111
23	32	111
22	7	116
22	19	123
22	16	126
9	56	174
17	30	177
17	30	179
9	22	191
22	7	193

يوحنا

1	29	ب
6	51	ب
6	56	ز
6	51	و
6	56	و
21	25	28
14	26	37
13	18	61
7	6	77
6	51	78
6	58-49	78
10	11	88
13	8	93
13	7	94
14	13	98
14	15	113
16	41	114
6	52	114
6	55	114
6	66	114

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

19	35-33	116
26	17	116
15	13	117
1	29	119
14	9	121
14	16	128
3	17	174
15	13	174
14	29-18	178
6	54	179
6	63	206

أعمال الرسل

13	2	4
2	36	94
10	41-40	98
20	7	112
20	11	112
2	42	112
2	17-16	128
4	35-32	166
20	7	193
15	20	201
22	11-6	212
15	20	234

رومية

15	16	4

رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتس

15	45	ج
11	25-23	28
11	26	42

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

10	4-3	76
11	26	77
10	4-1	77
5	8-6	83
10	17	83
11	29-23	103
10	5	103
16	22	105
11	30-29	106
19	20	120
11	24-23	128
11	31-29	128
11	26	175
11	26	177
16	22	177
1	23-17	213
11	20	215
10	17-16	215
رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنتس		
5	19	170
5	5-1	177
رسالة بولس إلى أهل غلاطية		
20	2	48
1	12-11	216
رسالة بولس إلى أهل أفسس		
1	7	94
1	10	127
1	14	177

جامعة الأمير سطام للعلوم والتقنية

رسالة بولس إلى أهل كولوسي		
1	14	و
11	23	37
15	5-1	38
1	41	47
الرسالة الأولى إلى تيموثاوس		
2	6-5	180
الرسالة إلى تيطس		
2	11	174
الرسالة إلى العبرانيين		
8	6-2	4
7	3-1	72
7	3	73
11	1	112
13	15	115
9	12	172
5	9	174
9	15	179
8	13	179
رسالة بطرس الأولى		
1	20-18	ز
1	19-18	172
1	19-18	198
رسالة يوحنا الأولى		
16	16	178
3	2	178
رؤيا يوحنا		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

19	9	ب
11	8	80
1	5	94
14	12-11	159
6	10	170

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
الآب	9
إبراهيم	12، 71، 74
أثناسيوس	33، 205، 235
آدم	11
إرميا	118
أريجانوس	25،
أشعيا	117، 184
أغسطينوس	76، 164، 167، 172، 205
أغناطيوس الشهيد	17، 33، 34، 48، 139، 147، 148
الإكويني (توما)	204
أمبروسيوس	72، 73، 75، 86، 167، 177
أندرو ميلر	222
أنسيلم	38، 173
أنسيلم تورميدا	185
أوريجانوس	75
إيريناوس	23، 25، 178، 233
ابن كبر (شمس الرئاسة أبو البركات)	196
باسخاسيوس راد برتيس	203، 204، 223
برنجر	204، 223
بطرس	39 ، 148، 172، 192، 193، 198
بطرس	94
بطرس لمبارد	202

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بولس	18، 28، 37، 39، 41، 42، 44، 46، 58، 67، 73، 75، 83، 84، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 111، 112، 121، 129، 140، 147، 152، 153، 154، 167، 177، 195، 211، 212، 213، 214، 216، 218، 220، 225
تارتوليان	235
تراجان	147
حزقيال	118
داود النبي	87
ريناخ	215
زنجلي ZWingli	162، 205
سليمان النبي	85
سيرابيون	219، 220
سيرافيم	8
شارل جينيبير	212
شارورييم	8
عبد الرحمن زاده	190
عبد الله الترجمان	186
عبد الله بن سبأ اليهودي	212
علي بن ربن الطبري	185
عماوس	92، 99
غريغوري دكس	22، 41
غريغوريوس (أنبا)	35
غريغوريوس النازيانيزي	205
فرعون	63

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فيلون	75
قاين	53
القرائي	190
كبريانوس	72، 164
كلفن	162
كليماندس الروماني	25، 141
كليمندس الإسكندري	72، 75
كيرلس الإسكندري	84، 88، 171، 199
كيرلس الأورشليمي	87
لانفرانس	224
لوقا	18، 29، 41، 42، 44، 45، 109، 110، 111، 112، 119، 140، 153، 192، 193، 207، 209، 210، 212، 225، 233
ليتزمان	152
ليتزمان	218
مارتن لوتر	161
متى	18، 41، 45، 46، 109، 119، 140، 187، 192، 209، 210، 233
متى	186-187، 192، 209، 210، 233
متى المسكين	40
مرقس	18، 28، 39، 41، 45، 46، 107، 109، 116، 117، 119، 140، 153، 186، 192، 193، 198، 199، 209، 210، 233
مرقيون	206، 208
مريم المجدلية	171
ملكيصادق	71، 72، 73، 74، 75، 86

منقذ بن محمود السقار	196
موسى	12، 60، 62، 63، 66، 73.
نوح	12، 85
هابيل	53
هارون	63، 66، 85
هاريس	215
هيبوليتس	80، 84، 220
ويستكوت وهورت W.H	208، 232
يعقوب	39
يعقوب بن حلفي	225، 226
يوحنا	21، 37، 39، 28، 40، 113، 116، 153، 148، 186، 187، 192، 193، 110، 225، 233
يوحنا بولس الثاني	165
يوحنا ذهبي الفم	15، 54، 69، 78، 81، 131، 165، 198
يوسابيوس القيصري EUSÉBE.	73، 74، 87، 204
يوستين الشهيد	18، 22، 25، 26، 31، 79، 80، 83، 84، 150، 151، 152
يوسيفوس	226

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: فهرس المصطلحات(*) الأفخارستية

1-أفخارستيا (Eucharistie): كلمة يونانية الأصل تعني الشكر، وإذا رُفع هذا الشكر إلى الله اتخذ شكل صلاة أو شكل تسبيح وحمد لإحساناته، وقد تلى يسوع البركة والشكر لعشائه الأخير والذي كان افتتاحا للدين المسيحي: أي الخبز والخمر اللذان يقدسان وهما علامتان أسراريتان لتقدمة المسيح التي كان حمل الفصح قد مثّلها.

وبالمعنى الحاضر والعصري، فالأفخارستيا ترمز إلى ما يُقدم ويُقدس ويُمنح في هذا الاحتفال (جسد ودم المسيح السرائريان) والذي أُسس في بيوم خميس الأسرار.

2-الأبركسيس (Paraxis): وهو الفصل المنتخب من سفر أعمال الرسل للقراءة أثناء قدّاس الموعوظين.

3-الاستدعاء (Invocation/ Epiclèse): باليونانية بمعنى سر حلول الروح القدس، وهو التوسل من أجل حلول الروح القدس ليُحوِل ويقدس القرابين.

4-أفخولوجيون (Euchlogion): وينطق بالعربية "خولاجي" أي كتاب الصلوات، وكان أصلا يحوي كل الصلوات بما فيها إقامة الأسرار الأخرى. لكنّه اقتصر أخيرا على صلوات الأفخارستيا.

5-الأسرار (Mystere): وتعني خطة مخفية أو تدبير مخفي، كما تعني رمز يمثل هذا السر بحسب سفر الرؤيا 1: 20. وأفسس 5: 32 «هذا السر عظيم ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة..». وفي الليتورجيات تطلق كلمة "سر" على الأفخارستيا بوجه خاص وعلى القرابين بعد تقديسها.

(*)-أوردنا في هذا الفهرس المصطلحات المستعملة في معنى خاص، أو غير المألوفة في التعبير الإسلامي، مع مقابلتها في الفرنسية حتى نرفع ما عسى أن يحصل من اللبس في ذهن القارئ.

وقد أغفلنا ذكر المصطلحات المشهورة أمثال: إنجيل، روح القدس..الخ.

بينما أوردنا مصطلحات عربية عديدة لنفس المفهوم، مثال: تناول، قداس، شركة، في مقابل، Eucharistie.

-المصطلحات المذكورة مأخوذة من كتاب الطقوس في الكنيسة لسليمان نسيم، مكتب المحبة، دط، دت، القاهرة. وكتاب الأفخارستيا لمتي المسكين، ط3، مطبعة أبا مقار، القاهرة. ثم من معاجم متخصصة مذكورة في قائمة القواميس والمعاجم.

11-الأسـقف (Evéque): هـو الذي يمارس وظائف "الإشراف" داخل إحدى الكنائس ويعد الأسقفة بأنهم خلفاء الرسل، يشكلون الجماعة الأسقفية التي تعبر عن مسؤوليتها المشتركة بواسطة المجامع.

8-إشـبين (Cherubin): كـلمة سريانية معناها الوصي، وتطلق على الشخص الـذي تُكلفـه الكنيسة بالإشراف الروحي على المعمَّد الجديد، أو على العروسين المتزّوجين حديثا.

9-الاعـتراف (Confession): باليونانـية ὁμολογία ويقصد به اعتراف الإيمان يقوله الكاهن جهارا قبل التناول.

10-أغـابي (Agapé): ورد عنها في رسالة ياهوذا 12، وهي وليمة مشتركة – وكانـت في الأصل تسبق الأفخارستيا أو تلازمها، وقد انفصلت عن الأفخارستيا في منتصف القرن الثاني، وقد تكون التقدمة وغسل اليدين، وقبلة السلام في الليتورجيا هي بقايا الأغابي، على أنّ نزع وليمة الأغابي من الليتورجيا أنهى عليها تماما في معظم الكنائس.

11-آمين (Amen): وتنطق هكذا في كل اللغات الشرقية والغربية، ومعناها: حقا أو استجب أو فليكن.

12-أنـافورا (Anphore): وهـي الصـعيدة أو رفع ذبيحة الأفخارستيا، وهي تشمل:

-الشكر والتقديس والأواشي المصاحبة لهما.

-وقد تطلق على التقدمة (القربان المقدم للتقديس).

13-أوشية (Intercession): بالعربية شفاعة، وهي كلمة يونانية الأصل، معناها "طلبة"، أو "دعاء" يرفع حول موضوع معين وهي تستخدم في الألحان أو في الصلاة، كما تأتي أيضا بمعنى التعليم.

-ب-

14-بصـخة (Passage): كـلمة يونانية، مأخوذة من كلمة فصح العبرية بمعنى العبور، وهي ترمز إلى عبور بني إسرائيل في القديم في البحر الأحمر وهم خارجون من مصر.

15-البركة (Le pain Béni/The Blessed Bread): هي لقمة البركة التي توزع في نهاية القداس وتسمى هكذا:

أ-لأنه أصلا القربان الفائض (البركة)، عمّا قُدم على المذبح.

ب-عطية تعبّر عن بركة الشركة مع الكنيسة.

جـ-وهي في حد ذاتها بركة أو خبزة مباركة، من حيث أنه تليت عليها "صلاة البركة".

16-البروثيسيس (Prothésis): وهو الاسم الذي يطلق على "خدمة" وضع القرابين على المذبح.

17-بقايا الذبيحة (Remains of the consecrated Species): وهي بقايا الجسد والدم الأقدسين بعد تناول الشعب، ويأكلها عادة الكهنة المشتركون في تقديم الذبيحة.

-ت-

18-التأسيس (Intitution): وهي نص الكلمات التي أسس بها الربّ الأفخارستيا (متى 26: 26-28) (مر: 14: 22) (لو: 22-19) (1كو 11: 23-25) وتقال في نهاية صلاة الشكر الكبرى وقبل الاستدعاء.

19-تقدمة (Oblation): وهي خبزة الأفخارستيا.

20-تقديم الحمل (Offertory/Offrande): وهوتقديم عناصر الذبيحة الأفخارستية من خبز وخمر وماء في بدء قداس المؤمنين (وكان يجرى والستارة مرخية بعيدا عن أعين الموعوظين).

21-تقليد (Tradition): يعني التراث المسلم من القديسين منذ أن تسلموه هم بدورهم من المسيح قبل صعوده إلى السماء -بحسب اعتقادهم- فلما حلّ عليهم الروح القدس في يوم الخمسين وامتلأوا بالحكمة والنعمة والقوة الروحية، تذكروا كل ما علمهم به يسوع وما سلّمهم من أسرار مقدسة -بزعمهم- «لكم قد أعطي أن تعرفوا أسرار ملكوت

السموات» (لو 8: 10).

-خـــ-

22-خدمة رعوية (service Pastorale): خدمة الأسقف إلى رعاياه يريد بها التعليم والهداية، وتسمى أيضا الخدمة المرسومة "Pastorale Ministère".

23-خليقة (Création): ما هو مخلوق، كما تدل على كافة المخلوقات.

-ذ-

24-الذوكصا (Doxology/Gloria): تعني:

-تمجيد الثالوث الذي يقال دائما بعد المزامير والصلوات عموما.

-يقصـــد بهـــا أيضـــا التســـبحة الملائكية يوم ميلاد المسيح وتسمى " Gloria in Excelsis": بمعنى المجد لله في الأعالي.

25-ذكصـــولوجية (Doxologie): مشـــتقة من اليونانية: "ذوكصا" بمعنى "مجد" وهي عبارة عن تماجيد للصلوات التي تتلى على "القداس".

-س-

26-ســـريانية (Syriaque): لغـــة محلية آرامية، رفعت إلى مرتبة اللغة الرسمية في الكنائس السورية في الأمبراطوريتين الرومانية والفارسية. [والآرامية: لغة سامية عمت بلدان ما بين النهرين وإيران وظلت لغة فلسطين حتى في عهد المسيح].

27-السنكسار (Synaxar): وهو الكتاب الذي يحوي سِيَر القديسين والشهداء مرتبة حسب العيد اليومي.

-ش-

28-شـــركة (Communion): بمعنى التناول أو الاشتراك في الأسرار المقدسة. وفيه تُسلم عناصر الذبيحة للمتناول، يتناولهما المشترك ويداه معقودان على صدره، اليد اليمنى على اليد اليسرى على هيئة صليب.

29-شمـــاس (Diacre): وهـــي أيضـــا كلمة سريانية معناها المعاون أو المساعد، ووظيفته معاونة الآب الكاهن أو الأسقف في الخدمات الطقسية والرعوية.

-ص-

30-صلاة الشكر الكبرى (Thanks Giving/the great priest): وهي غـــير صلاة الشكر الصغرى التي تفتتح بها كل خدمة، والتي مبدأها: فلنشكر صانع الخيرات.. وهـــي التي بها يبدأ قداس المؤمنين (الأنافورا) والتي فيها ذكرى الخليقة والسقوط والفداء وإلى ذكر كلمات التأسيس، وهي تنقسم إلى المقدمة والتقديس وما بعد التقديس.

31-الصـــلح (Reconciliation): مـــن الكـــلمة العبرية "صلحا"؛ وهي اسم صلوات وأواشي للتوبة، ومنها أخذ نفس صلاة الصلح في القداس.

32-الصينية (Paten/Plat): وهو الطبق الذي يوضع فيه الخبز المقدس.

-ع-

33-عربون "المجد الآتي" (Arrhes/ pledge): في رسائل بولس تعني هبة الروح بصفتها باكورة مواعيد المسيح (أف 14/1).

-ق-

34-قـــانون الإيمـــان (Creed/credo): ويسمى أحيانا "الأمانة" وهو اعتراف الإيمان، بدئ باستعماله في القداس في غضون القرنين الخامس والسادس.

35-قـــبلة الســـلام (Baiser de reconciliation): في الليتورجية عدة قبلات منها تقبيل المذبح وتقبيل كتاب الإنجيل، وهناك "قبلة السلام"، وهي معانقة أو مصافحة يتبادلها المحتفل بالذبيحة الإلهية وكافة الحاضرين، دلالة على الاتحاد الأخوي والتصافح (متى 5/ 23-24) وذلك قبل الاشتراك في سر القربان.

36-القـــداس (Messe): يقصد به "السر المقدس"، أي "الأفخارستيا: وهي ذبيحة جسد المسيح ودمه، تقرب على يد الكاهن بصفتها تأوينا أسراريا لذبيحة الصليب.

يقسم القداس إلى قسمين رئيسيين:

-خدمة الكلمة وخدمة القرابين.

-والقداس نوعان:

-قداس الموعظين (Les initiés): وهو قسم القداس الذي كان الموعوظين يقبلون فيه لأجل خدمة الكلمة، والذي كان يختم بصرفهم.

-قداس المؤمنين (Les fidèles): وهو قسم القداس (وفيه خدمة القرابين) الذي كان مقصورا على المعمدين، وكانوا وحدهم يستطيعون أن يتناولوا.

37-قدس الأقداس (Holy of Holies): ويقصد به:

أ-الهيكل وبالأخص المكان أسفل القبة التي تظلل على المذبح.

ب-السر المقدس أي الأفخارستيا.

38-القـــربان (Offrande/Gift): وفي المخطوطات العربية تسمى "الذورون". والمقصود بها "التقدمة" التي منها يؤخذ الخبز الذي سيتم عليه التقديس.

39-قـــربان (Oblation/Kurbono): من الكلمة السريانية "كوربونو" وهي التقدمة ويشمل البروسفورا، وهي التقدمة، والآنافورا وهي الصعيدة (ذبيحة الأفخارستيا).

40-القسمة (La fraction): وهي تقسيم الخبز المقدس أثناء القداس.

-ك-

42-الكـــأس (Chalice/Calice): كـــوب معدن كريم من ذهب أو من فضة مذهبة تكرس فيها خمر القربان.

42-الكـــاهن (Prêtre): في العهد الجديد، يحمل المسيح وحده لقب "كاهن" في شـــعب الله الجديـــد، والكاهن والأسقف كلاهما مندوب لبعض الوظائف كأن يكن مكلف برعية ومسؤول عن نفوسها.

-ل-

43-اللوح المكرس (Altar Board/L'arche Consacré): ويسمى أيضا "الـــتابوت"، كـــان في الأصل من الكتان أو الحرير، لكنه الآن عبارة عن لوح من الخشب أو الحجـــر أو الـــرخام، يوضع على المذبح، سواء كان المذبح مكرسا أو غير مكرس (مكرس:

مخصص لخدمة الله وعبادته).

44-ليتورجيا (Lirtugy): وتعني خدمة الأفخارستيا المقدسة.

-م-

45-مار (Seigneur): ومؤنثها مارت، كلمة سريانية معناها: سيدي أو سيدتي، وهو لقب فخرس للقدسين والقديسات وللرؤساء.

46-مزج الخمر بالماء (Mixture): الذي يجريه الكاهن أثناء صلاة الشكر وبعد تقديم الحمل (مزج الكأس).

47-الموعوظون (Catechumen): بمعنى مسيحي جديد، وهو طالب العماد الذي يتعلم استعدادا للمعمودية، ويقف الموعوظون في صحن الكنيسة الخارجي.

48-الميرون (Holy Chrism/saint chrême): كلمة يونانية معناها زيت، ومن المعروف أن الدهن بزيت الميرون حلّ محل وضع اليد، على المعمدين، وهو الطقس الذي كان يمارسه الرسل في العصر الرسولي الأول، حتى وضعت الكنيسة طقس الميرون بدلا منه، حيث يسلم زيت الميرون "الذي يعرف بزيت المسحة المقدسة" من رئيس الكهنة لكل كاهن "يخدم" حتى يدهن به المعمدين لتثبيتهم في الإيمان، ولذلك عرف باسم "سرّ التثبيت".

-ن-

49-النّعمة (La Grâce divine): هي عطية الله لخليقته الناطقة، ترفعها إلى حالة التبني وإلى الاشتراك في الحياة الإلهية. والنعمة نوعان: النعمة الحاليّة، وهي النعمة الثابة. والنعمة الفعلية، وهي النعمة الممنوحة عند القيام بالفعل.

-هـ-

50-هللويا (Alleluia): كلمة عبرية من مقطعين أو لفظين: هللوا: أي سبحوا وامدحوا، ياه من "يهوه"؛ أي الله. وهي هتاف استعملته الليتورجية اليهودية وتبنته جميع الطقوس المسيحية، للتعبير عن الفرح والتسبيح.

-و-

51-وضع اليد (Imposition des mains): وهي رتب الكنسية التي يمنحها الأسقف بوضع اليد (الشرطونية) والرسامة (L'Ordination).

رابعا: فهرس انتقائي لأهم وأشهر المصطلحات المسيحية

المصطلح المسيحي	الصفحة
الأعياد السَّيِّدِيَة	200
إكليرونس Ecclésiale	145
أنافورا Anaphore	30 ،24
أوّن/ آني Actualisation	113
الإيمان Foi ܗܝܡܢܘܬܐ	112
استحقاق Mérite	77
البركة Bénédiction	130
البَشيطا PESCHITTO	208
"تُبشرون بموتي"	175
التدبير الإلهي Dessin de Dieu	11
التَّذكار Anamnèse	14
"تَذْكروني إلى أنْ أجيء"	175
التسبيحة الشاروبيمية Cherubic Hymn	221
"تَعترفون بِقيامتي"	175
التقليد السرائري Tradition sacramentaire	42
التقليد Traduction	133
الثبات La confirmation	122
الجلجثة / جلجلة : CALVARY : CALVAIRE	93
الخِدم Ministère	4
الخطيئة Le pêché	172
الخلاص Redemption	12
الدَّهور Eternélle دَهر : AEON, ÉON	81
الدينونة Le Jugement	172

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Pasteur راعي	88
الرب : KYRIOS	35، 230
L'Esperance الرجاء	71
Le Saint Sacrement سر الأسرار:	34
سرّ التقوى : MYSTÈRE DE PIÉTÉ	143
Mystère de Gloire السر المجيد	31
Ascension الصعود	93
La croix الصليب	93
طوباوي : BLESSED : BIENHEUREUX	34
Cénacle العلية	93
الفصح: Passage, FÊTE PASCALE :	114
Psalmondies فِصحيات	66
Résurrection القيامة	93
Sacerdoce كهنوت	10، 73
Gloire مجد	105
Messie المسيا	81
Purgatoire المطهر	161
ملئ الزمن "Le temps du Fils	12
ممسوح Qui a reçu l'onction	9
La Grâce divine النعمة	33، 121
الوليمة FESTIN	16
الوليمة الأبدية	134
Jubilée يوبيل	165
Jour du Seigneur يوم الربّ	127، 147

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خامسا: فهرس المصادر والمراجع

-القرآن الكريم برواية حفص

-الكتاب المقدس، ترجم من اللغات الأصلية (دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، دط، 1987.

أولا: كتب عامة

1. ابن الآثير (أبو الحسن بن أبي الكرم (ت606هـ): الكامل في التاريخ، مراجعة وتعليق: نخبة من العلماء، ط5، بيروت، دار الكتاب العربي، 1985.
2. الآسيوي (يوحنا): تاريخ الكنيسة، ترجمة: صلاح عبد العزيز محجوب إديس، تقديم ومراجعة: محمد خليفة حسن، دط، القاهرة، مطابع المجلس الأعلى للآثار، 2000.
3. اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، ط1، بيروت، لبنان، دار التنوير للطباعة والنشر، 2005.
4. باجه جي زاده (الحاج عبد الرحمن بك): الفارق بين المخلوق والخالق، دط، مصر، مطبعة الموسوعات بشار باب الخلق، دت.
5. البصري (مهدي): موسوعة الأديان، ط1، عمان، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2001.
6. أبو البقاء الجعفري (صالح بن حسين) (ت القرن 7هـ): الرد على النصارى، حققه وقدم له: محمد محمد حسنين، ط1، القاهرة، مكتبة وهبة، دار التوفيق للطباعة، 1409هـ-1988م.
7. بواسّيه (لويس اليسوعي): السينودسات في ضوء التاريخ، نقله إلى العربية: أنطوان الغزال، ط1، بيروت، دار المشرق، المكتبة الشرقية، 1994.
8. تورميدا (أنسيلم): الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي: تحفة الآريب في الرد على أهل الصليب، تقديم وتحقيق وتعليق: محمود علي حماية، ط3، القاهرة، دار المعارف، 1992.

9. الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، تحقيق ودراسة: محمد عبد الله الشرقاوي، ط1، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، 1984.

10. الجبهان (إبراهيم سليمان): معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير، ط1، الشارقة، دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع، 1985.

11. جنيبير (شارل): المسيحية نشأتها وتطورها، ط3، القاهرة، دار المعارف، 1988.

12. جورافسكي (أليكسي): الإسلام والمسيحية، ترجمة: خلف محمد الجراد، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1996.

13. الجويني (ابن عبد الله بن يوسف) (ت478هـ): شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، تقديم وتحقيق وتعليق: أحمد حجازي السقا، ط14، مصر، دار الشباب للطباعة، 1978.

14. الحاج (محمد أحمد): النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ط1، دمشق، دار القلم للطباعة والنشر، 1992.

15. ابن حزم (أبو محمد بن أحمد) (ت 456هـ): الفصل في الملل والأهواء والنحل، وبهامشه الشهرستاني (أبو الفتح محمد عبد الكريم): الملل والنحل، دط، بيروت، دار المعرفة، 1983.

16. الخطيب (عبد الكريم): المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، دط، مصر، دار التآليف، 1965.

17. خليل (أحمد إبراهيم): محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ط5، مصر، مكتبة الوعي العربي، دت.

18. داود الآشوري العراقي (عبد الأحد): الإنجيل والصليب، قدم له وعلق عليه: محمد علي سلامة، ط1، الجيزة، مكتبة النافذة، 2004.

19. دراز (محمد عبد الله): الدين، دط، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، 1990.

20. ديدات (أحمد): مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، ترجمة: علي الجوهري،

دط، القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، دت.

21. ديورانت (ول وايريل): الوجيز في قصة الحضارة، أوجزه: غازي مختار طليمات، ط1، دمشق، سوريا، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1992.

22. ديورانت (ول وايريل): قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محفوظ، عبد المجيد يونس، محمد بدران، ط3، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1965.

23. الـــرازي (فخر الدين محمد بن عمر الخطيب): اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، القاهرة، شركة الطباعة الفنية المتحدة، 1978.

24. الـــزاوي (أحمـــد عمـــران)، الســـحمراني (أسعد)، الصباغ (بسام)، وهبة (بولس)، وآخـــرون: موســـوعة الأديان الميسرة، ط2، بيروت، لبنان، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 2002.

25. أبـــو زهرة (محمد): محاضرات في النصرانية، ط3، القاهرة، مطبعة المدني، دار الفكر العربي، 1961.

26. الزين (محمد فاروق): المسيحية والإسلام والاستشراق، ط2، دمشق، المطبعة العلمية، 2002.

27. السقار (منقد بن محمود): هل افتدانا المسيح على الصليب، ط1، جدة، دار الشروق، 1413هـ-1993م.

28. ســـيداوس (فاضل): مدخل إلى رسائل القدسي بولس، بيروت، لبنان، دار المشرق، المكتبة الشرقية، 1989.

29. ســـيداوس (فاضـــل): يسوع المسيح في تقليد الكنيسة، ط2، القاهرة، السكاكيني، 1988.

30. شرفي (عبد المجيد): الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع، دط، تونس، الجزائر، الدار التونسية للنشر، الدار الوطنية للكتاب، 1986.

31. شرفي (عبد المجيد): الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع، د2، بنغازي، ليبيا، دار الكتب الوطنية، 2005.

32. شلبي (أحمد): المسيحية، ط8، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1984.

33. صـــدقة (جان مخايل): الشّيع المسيحية نشأتها وتنظيماتها، ط1، بيروت، لبنان، المكتبة الشرقية، دار المشرق، 1990.

34. الطوفي الصرصري الحنبلي (سليمان بن عبد القوي): الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، دراسة وتحقيق: سالم بن محمد القرني، ج2، ط1، الرياض، مكتبة العبيكان، 1999.

35. طويلـــة (عبد الوهاب عبد السلام): الكتب المقدسة في ميزان التوثيق، ط1، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1990.

36. عبد المنعم (فؤاد): أبحاث في الشرائع اليهودية والنصرانية والإسلام، دط، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1994.

37. عبده (محمد): رسالة في التوحيد، ط6، بيروت، لبنان، دار إحياء العلوم، 1986.

38. عـــبود (عـــبد الغني): المسيح والمسيحية والإسلام، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، 1984.

39. عطـــار (أحمد عبد الغفور): الديانات والعقائد في مختلف العصور، دط، مكة المكرمة، 1981.

40. العقـــاد (عباس محمود): موسوعة عباس محمود العقاد: حياة المسيح عيسى بن مريم في التاريخ والكشوف، بيروت، دار الكتاب العربي، 1970.

41. غـــردية (لويـــس)، قنواتي (ج): فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، نقله إلى العربية: صبحي صالح، فريد جبر، ج3، ط2، بيروت، دار العلم للملايين، 1983.

42. الغـــزّالي (أبـــو محمد) (505هـــ): الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد عبد الله الشرقاوي، ط3، مصر، دار الهدى، 1986.

43. الفـــاوي (عبد الفتاح): المسيحية بين النقل والعقل، ط1، القاهرة، المطبعة الإسلامية الحديثة، 1992.

44. فـــرحون (إبراهيم نور الدين):الذيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996. ابن

45. القاضـــي عبد الجبار (أحمد الهمداني): تثبيت دلائل النبوة، حققه وقدم له: عبد الكريم عثمان، دط، بيروت، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، دت.

46. القـــرافي (شـــهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي): الأجوبة الفاخرة، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1986.

47. القيم الجوزية (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر) (ت751هـــ): إغاثة اللهفان من مصايد الشـــيطان، تحقـــيق: محمد سيد كيلاني، دط، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1961. ابن

48. المســـيّر (محمـــد سيّد أحمد): المدخل لدراسة الأديان، ط1، مدينة نصر، دار الندى، 2001.

49. مظهـــر (ســـليمان): قصة الديانات، ط2، القاهرة، مكتبة مذبولي للطباعة والنشر، 2002.

50. مقـــار (شفيق): المسيحية والتوراة، ط1، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، المكتبة البريطانية، British Library : Christianity and the Old Testament، 1992.

51. منصـــور (أنـــيس): الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله، ط8، القاهرة، المكتب المصري الحديث، 1991.

52. النجار (عبد الوهاب): قصص الأنبياء، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية، 1986.

53. الهـــندي (رحمـــة الله بن خليل الرحمن): إظهار الحق، تحقيق: عمر الدسوقي، ج1، الجزائر، منشورات دار الكتب، 1988.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

54. وافي (علي عبد الواحد): الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دط، القاهرة، دار النهضة للطبع والنشر، دت.

ثانيا: كتب متخصصة

1. الأب إسطفان شرينتييه: المسيح قام، ج4، نقله إلى العربية: الأب صبحي حموي اليسوعي، بيروت، لبنان، المكتبة الشرقية، دار المشرق، 1986.

2. الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، بيروت، لبنان، المكتبة الشرقية، دار المشرق، 1992.

3. الأب فرانسوا قاريون اليسوعي: فرح الإيمان بهجة الحيا (محاضرات في أهم قضايا الإيمان المسيحي)، نقلها إلى العربية الأب صبحي حموي اليسوعي، ط5، بيروت، لبنان، المكتبة الشرقية، دار المشرق، 1996.

4. الأب متى المسكين: أنا هو القيامة والحياة، ط3، القاهرة، مطبعة دير القديس أنبا مقار، 2002.

5. الأب متى المسكين: أنا هو خبز الحياة، ط2، القاهرة، مطبعة دير القديس أنبا مقار، 1999.

6. الأب متى المسكين: الخلاص والإيمان، ط4، القاهرة، مطبعة دير القديس أنبا مقار، 2004.

7. الأب متى المسكين: الروح القدس، ط5، القاهرة، مطبعة دير القديس أنبا مقار، 2006

8. الأب متى المسكين: العنصرة، ط3، القاهرة، مطبعة دير القديس أنبا مقار، 2002.

9. الأب متى المسكين: حمل الله، ط1، القاهرة، مطبعة دير القديس أنبا مقار، 1995.

10. الأب متى المسكين: خميس العهد، ط2، القاهرة، مطبعة دير القديس أنبا مقار، 2005.

11. أعمال المؤتمر السنوي الحادي عشر للدراسات الآبائية: الأفخارستيا والحياة الروحية، القاهرة، مطبعة دار يوسف كمال للطباعة، 2002.

12. الأنبامـــتاؤس: دراســـات وتآملات في الثلاثة قداسات، ط2، القاهرة، مطبعة الجيل، 1993.

13. الأنبامتاؤس: كيف نستفيد من القداس الإلهي، ط4، الفجالة، جمهورية مصر العربية، دار الجيل للطباعة، 1993.

14. ابـــن كـــبر شمس الرئاسة أبو البركات: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة (موسوعة طقســـية تاريخـــية قانونية)، تلخيص وتعليق: ميخائيل مكسي، اسكندر، القاهرة، مكتبة المحبة، 2003.

15. البابا شنودة الثالث: جسد المسيح والجسد السري، ط1، القاهرة، مطبعة الأنبارويس الأوفست، الكلية الإكليريكية بالعباسية، القاهرة، 2004.

16. الـــبابا شـــنودة الثالـــث: حول سر الأفخارستيا، ط2، القاهرة، مطبعة الأنبارويس الأوفست، الكلية الإكليريكية بالعباسية، 2005.

17. باسيلي (بنيامين مرجان): الأفخارستيا رحلة توبة، ط2، الجيزة، مطبعة شركة الطباعة المصرية، كنيسة مار مرقس للنشر، 2005.

18. باسيلي (بنيامين مرجان): الأفخارستيا، الجذور الكتابية والآبائية، ط1، الجيزة، مطبعة سان بيتر، 2007.

19. فيكتور شلحت اليسوعي: الإنسان في ضوء المسيح، ط3، بيروت، لبنان، دار المشرق، المكتبة الشرقية، 1992.

20. القس حنّا جرجس الخضري: تاريخ الفكر المسيحي: يسوع المسيح عبر الأجيال، مج 1، القاهرة، دار الطباعة القومية بالفجالة، 1981.

21. القس منسى يوحنا: تعليم الديانة المسيحية، ط3، القاهرة، دار الجيل للطباعة، 1990

22. القمـــص تـــادرس يعقوب ملطي: أقوال الآباء وكتاباتهم، ج4، الإسكندرية، الكلية الإكليريكية، 1980.

23. القمـــص صـــليب سوريال: مذكرات في اللاهوت الطقسي، ج1، القاهرة، الكلية

الإكليريكية العليا، دت.

24. القمص مينا جاد جرجس: واجبات وقوانين في القداس، القاهرة، مكتبة المحبة، 2001

25. متى المسكين: الأفخارستيا (عشاء الرب)، ط3، القاهرة، مطبعة الأنبا مقار، دار الكتب المصرية، 2007.

26. متى المسكين: الأفخارستيا قداس الرسل الأول، ط1، القاهرة، مطبعة دير القديس أنبا مقار، 2000.

27. متى المسكين: التقليد كمدخل لشرح الأسفار وفهم الأسرار، ط2، القاهرة، مطبعة دير القديس أنبا مقار، 1987.

28. ملاك (لوقا): الأفخارستيا، القاهرة، مكتبة المحبة، 1991.

29. ميلر (أندرو): مختصر تاريخ الكنيسة، ط4، مصر، مكتبة الإخوة شركة الطباعة المصرية، 2003.

30. نسيم (سليمان): الطقوس في الكنيسة، القاهرة، مكتبة المحبة، دت.

31. هانس أورس فون بَلتَسار: نؤمن (قانون الرسل)، نقله إلى العربية: الأب كميل حشيمة اليسوعي، ط1، بيروت، لبنان، دار المشرق، المكتبة الشرقية، 1994.

ثالثا: المعاجم والقواميس: متخصصة وعامة

أ-باللغة العربية

1. إبراهيم مطر، جون ألكسندر طمسن، بطرس عبد الملك: قاموس الكتاب المقدس، ط13 ، بيروت، لبنان، مطبعة الحرية، 2000.

2. ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل): لسان العرب، دط، القاهرة، دار المعارف، دت.

3. جروان السابق: معجم اللغات، ط1، بيروت، لبنان، دار السابق للنشر، 1985.

4. حسين علي حمد، قاموس المذاهب والأديان، ط1، بيروت، دار الجيل للطباعة، 1998.

5. الزركلي خير الدين: الأعلام: قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب

والمستغربين والمستشرقين، ط7، بيروت، دار العلم للملايين، 1986.

6. سهيل إدريس، جبور عبد النور: المنهل: قاموس فرنسي عربي، ط8، بيروت، دار الآداب، دار العلم للملايين، 1985.

7. شلبي (أحمد): موسوعة التاريخ الإسلامي، ط7، القاهرة، مكتب النهضة، 1984.

8. صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، ط1، بيروت، لبنان، المكتبة الشرقية، دار المشرق، 1994.

9. فاضل سيداوس اليسوعي، صبحي حموي اليسوعي، جورج قنواتي: معجم اللاهوت الكتابي: ساهم في إصدار مجموعة من المؤلفين: ط2، بيروت، لبنان، المكتبة الشرقية، منشورات دار الشرق، 1988.

10. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، الريا ض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1972.

ب-باللغة الأجنبية:

11. De Behardino De Angelo (sous la direction) : Dictionnaire encyclopedique du christianisme ancien, Adaptation Française de François Vial, Editions Du CERF, Belgique, 1990.

12. E.Royston Pike : Dictionnaire des Religions, Presse Universitaire de France, Paris, 1954.

13. Karl Rahner, Herbert Vorgrimler : Petit Dictionnaire de Théologie Catholique, Traduit de l'Allemand par : Paul Démann et Maurice Vidal, Editions du Seuil, Paris, 1970.

14. L'Abbé, J.Jhcharis : Dictionnaire des Hérésies (des erreurs et des Schismes), Barrière d'enfer, Paris, 1974.

15. Mortier Raoul : Dictionnaire encyclopédique Quillet, Librairie Aristé Quillet, Paris, 1983.

16. Nouvelle Encyclopédie Catholique : Théo (Vie et foi de l'Eglise), Editions Droguet, Ardant/ Fayard, Paris, 1989.

17. Rey Alain (Sous la direction) : Le nouveau petit Robert, Dictionnaire Illustre de noms Propres, La Glacière, Paris, 5eme ed, 1994.

18.Travers Christian (Sous La direction) : Dictionnaire Hachette encyclopédique Illustre (Hachette Livre 1997).

19.Vigouroux. F (Publisher) : Dictionnaire de la Bible, Letton Zay et Amet, Paris, 1895.

المصادر الأجنبية

1. Ali Al Tabari : Riposte aux chrétiens, Traduction Française : Jean – Marie Gaudeul, Pontificio Istituto di studi Arabi e d'Islamistica (P.I.S.A.I) Roma 1995.
2. André Duval : Des Sacrements au Concile de Trente, Editions du cerf Paris 1985.
3. André Manaranche : Ceci est mon Corps, Editions du Seuil Paris 1975.
4. Bouamama Ali : La littérature polémique musulmane contre le christianisme depuis ses origines.
5. Boulgakoff (Serge):L'Orthodoxie, Librairie Felix Alcan . Paris 1932.
6. Caratissi Roger : Bordas Encyclopédie (Histoire Universelle) Milan 1983.
7. Chanoine Marchand : La Faillite Initiale du Protestantisme, Librairie- Editeur: Piere Téqui Lyon 1934.
8. Claude Tassin : Le Judaisme de L'église au temps de Jesus, Editions le Cerf , Imprimerie Dumas, Paris, 1986.
9. Dodd (Charles – Harold) : Le Fondateur du Christianisme, Traduction : André Lesort, Editions du Seuil Paris, 1972.
10. Dufour Xavier Léon : Diréction du nouveau testament, Editions du Seuil, Paris, 1975.
11. E. Schillebeeckx : la présence du christ dans l' Eucharistie, Editions du cerf Paris 1970.
12. Edouard Pousset : Il leur dit , Ceci est mon corps l lectures d' Evangile sur le corps et la parole, Imprimerie Fournié Toulouse 1981.
13. Encyclopédia Universalise . Paris 1996.
14. François Goudreau . Bruno Chenu et Piere Dornier : la Foi Catholique, Editions du Centurion Paris 1984.

15.G.Martelet (Gustave) : Eucharistie et Genèse de l'homme, Editions DESCLEE et Cie Paris 1972.

16.Galtier R.P : le Péché et la Pénitence, Librairie Bloud et Gay, Paris, 1936.

17.Henri Denis : Sacrements Sources de Vie (Rites et Symboles), Editions le Cerf , Paris 1982.

18.Jacques Guillet : De Jesus aux Sacrements, Imprimerie Dumas . Paris st . Etiènne 1986.

19.Jean Baptiste Duroselle et Jean – Marie Mayeur: Histoire du catholicisme . 6ème, Edition Presse Universitaire de France Paris 1949.

20.Jean Comby : l'histoie de l'Eglise , des origines au XV ème Siècle (T1, Editions du cerf Paris 1984.

21.Jean Comby : l'histoie de l'Eglise , des origines au XV ème Siècle, T2, Editions du cerf Paris 1986.

22.Jean- Piere Leclercq : la Confirmation (Encyclopédie Moderne du Christanisme, Editions DESCLEE, Paris, 1989.

23.Jerenias Joachim : Théologie du nouveau testament (la Prédication de Jésus) Traduction de J. Alsin et A. Leifoghe, Editions le Cerf , Paris 1988

24.Jusqu 'au XIII ème siecle, Entreprise National du livres, Alger, 1988.

25.La Grande Encyclopédie Librairie Larousse Paris 1990.

26.Le Cardinal Danneels . Pr Vilnet et Mgr Schwery : La Foi de l'Eglise , Editions le Cerf / le Centurion et Brepols, Belgique, 1987.

27.Le Cardinal Hergenroether : Histoire de l'Eglise, Bibliothèque Théologique du XIX eme Siècle, Editeurs : Delhomme et Briguet Paris 1894.

28.Lester . H : la Foi Catholique, Editions Gabrielle Beauchesne. Paris 1918.

29.Louis Bouyer : Initiation Chrétienne, Librairie Plon Paris 1958.

30.Mame / Plon : Cathéchisme de l'église Catholique, Librairie Editrice Vaticane Paris 1992.

31.Marcel Légaut . François Varillon : Debat sur la Foi, Centre Catholique des Intellectuels Français, Editions DESCLEE BROUWER . Paris 1972.

32.Maurice Brillant : Eucharistie, Librairie Bloud et Gay Paris 1934.

33.Maurice Bucaille : La Science , La Bible , et le Coran, SEGHERS, Paris, 1988.

34.Méssadié Gérald : l'Homme qui devient Dieu (le Récit), Editions Robert Laffont, Paris, 1988.

35.Méssadié Gérald :l'Incendiaire (Vie du Saul Apôtre), Editions Robert Laffont . Paris, 1991.

36.Michand Henri : Jesus Selon le Coran, Editions de la Chaud et Nestlé, Suisse 1960.

37.Michel Berder , Bertrand Delattre , Bernard Meunier : La Pâque et le passage de la Mer , dans les lectures Juives , Chrétiennes et Musulmanes, Imprimerie Dumas . Paris st . Etiènne 1995.

38.Mondesert Claud : Les péres de l'Eglise . 2ème Editions, Editions le Cerf, Paris, 1988.

39.Nisin Arthur : Histoire de Jesus, Editions du Seuil, Paris, 1961.

40.Paul Bradshow : La Liturgie chrétienne en ses origines, Editions du cerf Paris 1981.

41.Philipe Ferlay : Abrégé de la Foi Catholique, Editions DESCLEE et Cie Paris 1986.

42.Pierre Pierrad : Histoire de l'Eglise Catholique, Editions DESCLEE et Cie Paris 1972.

43.Pons A.J : Ernest Renane et les origines du Chistianisme, Edition de Paul Ollendorf . Paris, 1981.

44.Pr Sévérien Salaville : Liturgies Orientales, Bibliothèque Catholique des Sciences Religieuses, Librairie Bloud et Gay Paris 1932.

45.Quesnel Michel ; Jésus Christ, Editions Domino Flamarion France, 1994.

46.R. FrÖhlich : Histoie de l'Eglise, Panorama et Chronologie . Bibliothèque de l' histoire du Christianisme, Editions DESCLEE et Cie Paris 1984.

47. René Jaouen : l'Eucharistie, Editions Karthala Paris 1995.

48. René Marlé : les Quatre Pilliers de la Catéchèses, Librairie Fayard Paris 1987.

49. Ries Michel : les chrétiens parmi les religions, Editions DESCLEE Paris, 1987.

50. Saint Augustin : La Cité de Dieu, Traduction de l'Abbé Gabriel Vidal, Librairie Brunnet, Alger, 1930.

51. Saurât Denis: Histoire des religions, Les Editions de Noêl et Stéle Paris 1933.

52. W. Rordorf . M.Jourjon . G.Blond : l' Eucharistie des premiers Chrétiens, Editions Beauchesne Paris 1976.

53. XVII ème Congrés Eucharistique National : Eucharistie et Sacerdoce Lyon 1959.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خامسا: فهرس الموضوعات

المقدمة ..... أ

الفصل الأول: تمهيدي في ضبط المصطلحات وشرح أصول الكلمات

تمهيد 2

المبحث الأول: شرح وتفصيل للألفاظ المعنونة للبحث 3

المطلب الأول: الليتورجيا مفهومها وأقسامها 3

أ-لغة..... 3

ب-اصطلاحا..... 3

جـ-المعنى اللاهوتي للتورجيا..... 5

د-عن واقع الليتورجيا اليوم 8

المطلب الثاني: الأفخارستيا كتابيا وتاريخيا 14

أ-الجذور التاريخية الأولى لهذه التسمية 17

ب-استخدام يسوع لكمة أفخارستيا (في الأناجيل)..... 18

جـ-استخدامها في المسيحية (بحسب الكنائس) 23

المبحث الثاني: الطقوس والتقليد وعلاقتها بالأفخارستيا 28

المطلب الأول: الطقوس الكناسية (مفهومها وأهميتها في حياة الكنيسة).. 29

المطلب الثاني:من الطقوس إلى التقليد(مفهومه، أقسامه، وعلاقته بالأسرار.) 31

المطلب الثالث: كيف تسلم الإنجيليون "عشاء الرب" كتقليد ليتورجي وسجلوه في الأناجيل والرسائل 35

*العنصر التقليدي الليتورجي ومدى تأثيره في النصوص الأفخارستية..... 42

نتائج الفصل 47

الفصل الثاني: الأفخارستيا أصولها التاريخية والروحية

تمهيد: أصل الشكر في حياة الإنسان 51

المبحث الأول: الأفخارستيا سر الشكر في الأديان عامة وفي العهد القديم 52

المطلب الأول: الذبائح والقرابين في الأديان عامة 52

أ-التقدمة 53

ب-الذبيحة..... 55

جـ-التناول من الذبيحة..... 57

المطلب الثاني: الذبائح والقرابين في العهد القديم 58

أولا: الذبائح عامة 58

أ-المحرقات..... 58

ب-الذبائح السلامية..... 58

جـ-ذبائح الخطايا وذبائح الآثام..... 59

ثانيا: ذبيحة العهد على يد موسى 59

أ-العهد بالكلمة..... 60

ب-العهد بدم الذبائح..... 61

جـ-الطعام المشترك..... 61

ثالثا: الفصح في العهد القديم 62

أ-تاريخ عيد الفصح..... 62

ب-معاني عيد الفصح..... 64

جـ-مراسيم عيد الفصح..... 66

*مقارنة بين الفصح اليهودي وعشاء المسيح الأخير..... 69

خلاصة المقارنة..... 69

المبحث الثاني: رموز الأفخارستيا في العهد القديم 71

المطلب الأول: تقدمة ملكيصادق..... 71

المطلب الثاني: الأفخارستيا والمن السماوي "خبز الخروج"..... 74

المطلب الثالث: الأفخارستيا و"خروف الفصح"..... 79
المطلب الرابع: الأفخارستيا و"وليمة المسيا"..... 84
المطلب الخامس: الأفخارستيا و"مائدة الرب"..... 87
نتائج الفصل..... 90
الفصل الثالث: الأفخارستيا في العهد الجديد: تأسيس المسيح لـ"ذبيحة الشكر"
المبحث الأول: المفهوم اللاهوتي لسر العشاء وتسليمه كعمل إيمان وأساس عقيدة 92
المطلب الأول: الأعمال التي قام بها المسيح ليلة العشاء الأخير بحسب التقليد المسيحي..... 95
أولا: الأعمال التي تبنى عليها "ذبيحة الشكر"..... 95
أ-العمل الأول: طقسي..... 95
ب-العمل الثاني: سرائري..... 95
جـ-العمل الثالث: شرحي..... 96
ثانيا: الأعمال الأساسية التي تحدد شكل الأفخارستيا..... 101
المطلب الثاني: رواية العشاء الأخير في نصوص العهد الجديد..... 102
أ-في رسالة بولس إلى أهل كورنيتس..... 102
ب-رواية العشاء الأخير بحسب إنجيل مرقس..... 107
جـ-رواية العشاء الأخير بحسب متى..... 109
د-رواية العشاء الأخير بحسب لوقا (سفر الأعمال)..... 112
هـ-رواية العشاء الأخير بحسب يوحنا..... 113
المطلب الثالث: معنى العشاء الأخير: هل كان فصحيا؟ أو ما علاقة العشاء الرباني بالفصح اليهودي؟..... 116
أ-هل كان العشاء الأخير عشاء فصحيا؟..... 116
ب-عمل نبوي يوضح معنى موت يسوع على الصليب..... 117
جـ-العهد الجديد بدم المسيح..... 118
المطلب الرابع: أسماء السر ومعانيها، والمعنى العميق لكلمات المسيح وقت العشاء..... 120

أولا: أسماء السر 120
ثانيا: معنى كلمات المسيح وقت "تكريس القربان"..... 126
1-حتى يكمل في ملكوت أبي..... 126
2-استبدال الحضور المنظور بحضور سري..... 126
3-معنى الزمن و"ملئ الزمن"..... 126
4-عمل الروح القدس في استعلام أواخر الدهور "يوم الرب"... 127
5-معنى قول هذا جسدي.. هذا دمي 128
6-معنى قول "اشربوا منها كلكم"..... 130
7-معنى قول "هذا هو العهد الجديد بدمي"..... 130
8-معنى قول المسيح "اصنعوا هذا لذكري"..... 130
9-معنى قول المسيح "تخبرون بموتي إلى أن أجيء"..... 132
10-معنى قول "ثم سبحوا وخرجوا"..... 132
المطلب الخامس: ماهي اللغة التي قدس بها المسيح على سر العشاء الأخير آرامية كانت أم عبرية..... 134
المبحث الثاني: علاقة الآغابي بسر الأفخارستيا..... 136
المطلب الأول: كيف تم الانفصال بين الأفخارستيا والأغابي وتأثير ذلك على النص الأفخارستي..... 136
المطلب الثاني: ملخص تاريخ الأغابي والمراحل التي عبرت عليها 138
المطلب الثالث: صورة توضيحية للمراحل التي عبرت عليها الأفخارستيا حتى استقلت تماما عن الآغابي 141
المبحث الثالث: صورة الأفخارستيا في القرن الأول والثاني في الكنيسة..... 143
المطلب الأول: الأفخارستيا في الديداخي 143
المطلـــب الثاني: الأفخارستيا عند الآباء الرسوليين: أغناطيوس الأنطاكي نموذجا..... 147
المطلب الثالث: الأفخارستيا عند الآباء المدافعين: يوستين الشهيد نموذجا. 150

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلـــب الرابع: خصائص الأفخارستيا البولينية أو دور بولس في تأسيس الأفخارستيا 152
المبحث الرابع: الأفخارستيا وقرارات المجامع 156
المطلب الأول: الأفخارستيا في مقررات المجمع اللاتيراني 1215..... 156
المطلب الثاني: قرارات المجمع التريدنتيني بشأن الأفخارستيا (ترانتو 1551) 160
المطلب الثالث: الأفخارستيا في مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965)..... 163
المبحث الخامس: الأفخارستيا وعلاقتها بالعقائد المسيحية الكبرى..... 167
المطلب الأول: الأفخارستيا وذبيحة الصليب 168
المطلب الثاني: القيامة والصعود وعلاقتهما بالأفخارستيا..... 171
المطلب الثالث: الأفخارستيا وعقيدة الخلاص..... 173
المطلب الرابع: الأفخارستيا والملكوت: البعد الاسكاتولوجي 175
نتائج الفصل 180

الفصل الرابع: تقيد أسطورة القربان المقدس (الأفخارستيا) من خلال دراسة نقدية للعلماء المسلمين والعلماء الغربين

تمهيد 184
المبحث الأول: نقد علماء المسلمين "لسر الأفخارستيا"..... 185
المطلب الأول: نقد أنسيلم تورميدا الشهير "بعبد الله الترجمان"..... 185
المطلـــب الثاني: نقد الإمام القرافي لسر القربان من خلال كتابه الأجوبة الفاخرة..... 189
المطلـــب الثالث: نقد عبد الرحمن باجاجي زادة للأفخارستيا من خلال كتابه "الفارق بين المخلوق والخالق"..... 190
المطلب الرابع: نقد الشيخ منقذ بن محمود السقار للأفخارستيا..... 196
المبحث الثاني: نقد علماء الغرب (للعقيدة) الأفخارستية..... 211
المطلـــب الأول: نقـــد الأفخارستيا البولينية: التحرريون نموذجا: هاريس وريناخ..... 211

المطلب الثاني: نقد الأفخارستيا من خلال أبحاث ليتزمان 218
المطلب الثالث: نقد الأفخارستيا من خلال أبحاث أندروميلر..... 222
نتائج الفصل..... 228
الخاتمة..... 230

الفهارس

أولا: فهرس الكتاب المقدس 238
ثانيا: فهرس الأعلام 247
ثالثا: فهرس المصطلحات الأفخارستية 251
رابعا: فهرس انتقائي لأهم وأشهر المصطلحات المسيحية 258
خامسا: فهرس المصادر والمراجع 260
سادسا: فهرس الموضوعات 273

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جدول الأخطاء

الصفحة	الخطأ	الصواب
د	العمل الأساسي في العمل المسيحي	العمل الأساسي في الإيمان المسيحي
د	متى7/19	تلغى تماما
هـ	قيامت	قيامته
س	السعي في كشف	السعي لكشف
ف	علماء الشرق القدماء	علماء الشرق والغرب القدماء
ف	وما هي أقسامه بالأسرار	وما هي أقسامه وما علاقته بالأسرار
ق	هو نعمة المولى	هو نعم المولى
2	في الهامش1-	1-متى المسكين: الأفخارستيا عشاء الرب، ص13.
3	اليتورجيا	الليتورجيا
4	في الهامش: الإشارة	إعلان البشارة
5	الهامش: الأفخارستيان	الأفخارستيا
6	إنه الموضوع المادة	إنه الموضوع والمادة
6	الكهانوتي	الكهنوتي
8	المؤمن في انتماءه	المؤمن المسيحي في انتماءه
8	أهيمة	أهميته
9	في الهامش: بالبلمس	بلسم
10	في الهامش: امتيار	امتياز
11	اللاهوتي	اللاهوت
11	اليثورجي	الليتورجي
11	رجع إلى تاريخ	راجع إلى تاريخ
12	في الهامش: بحث أن كل شيء	بحيث أن كل شيء
12	في الهامش: اللهوة	اللاهوت
13	كلل تجمع	كل تجمع
14	فكما	ترجمع إلى السطر
14	البعد الإسكاثولوجي	غلق القوس
14	في الهامش: لناس	للناس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

14	في الهامش: الخفية	خفية
15	فنحنا	فنحن
17	في الهامش: تعني التعليم	تعني تعليم الرسل الاثنى عشر
18	أنسك	أمسك
21	(19: 4، 1: 31)	(19: 14-13)
21	-كما يصطلح عليه في المسيحية-	تلغى
23	والمعروف من التقليد المنحدر إلينا	والمعروف من التقليد المنحدر
24	في الهامش: عصير الكرم	عصير الكرمة
26	ليس اجتهادٌ	ليس اجتهادا
26	النموس	الناموس
26	في الهامش: عمام	غمام
28	ما كان	مكان
30	في الهامش: اليونانية لقديمة قداس	اليونانية القديمة كقداس
30	في الهامش: اليوناني	اليونانية
30	في سلم وتسليم	تسلُّم وتسليم
30	كما استلمها شفاها	كما استلمها شفاها -بزعمه-
39	التقليد الأفخارستي كتابه	التقليد الأفخارستي كتابة
39	في الهامش: يونا	يوحنا
42	يوقا	لوقا
43	والذي نريد أن ننبه إليه	والذي يريد أن يبرر له بولس هو أن النص
43	الذي سجله بولس	الذي سجله
44	ولهذا التقارب	لهذا يظهر التقارب
46	القدس مرقس	القديس مرقس
46	يوما الرسول	لوقا الرسول
46	تدويل الأناجيل	تدوين الأناجيل
55	والرب بمقت	والرب يمقت
56	في الهامش: ثلاث معاني فسح	ثلاث معاني: فصح المسيح
57	في الهامش: والذبائح الدمية	والذبائح الدموية
57	في الهامش: هذه الممارسة معدم	هذه الممارسة كعدم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

60	وأوامر دعية	وأوامره التي دعيت
60	الدبائح	الذبائح
65	ابن البكر	ابني البكر
65	إنها لليلة	ليلة
66	وأن أجتاز	وأنا أجتاز
69	لا ذكر حمل	لا ذكر للحمل
74	وإذا أمنعنا النظر	وإذا أمعنّا النظر
75	في الهامش: الجديد يسفك	الجديد الذي يسفك
75	في الهامش: متى 28: 26	متى 26: 28
75	في الهامش: هذا هو دم الذي	هذا هو دمي الذي
78	المن الحقيق	المن الحقيقي
79	هكذا دم المسيحي	هكذا دم المسيح
82	شهوة اشتيت	شهوة اشتهيت
82	أو إنحدار	أو انحدر
93	فبحسب «فلما اتكأ...	فبحسب لوقا (24: 30-31) «فلما اتكأ...
94	كارزة بمحد الصليب	كارزة بمجد الصليب
94	«لنا الفداء بدمه	«الذي لنا الفداء بدمه
94	في الهامش: (كو 20: 1)	كولوسي (1: 20)
95	كجسد المسيح السر ي	كجسد المسيح السري
96	يشرح فيها يحنا	يشرح فيها يوحنا
96	لا يتجزأ ممن طقس	لا يتجزأ م طقس
97	من هنا تجد الإشارة	من هنا تجدر الإشارة
100	بحسب الإيمان المسيحي	تلغى
102	على ممر السنين أنه تحوي	على ممر السنين أنها تحوي
104	في الهامش: وتجد الأرض	تجدّد الأرض
106	في الهامش: الخييرات	الخيرات
110	بستمرار	باستمرار
110	للكليمت	للكلمة

110	في مملكوت الله	في ملكوت الله
111	«إن أقول لكم...	«إني أقول لكم...
111	«والتي جاءت مرتبطة بالخبز	«والتي جاءت مرتبطة بالعهد
113	في الهامش: وهو لقب يطلب بوجه خاص	وهو لقب يطلق بوجه خاص
116	فموت المسيحي	فموت المسيح
116	طقص الفصح	طقس الفصح
116	بالذاتن	بالذات،
117	أوضح معان موته	أوضح معاني موته
117	كما أن ذم الذبائح	كما أن دم الذبائح
117	فأشعيا	فاشعيا
119	ينال المدعوون تمام الموعد عبرا (9: 159)	ينال المدعوون وعد الميراث الأبدي عبرا (9: 15)
119	الفذاء	الفداء
119	وفي فصل آخر يصل أشعيا	وفي فصل آخر يصف أشعيا
120	بذم صليبه	بدم صليبه
120	كناسيا	كنسيا
122	ونقلب إلى مجدلة	ويقلب إلى مجدلة
123	Le sain	Le saint
123	الأوليين	الأولين
125	بتقليد إسيني	أسيني
126	فبينا أغلق اليونان	فبينما أغلق اليونان
128	على الظهور السالفة	على الدهور السالفة
128	لو كنا حكما على أنفسنا	لو كنا حكمنا
128	وقول المسيح في لو آخر	وقول المسيح في لوقا
129	والشرب والكأس	والشرب من الكأس
130	ودمه ذبيحة فيداء	فداء
131	"ذكر" المسيح	ذكر للمسيح
132	ليست النعمة تأتي وليست هذا العالم ينتهي	ليت النعمة تأتي وليت هذا العالم ينتهي
132	ويتضح هذا من عناوين بعد المزامير	ويتضح هذا من عناوين بعض المزامير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

132	في الهامش: الربانيين	الربانيين
132	في الهامش: عمللية	عملية
132	في الهامش: والثاني عر	الثاني عشر
133	وبهذا يتضح لماذ حرص	وبهذا يتضح لماذا حرص
134	شهوة استهبت	شهوة اشتهيت
135	في الهامش: لغة يهود الشتان	لغة يهود الشتات
135	في الهامش: فقتصرت	فاقتصرت
137	الاصطلاخات	الاصطلاحات
137	وهكذا إذا أصبح	ثم أصبح
139	بقايا طقس كنسيا	بقايا طقسا كنسيا
139	إنه كان مستقر على هذا الوضع	إنه كان مستقرا على هذا الوضع
140	الأفخارستيا التزام أن يقوم	الأفخارستيا والتزم أن يقوم
140	عن شكر الأغاني	عن شكر الأغابي
143	وبهذا الآباء على الجانب الروحي	وبهذا كان الآباء على هذا القدر من الإيمان الروحي لممارسة سرّ الأفخارستيا.
143	من خلال "لتناول"	من خلال "التناول"
144	إلى كل الظهور	إلى كل الدهور
144	مبعثر	مبعثرا
144	فالتجمع	فتتجمع
144	إلى كمال الظهور	إلى كمال الدهور
147	شهود قيمته	شهود قيامته
147	Les Peres	Les Péres
149	الأفخارستيا هو خدمة	هي خدمة
149	في جسد المسيح وذمه	في جسد المسيح ودمه
150	هي ذكرا موت وقيامة الرب	هي ذكرى الرب وقيامة الرب
150	Les Peres	Les Péres
150	في الهامش: حيما وجدت	حيثما
151	نموس موس	ناموس موسى
151	ليس استشاركا	ليس اشتراكا
151	ارتباط الاجتماع الأفخارستيا	ارتباط الاجتماع الأفخارستي

151	العطيايا	العطايا
151	كتايات	كتابات
152	كسجد ودم	كجسد ودم
153	وتركيبات يومانية	وتركيبات يونانية
156	Elevé au range	Elevé au rang
156	يجب أن العرش	يجب أن يكون العرش
156	السلطان الأرضي بأجمعيه	السلطان الأرضي بأجمعه
157	كلتا الكنستين	كلتا الكنيستين
158	والخمر إلى دم	والخمر إلى دمه
159	بحسب نواميس وطقوسها	بحسب نواميسها وطقوسها
160	معتقدها بعدى الإصلاح	معتقدها بعد الإصلاح
160	نوجيزها	نوجزها
160	إحالة رقم التهيمش 3 من يلي	إلى سلطانهم.
162	الإزدوجية	الازدواجية
163	مسموحا لضعفاء	مسموحا للضعفاء
163	في ابتاع النظام القديم	في اتباع النظام القديم
163	الخذم الكنسية	الخدم الكنسية
163	في الهامش: ولكنها خارجت	ولكنها خرجت
165	والأفخارستيا المكانة الأولى	وللأفخارستيا المكانة الأولى
167	كما أنه على العهد الجديد	كما أنه علامة العهد الجديد
168	Supir	Soupir
168	في الهامش: يؤلهما	يؤلهنا
168	في الهامش: باتحادنا المسيح	باتحادنا بالمسيح
168	أروع هدية أعطية	أروع هدية أعطيت
173	مستحق للعذاب الدائم وإن كان الذنب كبيرا	مستحق للعذاب الدائم إن كان الذنب كبيرا
173	في الهامش: عزت الطهطاوي:	.....: الميزان في مقارنة الأديان، ط2، دار القلم، دمشق، 2002، ص157-158.
173	في الهامش: لا علاقة لدرية آدم	لا علاقة لذرية آدم
175	ها إنه آتيذ	هو ذا يأتي

175	في الهامش: كان الموت جزءا لها	كان الموت جزاء لها
176	إني لن أشبر من ثمرة الكرمة	إني لن أشرب من ثمرة الكرمة
176	هذا القول إنباء المسيحي	هذا القول إنباء المسيح
176	في الهامش: وإن بدا معارضا للسعادة لأن بالخلاص	وإن بدا معارضا للسعادة إلا أن به الخلاص
178	سر الرؤية المدعود بها	سر الرؤيا الموعود بها
179	أفخارستيا مقبولة	(أفخارستيا مقبولة)
180	الحياوانات	الحيوانات
180	صارت الأفخارستية	صارت الأفخارستيا
181	بالموت الكفاري والخلاص	بالموت الكفاري وبالخلاص
181	لكل النبواة القديمة	لكل النبوات القديمة
181	عبرة (8: 8-13)	عبرا (8: 8-13)
182	مستقبا أفكاره	مستقيا أفكاره
182	في الهامش: ما عدها اليهود المسيحيون	ما عدها اليهود والمسيحيون
184	باعتبادهم أن معبودهم	باعتبارهم أن معبودهم
184	ولكمنهم لا يبصرون	ولكنهم لا يبصرون
185	كما أحاط بعديد	كما أحاط بالعديد
185	في الهامش: أسلم عن علم يناهز	أسلم عن عمر يناهز
186	أخبر سيحانه	أخبر سبحانه
186	فقرر الترجمات	فقرر الترجمان
186	لا سار بذاته مع الثلاثة نفر	لسار بذاته مع الثلاثة نفر
187	فما رأى عيسى قد	فما رأى عيسى قط
187	ويحنا هذا هو الرابع	ويوحنا هذا هو الرابع
188	مما هو معلوما مشهور	مما هو معلوم مشهور
190	الذي اكتف اليهود بصلبه	الذي اكتفى اليهود بصلبه
191	وفيما كان يتجمعون	وفيما كانوا يتجمعون
191	عبد الرحمن زاد	عبد الرحمن زادة
192	لو صحح حديث الصلب	لو صح حديث الصلب
192	هناك يحمل جرّى	رجل هناك يحمل جرّة

192	التي سأكل فيها	التي سآكل فيها
193	وقد اختلفا أصحاب الأناجيل	وقد اختلف أصحاب الأناجيل
194	في الهامش: الديانات الوتنية	الديانات الوثنية
195	روايات تأسيسي العشاء	روايات تأسيس العشاء
195	في الهامش: النصارنية	النصرانية
195	في الهامش: سبقا زمانيا	سبقا زمنيا
196	في الهامش: هل إفتداني	هل إفتدانا
196	في الهامش: فنكب على دراسة	فانكب على دراسة
196	في الهامش: الكتب الكناسية	الكتب الكنسية
199	فكيف يستعملوا مرقس	فكيف يستعمل مرقس
199	الأرذكسية	الارتكدسية
200	وأن قتله كان لتحقيق العدل	وأن قتله كان لتحقيق العدل
201	والسحق والإذلالا للأعداد	والسحق والإذلال للأعداء
203	بدير الأنمبا مقار	بدير الأنبا مقار
203	على عهد البابل انوسنت	على عهد البابا انوسنت
203	في الهامش: أندروا ميلر	أندرو ميلر
204	المقررة للعقيد المسيحية	المقررة للعقيدة المسيحية
205	في شرحه للإصحاح الساد	في شرحه للإصحاح السادس
205	لا يجوز فهمه جسديا لأننا نعمته	لا يجوز فهمه جسديا لأن نعمته
205	فإنما قدّ المسيح لتلاميذه	فإنما قدّم المسيح لتلاميذه
206	في الهامش: أعمال روح الله المكبينة	في الهامش: أعمال روح الله المبينة
208	القبطية المخطوطات	القبطية والمخطوطات
208	فهي أكثر تعبيرا	(فهي أكثر تعبيرا
211	وأعمال الرسل لتميذه لوقا	وأعمال الرسل لتلميذه لوقا
211	في الهامش: كانت اليهونانية	كانت اليونانية
212	اليهلينية	الهيلينية
212	كالحتام	الكختان
213	محفوظا ولا مكتويا	محفوظا ولا مكتوبا
213	أن يؤسس دين جديد	أن يؤسس دينا جديدا

214	عقدة القربان المقدس	عقيدة القربان المقدس
215	يشير إلى بلوس	يشير إلى بولس
216	لم يصر لأحد حق في أن يناضله	لم يصر لأحد الحق في أن يناقضه
218	والطقس الثاني الذي تراكما على الأول	والطقس الثاني الذي تراكم على الأول
219	في منتصف القرن الماضي	في منتصف القرن الرابع
220	بصورة قاطعة، طقس آخر	بصورة قاطعة، طقس آخر
221	لم يحتو القربان القربان إلا على	لم يحتو القربان إلا على
221	الشاروبينية	الشاروبيمية
223	وكان الحيوانات يساق	وكان الحيوان يساق
223	ونشرت من الخرفات	ونشرت من الخرافات
226	على ركبتيه طالب الصفح	على ركبتيه طالبا الصفح
228	لجميع الكنائس الكاتوليكية والأتودكسية	لجميع الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية
228	والتي يفترض أن لوقا أخد عنها	والتي يفترض أن لوقا أخد عنهما
229	أخو الرب	أخ الرب
229	أن الأناجيل الثلاثة الأولى متى مرقس ولوقا	أن كتاب الأناجيل الثلاثة الأولى متى مرقس ولوقا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية